14

14





يوسف رخا

باولو

رواية

15

15





يوسف رخا

بــاولـــو

مدونة «الأسد على حق»: وقائع الظهور الثاني للأسد

الكتاب: بـــاولـــــو / رواية

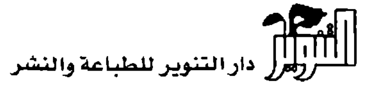
المؤلف: يوسف رخا

عدد الصفحات: 160 صفحة

الترقيم الدولي: 978-977-6483-58-3

رقم الإيداع: 2015/23418

الطبعة الأولى: 2016



مصر: القاهرة–وسط البلد–19 عبد السلام عارف (البستان سابقًا) –الدور 8 – شقة 82

هاتف: 0020223921332

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

لبنان: بيروت – بئر حسن - سنتر كريستال، الهزيم – الطابق االاول -

هاتف : 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر – 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني : tunis@dar-altanweer.com

موقع إلكتروني : www.dar-altanweer.com

يوسف رخا

بـــاولــــو

مدونة «الأسد على حق»: وقائع الظهور الثاني للأسد




باولو

صار لي ميراثي كأسد في الوعر.
نطق علي بصوته. من أجل ذلك
أبغضتُه. - إرميا، ١٢

...... وفي ما يلي

...... وفي ما يلي تفريغ مدونة «الأسد على حق» لصاحبها عامر أبو الليل بغاغو عن موقع مكتوب التابع لبوابة yahoo.com. تم إنشاؤها في ١٤-٨-٢٠١٣ (للغرابة، تاريخ فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة لأنصار الرئيس المعزول محمد مرسي؛ ويلاحظ أنه ضمن أسماء ضباط القوات المسلحة الذين أُحيلوا إلى التقاعد المبكر في أسبوع إنشاء المدونة العقيد عماد خالد زكريا من سلاح الاستطلاع). تتكون المدونة من تسع وخمسين تدوينة تنتمي كل منها إلى واحد من أربعة تصنيفات (categorics)، ذلك على الرغم من أن منطق الاختيار ليس واضحاً في كل حالة من الحالات: أفلام، لقاءات، أحداث، أحلام.

وتعددت كلمات وعبارات الـ«تاج» (tags) في كل تدوينة إلا أننا آثرنا إزالتها من النص وإيراد بعضها هنا على سبيل المثال:

أوديون

عبد الناصر

حمدين صباحي

ماساي

الدستور

Enkai

Moran

سفر إرميا

خيانة

الإسلام

افتراضي

تنزانيا

Last Tango in Paris

رواية

ليبرالية

Goodbye Lenin

القطاع العام

Nikon D50

بيروقراطية

Wir sind das Volk

سنوات مبارك الأخيرة

خصخصة

6 أبريل

أمن دولة

دار سيرين

البوكر العربية

Kel Tec P11

الشاطر

أحمد شوقي

ميت نما

Parkinol

Volks

أبيض وأسود

رصاصة في القلب

LSD

محاكمة عسكرية

فرج فودة

أوكا وأورتيجا

Single malt

Pixcls

Bravchcart

تأميم قناة السويس

الاتجاه المعاكس

فيسبوك

جهاد

قبيلة

شهداء

هوية

إخوان

يُلاحظ اختلاف أسلوب ومحتوى التدوينات وتكرر تواريخ نشرها [illegible] يثبت أنها كُتبت على فترات متباعدة ثم أعيد ترتيبها وتأريخها [illegible]

لا يُعرف متى تمت صياغتها على وجه الدقة، والراجح أنها نُشرت تباعاً خلال يوم واحد بعد أن اكتملت موادها على مدى سنة أو أكثر ثم عُدّلت التواريخ على الموقع. واختيرت ساعات النشر على الأرجح بعشوائية تامة في اللحظة الأخيرة حيث أنها إحدى أربع ساعات لا تتغير على الإطلاق: ١٠ صباحاً؛ ١١ صباحاً؛ ١ مساءً؛ ٥ مساءً.

كما فُرّغت المواد من الأقدم إلى الأحدث عكس ترتيبها على الشبكة لتسهيل المتابعة حيث أن ترتيبها على الموقع (والذي حافظنا عليه بإلحاق رقم بكل من عناوينها من «١» إلى «٥٩») يعيق فهم تسلسلها على المستوى الذهني. وقد حرصنا على نقلها كما هي بلا حذف أو تدخل مع ملاحظة ما فيها من بشاعات مخزية وألفاظ بذيئة وتطاول ناب على المقدسات والرموز بالإضافة إلى إساءات للهوية الدينية والوطنية يعاقب عليها القانون.

تحريراً في ١٩-١١-٢٠١٣

• ٥٩ | من أنا •

pauloz_ crocodile@hotmail.com

عامر محمد جلال أبو الليل بغاغو، الشهرة: باولو. فوتوغرافي ومصور فيديو هاو معروف في أوساط وسط البلد والدوائر الثورية. مصري الجنسية ومسلم الديانة. أعزب. مواليد المنوفية،٧/ ٥/ ١٩٧٦.

خريج تربية جامعة الأزهر عام ١٩٩٨. موظف بوزارة التربية والتعليم إدارة شمال الجيزة وفي إجازة بدون مرتب منذ العام ٢٠٠٥. يعمل مدير مكتبة أزمنة المملوكة لممدوح عبد ربه السجيني، ٥٣ شارع

إسماعيل أباظة جوار ضريح سعد زغلول في المنيرة». رقم قومي: ٢٧٦٠٥٠٧٣٣٩٥٩٧٦.

• ٥٨ | «الأسد على حق» About •

وقائع الظهور الثاني للأسد

.

ومن ركب الأسد ركب أمراً عظيماً وغرراً جسيماً، إما خلافاً على السلطان وجسراً عليه واغترابه، وإما أن يركب البحر في غير إبانة، وإما أن يحصل في أمر لا يقدر أن يتقدم ولا يتأخر...

ابن سيرين، تفسير الأحلام

سأحكي في هذه المدونة أشياء بدأت على الإنترنت وانتهت بمصيبة. حصلت معظمها قبل ما يقع في يدي لابتوب يوسف صاحبي المعروف بالفتيس. حكوا لي إن الفتيس هرب على مالطة مثل ما عمل الرئيس التونسي السابق بن علي. واستنتجت من كلامهم أنه ذهب قبل بدء انتخابات الرئاسة بحوالي ثلاثة أشهر. ثم إني لم أجد على هارد الكمبيوتر إلا فولدر واحد اسمه على اسم جماعتنا الشعرية الآفلة: التماسيح. تخيل حضرتك أننا كنا شعراء. كنا مصدقين أننا نكتب شعراً. وهل لأننا صدقنا كانت نهايتنا هكذا؟ واحد ميت والثاني هربان والثالث شغال مع المباحث. في الحاوية ألفيت ملفاً يتيماً يحكي عني وعن المرحوم نايف صاحبنا الثالث ومون القتيلة. ويذكر الثورة والانتخابات البرلمانية وغير ذلك من أحداث. ولأسبوع كامل من ساعة ما قرأته بعد هروبي بدوري على بيت العائلة هنا في بركة السبع - منوفية حاولت أن أنقل الأحداث من غير رواية.

أن أسجّل نصوص دردشات فيسبوك أو أجمع الصور الفوتوغرافية وأضع تغريدات تويتر مع ستيتوسات فيسبوك في تسلسل فتنجلي تفاصيل ما حصل من تلقاء نفسها. لا فائدة. ثمة جهات سرية قادرة وثمة مؤامرات. ثمة قبائلي أفريقي يملك مواهب خارقة. وثمة كما تعلم جثة قتيلة. وأنا لا يمكن أن أتحمل عبء معرفة كل هذا لوحدي. كل هذا وكل الذي عملته في آخر خمس سنين. لذلك ومهما كلفتني مخاطرة نشر المعلومات التي عندي قررت أن أضع أقوالي كاملة على الإنترنت. بما في ذلك ما كنت لأقوله لو بقيت في القاهرة ورجعت المكتبة في موعدي صباح ٢٩ مايو ٢٠١٢ فلقيت المباحث في انتظاري. أن أُعدم أو أُصفى أحسن من أن أُجن. من أجل ذلك أتخيلك أنت. ضابط مباحث في سني يقرأ اعترافاتي هذه أو يسمعها وكأنه يحقق معي. وأوجه لك كلامي في التدوينات فأخاطبك كما يُخاطب الضباط. أنا أتخيلك عادياً جداً كأي رجل شرطة تعاملت معه. لستَ أقل أو أكثر شرفاً أو ذكاء. ولست معنياً بالدين أو السياسة على وجه الخصوص. لكني أتخيل أن عندك من الخيال أو الفضول ما يجعلك قادراً أن تصدقني. هذا كل شيء. أكبر مفارقة طبعاً أني في اعترافاتي هذه أكتب على نفس اللابتوب الذي كتب عليه الفتيس قبل سنة. وهل لهذا السبب بمجرد ما تلمس أصابعي الكيبورد يضربني الحنين؟

• ٥٧ | جودباي لينين •

الاثنين ١٤ مارس ٢٠٠٥-١٠ص-افلام

تعرفتُ على الموديل التي بدأت معها التصوير العاري لما اشتغلت في مكتبة أزمنة. كان اسمها فريدة منصور التتش. المفروض أن أقول عنها

المرحومة لكن لساني لا يطاوعني. بعد ما ظهرت في حياتي عملت غرفتي الخاصة في المكتبة ستوديو واكتفيت بتصويرها هي بدل اللف وراء شعب ابن دين قحبة عنده بارانويا من كل حاجة. لا يفهم لا في الجمال ولا في الفوتوغرافيا. لهذا السبب أيضاً من بين الكاميرات الثلاث التي عندي – الكانون باورشوت إس والأوليمبس إس – بي زوم والنايكون دي – ٥٠ – كنت أستعمل النايكون التي أقدّر إمكاناتها جداً لكن لا آخذها معي في الشارع لأنها ثقيلة وظاهرة. مع فريدة كنت أستعملها براحتي لأن عندي ستوديو تحت الأرض أبدع فيه وأنا رائق. وبالعدسة النيكور التي تعادل ٥٠ مللي مع فتحة عدسة تصل لـ 1.8 (هي ذي أقيم قطعة زجاج أملكها تقريباً) كنت أعمل نتائج جامدة. لأن فريدة هي الأخرى حاضرة ومتعاونة معي بدرجة رهيبة. هي كان لها تَكّات اعتراض ووجع قلب في علاقتنا لكن في التصوير كانت تلميذة شاطرة. فعلاً في وجهها نظرة بنوتة مطيعة. وأنت في مكانك كما ينبغي تقول لها اعملي فتعمل. اركعي على ركبك. افتحي رجليك. قرفصي وحطي يديك تحتك. قوسي ظهرك. اكبسي صدرك في ذقنك ولسانك مدلدل. ممكن حتى تقول احشري واحداً تحت إبطك وافردي شعرك على الثاني ويدك على بطنك. أي شيء. إصبعها في سرتها كأنها تجرّب سخونة حاجة سائلة في فنجان. رجلاها وذراعاها على شكل مثلثات في أكثر من تكوين هندسي. مؤخرتها فازة فيها ورد صابح أنا أحضرته للغرض وبقية جسمها ظلام. أو رجلاها مفرودتان قدامها وهي تحضنهما وظهرها للحائط. عندي صورة لفريدة وهي تفتح شفتيها بيد وباليد الثانية ترفع خيطاً من مياهها لفوق لحد سرتها وهو مفرود على الآخر ويلمع كأنه سلسلة فضة طالعة من بين رجليها. مع الوقت عملتها فراشة ونجمة وثعباناً. وببعض الإكسسوارات مرة عملتها جثة قتيلة. الصور كلها عندي على هارد درايف لكن ولا واحدة منها فيها

وجه فريدة. كان اتفاقنا أني أعرض الذي يعجبني بشرط أن لا يظهر وجهها في أي صورة. وعرضت حاجات على مواقع فوتوغرافية فعلاً لكن الوقت لم يسعفني لأطبع وأعمل معارض. إخفاء الوجه تحد فني مثير خصوصاً وأن لجسم الموديل كتلة ثابتة ومرنة. وهي كانت تعجبها الصور مع أنها لا تربطها بنفسها. كانت تنظر لها كأعمال مفصولة عن الواقع. الواقع بالنسبة لفريدة هو ما نعمله مع بعض وما أحاول أن أعمله معها وهي تتأفف. ولا مرة جاء في بالها أن تركيب صورتها أهم عندي من أي شيء ممكن أن تتأفف منه وتزعل من نفسها لأنها لا ترضيني. أنا فاكر وجهها بوضوح وهي تقول: حلو على فكرة أنك تفكر في حاجات. عارف. طول ما أنا معك وأنا مكتفية بالزنزانة هذه. ممكن أبقى تحت الأرض لحد ما أموت. أيام فريدة طبعاً لم أكن سمعت شعار الثورة التي ستحصل سنة ٢٠١١: الشعب يريد إسقاط النظام. فقط يبدو لي أنه كان في الشارع هتاف بلغة ثانية: ڤير زيند داس فولك. نحن الشعب. ڤير زيند داس فولك بالألماني. ممكن أن تنسى المستقبل الآن. يبدو لي أني قابلت فريدة والشعار هذا هو الذي يهتفون به في الشارع. وأنا معهم. أكتوبر ١٩٨٩ في برلين الشرقية. والشعب يريد سحر رأس المال. وعندما يبدو لي أنهم يهتفون بالألماني يبدو لي أيضاً أني فني إرسال تلفزيون عائش مع أمي وأختي وبنت أختي الرضيعة هناك. أبي هرب من زمان على ألمانيا الغربية. لا أعرف لو كان هروبه الذي جعل ماما مؤدلجة هكذا أم أن أدلجتها هي التي جعلته يترك البيت ويهرب. ماما امرأة جادة ومكافحة. هي مؤمنة بمبادئ الحزب الاشتراكي ولذلك أخبّئ عنها أني أشارك في المظاهرات. كفاية قمعاً وتقسيماً. كفاية أيديولوجيا فاضية. لكنها لما رأتني بالصدفة والبوليس يقبض عليّ وقعت على الأرض وأصابتها أزمة قلبية. هي لا تصدق أن ابنها رأسمالي متعفن. في المستشفى كانت تتابعها ممرضة روسية

وافدة في سني والممرضة هذه كانت فريدة. الآن أرانا أثناء وجود ماما في المستشفى وسط المتظاهرين في ميدان ألكساندربلاتز ثم أرانا لوحدنا على سطح عمارة عالية بعد ما سقط الجدار. نحن عملنا ثورة ونجحت لكن نجاحها فاق توقعاتنا فعلاً لما سقط الجدار. أنط على السور وفريدة قاعدة أو أعمل كأني سأقع وهي تشدني من وراء. السماء من قدامنا سوداء غامقة وثمة ألعاب نارية تلعلع. كانت هذه الأنوار هي سحر الاستهلاك والتحرر على هيئة شيء ملموس يلعلع قدامك وكانت مرتبطة في رأسي بظهور فريدة في حياتي والحب الذي حصل نتيجة أن ماما مرضت. تخيل حضرتك أن ماما في مرضها فاهمة أن كل حاجة كما كانت. الدكتور قال إنها لا ينبغي أن تعرف لأن أي اضطراب عصبي ممكن يعمل لها انتكاسة. لذلك لما رجعتْ البيت عملنا لها إرسالاً تلفزيونياً خاصاً كنا نصوره بنفسنا أنا وفريدة وأصحابي وبهذه الطريقة خبّأنا عنها سقوط الجدار. ممنوع تقوم من السرير. ولما قدرت تقوم فخرجت لوحدها وأنا نائم رأت تمثال لينين متدلياً بالحبال من هليكوبتر جاءت تنقله بعيداً بعد ما رفعوه من الميدان. ماما مشدوهة في الشارع ولينين طائر إلى غير رجعة في السماء. كل الحكاية أن شغلي في مكتبة أزمنة سنة ٢٠٠٥ كان بالنسبة لي بداية عهد الليبرالية والخصخصة بعد هجمة ١١ سبتمبر. كان بداية حاجة حلوة في الحياة. وهذا دفعني ليس فقط للارتباط بفريدة لحد ما أنهيت علاقتي بها كما ينبغي سنة ٢٠٠٨ ولكن أيضاً للمساهمة مع أصحابي في الحكومة وبالتعاون مع شباب أختبرهم قبل ما أتعاون معهم في الحفاظ على البلد من غباوة المؤدلجين. أنت عارف طبعاً أنه ومن قبل ظهور القاعدة ثمة مؤدلجين من نوع جديد أوسخ ألف مرة من الشيوعية. في ٢٠٠٥ تعرّفت على وديع بيه ضابط أمن الدولة الذي يساعدني على مقاومتهم. لكن هذه ليست كل الحكاية. أول مرة فريدة قلعت هدومها كانت في

لحظة طيران لينين من سماء برلين. هو ذا. ومع أنه لما أبي مات هنا في بركة السبع وأمي بعده بشهور كنا سنة ٢٠٠٢...

• ٥٦ | أشياء بدأت على الإنترنت •

الإثنين ١٤ مارس ٢٠٠٥-١١ص-لقاءات

أشياء بدأت على الإنترنت بعد سنين من اللحظة هذه فهّمتني أن مصر حتى وُلدت في منتصف السبعينات كانت فعلاً مثل ألمانيا الشرقية. وسواء تظاهرت أو ساهمت في قمع المتظاهرين كان دوري أن أمنع أولاد دين القحبة من جعلها مثل إيران. الذي تعبت من كتمانه حضرتك هو أن لعلعة الأنوار في السماء عندنا فعلاً جاءت من عند الدولة ليس من عند الشباب المتظاهر. النظام الذي سنثور عليه كان هو المورّد المعتمد لسحر التحول وبالمعنى هذا نحن سنثور ضد نفسنا. هذا ما تعبت من كتمانه حتى لو لا فائدة من الإفصاح عنه الآن. كان الموضوع في المنطقة العربية كلها. في الفترة التي تعرفت فيها على فريدة مثلاً كنت أتابع أخبار لبنان. كان تعارفنا وقت انسحاب الجيش السوري من هناك بعد ما سيتضح أنه أول فصل في مسرحية الربيع العربي. الثورة الصغيرة التي قامت في ساحة الشهداء في بيروت لما اغتالوا رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري. وحتى وقتها لفت نظري أن حزب الله كان يقود ثورة مضادة لصالح النظام السوري من قبل الانسحاب. جمعة قندهار الأولى يوم ١٨ نوفمبر ٢٠١١ في ميدان التحرير ستكون شبه مظاهرات حزب الله في مارس ٢٠٠٥ فعلاً... أنا وفريدة لما اتفقنا أننا لا نتقابل بعد الآن كانت لبنان تُقصف في ما سُمّي حرب تموز

بين حزب الله وإسرائيل. وعلى مدى ثلاثة أشهر هي ظلت تقول إنها تحاول مع زوجها ثم إنها تُطلّق. ثم قالت إنها قابلت طبيباً ثرياً عرض عليها الزواج. ولما قرّرت أنها ستتزوج الطبيب واتفقنا أننا لا نتقابل مرة ثانية كانت لبنان تُقصف أقول لك. وكانت ثورة الأَرْز فشلت فلماذا لما رجع الربيع العربي تفتّح في تونس لم نكن تعلمنا من فشلها؟ الغرض. هم لما هتفوا عندنا في الشارع إن الشعب يريد إسقاط النظام ومع أني تركت أصحابي في الحكومة فعلاً وهتفت معهم لم يجلبوا استهلاكاً وليبرالية ولا أي سحر. هم جلبوا شيئاً مثل حزب الله ثم ظلوا يتكلمون عن بشاعة الدولة الأمنية. يعني أنا أيضاً كنت ضد رأسمالية المحاسيب في لجنة سياسات الحزب الوطني الحاكم التي يسيطر عليها رجل الأعمال أحمد عز من خلال صديقه ابن الرئيس الصغير جمال مبارك. كنت ضد لجنة السياسات وضد توريث الحكم من الرئيس لابنه هذا. لكني اكتشفت أن رفاقي الثوار يتكلمون عن الأوضاع هذه وكأن ما سبقها لم يؤد إليها أو كأن ثمة بديلاً غير إيران. يعني دولة جمال عبد الناصر بعدالتها الاجتماعية واستقلال قرارها الوطني وفهمها الصحيح للإسلام مثلاً هي التي لم تكن أمنية؟ ثم إنهم لا ينتبهون لأسباب وجود الأمن في الثقافة الشعبية وشعاراتية اليسار وسعار التدين. تأكد حضرتك أنك لحد سنة ٢٠٢١ أو ٤٠٢١ بعد عشر سنين أو ألفين وعشر سنة من تغيير اسم جهاز مباحث أمن الدولة ستلقاهم في نفس المكان يهتفون بنفس النبرة وكل واحد فيهم يتناول نفس الكف على قفاه والشعب يهلّل للذي يناول: أمن الدولة يا أمن الدولة فين الأمن وفين الدولة. أمن الدولة يا أمن الدولة إحنا الأمن وإحنا الدولة. هكذا بدل الألعاب النارية عندنا عيل معقّن على المنصة في وجهه سبعة أنبياء يعلنون أرض الكنانة جنة الله وهو يهمس بنبرة الراوي في فيلم ميلودرامي بالأبيض والأسود وكلامه لجمال مبارك: مصر كبيرة عليك،

وأنت ترمش فتلاقي العيل هذا ومعه مليون مؤدلج يبحثون باسمك عن الزعيم القائد الذي سيعلّق المشانق للخونة في الميدان. القصاص والكرامة والمحاكمات الثورية. لكنك ترمش مرة ثانية فتلاقيهم كلهم وأنت معهم تحت الحكم الإسلامي وأي سواق ميكروباص كذاب لا يعرف أن يقرأ ويكتب لمجرد أنه بذقن قاعد تحت قبة البرلمان. أقول لك من الآن إني خُدعت في ثورة ٢٥ يناير. وكل الذي أحكيه لك هدفه أن تفهم فقط أن فريدة كانت هي نفسها الدولة الأمنية. يعني من غير الدولة الأمنية التي يتكلم عن بشاعتها الثوار وربما من غير لجنة السياسات نفسها ما كنت لأشتغل في مكتبة أزمنة وأمارس التصوير العاري. كان ثمة فساد واحتكار طبعاً لكن كان ثمة مساحة للحركة. ومساحة الحركة هذه هي التي أتاحت لواحد فنان تشكيلي وباحث في الفولكلور من معارفي القدامى اسمه ممدوح السجيني أن يفتح المكتبة ويعينّي مديرها. ممدوح سافر قبل وقوع الجريمة ولا زال لم يرجع وهو الوحيد غيري الذي معه مفتاح لباب المكتبة المصفّح. هذا ما يعنيك منه في التحقيق. لكن سيفيدك أيضاً أن تعرف أنه ابن سفير من عائلة كبيرة وأنه يتعاطف مع وضعي لأنه يحب أعمالي الفوتوغرافية. الغرض. اتفقنا على تفاصيل عملي معه من قبل الافتتاح. هو قال إن المهمة تناسبني وإنه يثق بقدرتي على أدائها. وكان يعرف أني أبحث عن شغل بعد ما تأكدت من لا جدوى الوظيفة مالياً ومعنوياً خلال أسابيع من التحاقي بوزارة التربية والتعليم سنة ٢٠٠٣. الوظيفة صحيح تعطيك الاستقرار والأمان ولهذا عملت بالمَثَل القائل إن فاتك الميري تمرّغ في ترابه وبدل ما أقدّم استقالتي أخذت إجازة بدون مرتب. لكن الأمان والاستقرار الذي تعطيه لك الوظيفة هو في حقيقته عدوى تقتل على المدى الطويل. كنت أنظر للزملاء أثناء الوقت الذي أمضيه هناك بلا فائدة وأنا لا عندي شغل أعمله ولا مكان أقعد فيه. بسرعة فهمتُ أن أي

مكسب غير المرتب العبثي الذي أتقاضاه من ساعة ما عُيّنت بوساطة معارف أخي سنة ٢٠٠٤ متوقف على التعريص لرئيس القسم ومدير الإدارة. فهمت أيضاً أن المطلوب هو أن تحس هذه الأعداد اللامنتهية من سعاة الخير وربات البيوت أني أنتمي لفصيلتهم ولكن كيف؟ رجال في بدل مزيّتة يصلون جماعة في الممرات العامة طول اليوم ونساء شكل البلياتشوهات بالحجاب والماكياج يتعاونّ على التدبير المنزلي. كنت أنظر لهم أقول لك فأُلفيهم مصابين. وكنت أرتعب من الموت البطيء الذي أصابهم.

• ٥٥ | تخيل حضرتك •

الإثنين ١٤ مارس ٢٠٠٥-١م-أحداث

تخيل حضرتك أني كل ما أتذكّر فريدة الآن أتذكّر القطاع العام؟ وأول ما أتذكّر القطاع العام تكون الفكرة المسيطرة أن الدولة عدوى هي عالجتني منها. لهذا رأيي في الثورة تغيّر. لما اكتشفت أن المبادئ التي يطالب بها الثوار هي نفسها المبادئ التي قامت عليها الدولة. الوطنية والعدالة والهوية يعني الغباوة والقهر والعقد الطبقية. أنا واحد من الناس كنت أشتغل مع الدولة فعلاً ضد المبادئ هذه ولما قامت الدنيا كان عندي أمل تكون قائمة بنفس المنطق. كان لي ست سنين تقريباً أشتغل مع الدولة وكل شغلي هذا كان بالتوازي مع تطوّر المكتبة كمكان يرتاده أحياء. لأول مرة ظهر قدام عيني أن في البلد أحياء يعيشون الفن والجنس حتى لو كانوا متعبين وفقراء. وكان جسم فريدة الأبيض هو الدليل على وجودهم. أنا فاكر صوتها أقول لك:

عارف يا باو. فريدة الوحيدة التي تقول لي يا باو. كنت أفكر ووصلت لحاجة. المكتبة هذه معمولة لمتعتي. وسط صدرها كان متورّداً أكثر من وجهها مع أنها مكسوفة ووجهها متورّد. نظرت لجرح الولادة القيصرية على بطنها وكان تحته بقايا شعر بنفس سواد ونعومة شعرها. حتى من فوق الهدوم أشم هياجها. رائحة بروتينية ثقيلة ولكن مسكّرة على عكس رائحة مون. مون رائحتها نباتية وحادة تشدك كالمغنطيس ولا تظهر إلا بعد ما تشمشم عليها. لكن فريدة رائحتها ظاهرة. كانت تقول: المكتبة وبدرومها والذي في البدروم. أنا أتكلم بجد. ثم قامت من على السرير ومن غير مقدمات لقيتها كلها قدامي. فريدة طويلة وكبيرة وساعة ما تقف وأنت قاعد تملأ مساحة نظرك. بياض لحمها الكثير المتماسك وبقعه المتوردة. في اللحظات هذه ساعة ما تنظر لي وهي جادة لأنها مكسوفة أو متضايقة كنت أحس أنها طفلة صغيرة وأنها بنتي. بطريقة مستحيل تحصل مع مون قصدي. قلت في عقلي إنه لولا ثراء أهلها المتدينين على الطريقة الوهابية لما حادت عن الطريق المرسوم لها متأخرة جداً هكذا بعد ما ابنها الكبير دخل الجامعة وسنها حوالي خمسة وثلاثين. كانت قلقة من أنها عجّزت لكنها كانت مراهقة جداً في طريقة حياتها ورغاية. كانت رغّاية وأنا أخبّئ عليها أني زهقان من كلامها عن المشتريات وأماكن شرائها الأكل الماكياج المجوهرات الملابس الديكور الفنادق الشواطئ الكافيهات المولات ثم محافل وسط البلد التي تتمسخر على فقرها الريفي بنبرة برجوازية. هي لم تتجرّأ على الذهاب لوسط البلد إلا في السنة الأخيرة أصلاً لكن على ما جاءت مكتبة أزمنة كانت لقيت نفسها هناك. كنت أضجر من كلامها لدرجة أني حتى اليوم لا أعرف قصتها بالتفصيل. أو ربما الذي أضجرني هو ما عرفته سواء من فريدة نفسها أو من مصادري التي تجلب لي معلومات من قبل حتى ما أقابل وديع بيه. طول ما كنا مع بعض لم يستقم لي التعامل من وراء لأن وضع الركوع يفسد

عليها المتعة. أحس أني حيوانة تقول وهي تتنهّد. ثم إني أحب أشوف
وجهك. حتى لو مغمضة أحب أكون عارفة أن وجهك في وجهي.
قدامك أُم من عائلة بلغت من العمر سبعة وثلاثين وأنت لا ترى إلا
طفلة تلح على الذي خَلّفها ليفهم ما بها. طيب أنت نفسك معمول
لمتعتي. وحطت يديها في وسطها. عندك مانع؟ أيامها توصّلت لأن
كونها بنتي هو الذي يخفّف ضجري بآرائها أو فراغ دماغها من الآراء.
تعرف كيف يشعر أي واحد ناحية طفلة أمضى وقتاً يرعاها ويلاعبها؟
خلاف الشهوة يعني ممكن تأكلها. ممكن تأكل اللحم الأبيض المتكوّر
فوق الغمازتين هذا تأكله أكلاً. وكل غضبك يروح وهي تتحداك بيديها
في وسطها أو تمص إصبعها ويتورّد وجهها لأنها مكسوفة. تكون فوقها
مشغول بالرهز المركّز الذي تحبه منك وفجأة تكتشف أن وراء السواد
المصمت لبؤبؤ عينها هذا حاجات سائلة تترقرق. أحب المتعة يا باو
لكن متعة من غير خروج وتحت الأرض هذه جديدة عليّ. ثم تظهر
الغمّازة في الخد الذي عليه نور الأبجورة من تحت كأنه سبوتلايت
مقلوب ولا رعب في المشهد. وهل فرحت بفريدة لأني فرحان
بنفسي؟ كنت جلبت شريف ليشتغل معي بعد ما بدأت أنظم برنامجاً
شهرياً للنشاطات الثقافية وكانت ناس كثيرة جداً تتحمّس للمشاركة.
هو ذا الذي أقنعني بالاستمرار في العمل السري أيضاً. من أجل هذه
الناس وفرحتها. من أجل منظر تمثال لينين وهو طائر في الهواء. شريف
دينامو يمكن الاعتماد عليه وصاحب مخلص في الملمّات. معاً نظمنا
عروضاً لفرقة الطنبورة البورسعيدية وفرقة وسط البلد وحتى فرقة مسار
إجباري بعد ما تأسّست بأسابيع. عملنا توقيعات كتب لجلال أمين
وبهاء طاهر وصنع الله إبراهيم والمرحوم إبراهيم أصلان وعملنا ورش
وندوات لكُتّاب شباب مثل عمر طاهر وبلال فضل ونائل الطوخي
ومحمد عبد النبي ومحمد خير. جلبنا الفنان التشكيلي عادل السيوي
والمخرج المسرحي حسن الجريتلي وكاتب الرأي المرحوم محمد

سيد أحمد والراقصة كريمة منصور. كريمة منصور قدمت عرضاً وورشة يوم واحد وكنا أفرغنا لها الغرفة الكبيرة. وحصل إقبال كبير أيضاً على معرض فوتوغرافي للمصورة رندا شعث عملناه في نفس المساحة. أنا وفرتُ للزوار نسخ قراءة ووايرلس إنترنت مجاناً فزادت أعدادهم بشكل رهيب. وأكيد كنت رأيت فريدة وتكلمت معها بلا تركيز وسط كل هذا قبل يوم تعارفنا. أنا فاكر. المكتبة كانت زحمة وأنا وسط الزبائن لما جاءت ووجهها في الأرض ثم خلعت نظارة الشمس في حركة واحدة سينمائية ورفعت لي وجهها. فاكر أن شعرها كان ثقيلاً جداً وأن خصلة منه كانت على عينها الشمال فلما انزاحت مع حركة رأسها من قبل ما ألتفت لعينها اليمين ظهرت عيناها معاً كأنهما شريط أسود. الشَعر والعينان وكل ذلك السواد اللميع وسط بياض البشرة. بياض ناصع للبشرة. ولا أعرف لماذا يوم أقابل مون في محطة مصر سأنتبه لتجعّد شعرها ولونه البني الفاتح الذي لا يتغير. كم هو مناقض لشعر فريدة. تماماً كما كان فراغ دماغ فريدة مناقضاً لما في دماغ مون من كركبة. ولا أعرف لماذا سأتذكر فريدة دوناً عن أي واحدة ثانية إلا أن يكون لعلاقتنا بين ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ وذلك الوقت الخالي من صديقي الأفريقي مترينانكا وجماعة الشعراء التي كنتُعضواً فيها صلة باطنية بظهور مون في حضرة القبائلي الشرير وذكريات الجماعة الشعرية الآفلة. اسمها فريدة منصور التتش والمفروض أقول عنها المرحومة آه.

• ٥٤ | فريدة •

الإثنين ١٤ مارس ٢٠٠٥_٥م_لقاءات

كان أغرب ما فيها اتزانها. لا شيء في الكون يمكن أن يمس ذلك

الهيكل المتماسك أو يجعل حلمتها الذهبية الكبيرة كعقلة الإصبع هذه تنكمش. لو كانت ماشية للمكتبة وتحوّلت عمارات شارع قصر العيني من حواليها لدينصورات تتمطّى ما كانت خطوتها لتتأثّر أو هكذا كنت أحس. وهذا ما جعلها التجسد الحي لقدوم الرأسمالية.
لا يوقفها شيء. فريدة طويلة وبيضاء جداً جلدها تقريباً شفاف. وهي متعاونة وحاضرة بكل الذي عندها. صحيح أنها ليس عندها الكثير لو قستَ قياس الدماغ. لكن الذي عندها أكثر من كافٍ للاحتفال بالشفاء من الوظيفة الحكومية والإيمان الكامل بالهليكوبتر تلك التي في الفيلم والناس تهتف. أنت عندما تقبّل امرأة تشتهيها وأنت تجرّها من حلماتها وريقك على ريقها وعندما تكون بيضاء وطويلة وشعرها ثقيل وأسود وعيناها كذلك وهي مستسلمة ورائحتها في مناخيرك تؤكّد لك استسلامها يختفي إحساسك بالوقت وتغيب في فيلم اللحظة.
هذا ما ظل يحصل مع فريدة. وكان يحصل بقوة لأن لا شيء جاد بيننا لا معلومات ولا حقائق. وكأننا اتفقنا أن لا نتبادل حتى أسماءنا لنظل وقد تتابعت مقابلاتنا سراً في غرفتي الخاصة في المكتبة من غير ذاكرة إنسانية تفسد فرحتنا. أغرب ما فيها اتزانها أقول لك وفراغ دماغها.
بسرعة فهمت أنها لا تخبّئ ذاكرتها علي بقدر ما تسكب في علاقتنا ذلك الفراغ. ولم تقلّ شهوتي رغم فزعي من الشر المترتب على ذلك.
أول مرة خلعت هدومها كان بالليل ولا نور إلا الأبجورة الصغيرة.
كانت ليلة هادئة جداً ليس في محيط المكتبة فقط ولكن كما بدا في القاهرة كلها. وحديث الشهوة بدأ من غير خمرة ولا حشيش في كافيه قريب. كنت عزمتها على قهوة هناك لما جاءت تدردش معي لثالث مرة قبل موعد إغلاق المكتبة بقليل وبدا أنها تنتظر دعوتي. وهي تصرفت كما لو أن رجوعها معي للغرفة أمر مفروغ منه مع أني لم أطلب. في الطريق أعلمتها أني أبحث عن موديل عارية ولما ألمحتُ لأنها ربما

الشخص المناسب وهي قاعدة على السرير وأنا متربع على الأرض تحتها قامت خالعة هدومها من غير خجل أو تردد. كأنها في عيادة دكتور لإجراء فحوصات دورية. لكني كنت شممت هياجها قبل ذلك ومددت إصبعين إلى مصدرِ الرائحة والكاميرا لا زالت في جرابها وكان دفء ولزوجة ولم يوقفني شيء. قلت لها: لما قلت لك موديل كان قصدي موديل ليس واحدةِ أنام معها. وفوراً بان في وجهها الضيق الطفولي هذا الذي يعمل منها بنتي. كان دفء ولزوجة وشيء ينقبض على إصبعي. وهي لم تشهق لحد ما قلت: لكن لقيت الاثنين.

• ٥٣ | عيّل علّموا عليه •

الأحد ٦ أبريل ٢٠٠٨-١٠ص-أحداث

عيّل علّموا عليه في قسم قصر النيل جاء يشتكي لي. (هذا ما كان يحصل أيام حركة شباب ٦ أبريل وحركة كفاية وكل هذا الكلام. كان يحصل من قبلها طبعاً لكن بدأت أنتبه له في هذا الوقت. والإخوان المسلمون أيضاً كانوا شادين حيلهم من تحت لتحت مع أنهم يأخذون على دماغهم أول بأول. الشراميط.) عيّل حلو ومخنّث لدرجة أن الواحد ممكن ينتصب وهو قاعد جنبه شغّال معي من مدة واسمه أشرف بيومي. علّموا عليه فجاء لي البيت. أنا أول ما شفته بصقت وأعطيته ظهري. يوم ٤ أبريل كنت بعثتُه مظاهرة صغيرة لا يَعرف الغرض منها في ميدان طلعت حرب وكان المفروض يرجع لي في نفس اليوم. وطّى يمسح بصقتي عن العتبة بكم قميصه وحدف نفسه علي يحك فمه في قورتي. قال: اسمعني لو سمحت. ثم دخل ورائي وطلب كباية مياه. قال إنه لما كان في المظاهرة

جاء واحد يتكلم معه بطريقة لم تعجبه ففتح عليه المطواة. الواحد هذا كان ضابط مباحث وأشرف لا يعرف. في البوكس قال لهم إنه مخبر أمن دولة لكن زوّدوا الضرب. وصف لي بالتفصيل. كانت الكلبشات في يديه وراء ظهره وكان في البوكس مقبوض عليهم آخرون أكثرهم من غير كلبشات لا يعرف ما جرى لهم بعد ذلك. قال للعسكري القاعد جنبه إنه كان وسط المتظاهرين ليتجسّس عليهم وينفّذ الأوامر وإنه تصوّر أن ضابط المباحث من قيادات المعارضة. ضحكت مع نفسي في هذا المقطع. أصل الحقيقة فعلاً كثير من أعضاء حزب التجمع شبه ضباط المباحث. والعسكري سمع أشرف بتعاطف ومسد له شعره واقترب منه على الدكة لحد ما حط يده على فخذه فقام آخر في ملابس مدنية من على الدكة المقابلة لكم العسكري وقال له: قم يا خول. والعسكري قام وهو يتأوه ويضحك ضحكة مائعة. كان يمسك مكان اللكمة في وجهه. الرجل غمّى لأشرف عينيه بقماشة سوداء وحط له كرة شراب في فمه. أدخلها لآخر حلقه فعملت له مشكلة في بلع ريقه وغثياناً شديداً والبوكس يتحرك بسرعة عكس اتجاه السيارات لحد ما تمكن من إبعادها عن المكان الذي يعمل له الغثيان بفكيه وبدأ يتنفس بعمق من أنفه. كان تأثير الكرة الشراب أنه هدأ تماماً وسكت عن الكلام والحركة لحد ما أخذوه لحجرة في قسم قصر النيل وفكوا يديه ونزعوا الغمامة ولما بقيت الكرة الشراب في فمه سألوه أنت مبسوط بها في فمك؟ فأخرجها وهو يبلع ريقه ويأخذ نفساً ويسعل وكانت مبلولة ومقرفة. فَهِم أنهم قرفوا من أن يخرجوها له. أعطوه سيجارة كيلوباترا سوبر وكباية شاي ثقيل وأجلسوه. وبعد ساعتين جاء ضابط من خارج القسم شكله ابن ناس ولا يتكلم. أشرف فَهِم من تصرفاتهم أنه شخص مهم. ولما أخلوا لهما الحجرة انبطح يبوس رِجله وترجّاه أن يتّصل بالباشا الكبير. الضابط ركله في رأسه ليبعده وهو يقول: الباشا الكبير عارف أنك هنا

يا بن الشرموطة. كان صوته في منتهى البرود وهو يركله وكل عضلاته ثابتة. وكانت هذه الجملة الوحيدة التي قالها له الضابط ابن الناس قبل ما يختفي. الظاهر جاء ليتعرّف على وجهه ويذهب. أشرف قال لي إنه خاف أن يذكر اسمي لأني كنت حذرته لكني شككت. قال إنهم قبل ما يدخل الليل كانوا ربطوه وشغّلوا الكهرباء. حطّوه في شقة بدروم قريبة من القسم وشغّلوا الكهرباء في دماغه وخصيتيه وقدميه وهو يترجّى ويقول إنه مستعد لأي شيء. ثم كتّفوه وهو عريان بعد ما بال على روحه وواحد جاء بنصف عصا مكسورة أدخلها فيه من تحت لحد ما جرحه وثبّتها في شرجه. هزه وهي متدلية ليضحكوا على منظرها لكن بعدها فك الرباط وخرج يشتم ويضحك. سألتُه: فاكر شكله؟ فقال: أطلّعه من وسط مليون. بعدها خرج الباقون وفاتت مدة طويلة من غير لا أكل ولا نور وهو مرمي على الأرض. سألته عن نصف العصا فقال إنها وقعت من نفسها. فات يوم بليلة أو أكثر ولا أحد يجيء ولا صوت. لكن ثالث يوم لما أفاق ولبس هدومه الوسخة بصعوبة من شدة الوجع والحرق سمعهم من وراء الحائط يتكلمون عن مظاهرات جامدة جداً في المحلة الكبرى. واحد منهم شخر وهو يقول: أولاد المتناكة كانوا عاملين دعوة للإضراب العام على الفيس. أشرف قال لي إن الرجل شخر مرتين. مرة قبل الإضراب العام ومرة قبل الفيس. سأل نفسه مال فيسبوك ومال المحلة الكبرى. وشك أنه يهلوس لأنه مفكك من بعضه وشرجه كأن نصف العصا لا زال فيه والكهرباء تكتم نفسه كلما ذكّره ألم العضلات. لكن رجع تأكد لما تحامل على نفسه وزحف للحائط فسمع الرجل يقول: التاريخ كان ٦-٤. وسمعهم يقولون إن العيال الذين أُخذوا من ميدان طلعت حرب ليسوا هم المقصودين ولا مانع أن يرجعوا منازلهم. ثم حل صمت مؤقّت والأول الذي شخر رجع يقول: إضراب عام على الفيس. فكّر أن ينادي عليهم ليترجاهم في الرجوع لمنزله لكنه

اكتشف طرقة في آخرها سلالم معدنية تؤدي لباب خلفي مفتوح فعلاً. وبمجهود خارق طلع من العمارة يعرج ويدعك عينيه في النور. لقي نفسه في جاردن سيتي ثم في شارع قصر العيني وظل يعرج وهو يلهث كأي مجنون سرّحوه من مستشفى العباسية لحد ميدان التحرير. قال لي: كانت رحلة تاريخية. كانوا قالوا له لو تكلمت مع أحد أنت حر. فأكل وغيّر هدومه في شقة واحد صاحبه في شارع محمد محمود من غير ما يحكي لصاحبه. حتى لما انهار وبكى ظل صامتاً. وكان سيجيء لي في ساعتها لكن غلبه النوم وأول ما صحا جاء يحكي لي. دمّع من جديد وهو يقول بتمسكن: هذا جزائي يا باولو؟

• ٥٢ | الفولكس بيتل الصفراء •

الأحد ٦ ابريل ٢٠٠٨-١١ص-لقاءات

أنا قلت لأشرف إنه رجل ولا أحد يعلّم عليه. وناولته سيجارة حشيش نظيف كانت ملفوفة جاهزة يدخّنها لوحده. القط طلع من مخبأه على رائحة السيجارة وقلت لأشرف: أصل سلطان صاحب مزاج. قطي الأسود اسمه سلطان. وضحكت من وراء قلبي لأني مشغول بحاجة مهمة ستحصل في الشقة التي اشتريتُها باسم عيّل ثان وسط منطقة خلاء في القاهرة الجديدة. سعيد عطوة الثخين الأعور الذي اتفقت معه أن أشتري له شقة مقابل استخدامها من وقت لآخر من حوالي سنة ومن ساعتها وهو يهدّد الناس بأمن الدولة ولا يتورّع عن ذكر اسمي. وديع بيه وبّخني بسببه. وكأن القط ذكّرني أنها الآن فقط تفيق. تليفونها مسروق ولا تليفون أرضي والباب مقفول والشبابيك كذلك وهي أصلاً في

عمارة شققها فاضية وسط خلاء القاهرة الجديدة. واحدة تقضي ليلة مع حبيب قديم يأخذها لشقة بعيدة في سيارته الفولكس بيتل الصفراء. يصورها وينام معها ويسقيها نبيذاً ثم تنام في حضنه وهي لا تعرف أن في النبيذ منوماً قوياً ولا تصحو إلا بعد أكثر من أربع وعشرين ساعة. ولا بيتل صفراء مركونة تحت العمارة. يا ترى أكلتْ من الطعام الذي تركتُه لها؟ وعطوة الذي بات عند أخيه في عين شمس هل بان عليه أنه سيرتكب جناية في اليوم التالي أو يعني ينفذ عملية مهمة لصالح أمن الدولة كما يَعتقد؟ قلت لأشرف: وأنا الذي ظننت فيك الظنون. وبششت في وجهه وهو يدخن. كنت أقول لنفسي لو طلع أنك قلت اسمي يا أشرف سترجع مكان ما كنت ولا تخرج من هناك إلا على مقابر الصدقة. عارف مقابر الصدقة؟ لكن كنت مشغولاً بفزعها الذي قطع ما بيننا للأبد. أصعب حاجة ليس أني لن أنام معها ولكن أني لن أصورها مرة ثانية. وبعد ما ضاحكتُ أشرف ضممته من كتفيه وقلت له: سآخذ لك حقك. عرفت منه تفاصيل الشخص الذي أدخل فيه العصا ثم عملت تليفون قدامه سألت فيه لو اسمي جاء في وقائع أمن دولة في الأيام الأخيرة ووُعدت برد سريع. حاولت أن أوحي لأشرف وأنا أتكلم أن الغرض من المكالمة هو البحث في ما جرى له. ثم أعطيته خمسمئة جنيه وقلت له: روّح. كان ينظر للفلوس ويتنهد وكأنه يقول إن ما جرى له يساوي أكثر. وكنت على وشك أن أضربه على وجهه لما خرج بسرعة يهمس لي بطريقته المخنثة: ماشي. بعدها بربع ساعة ذهبت للمكتبة. فتحت بالمفتاح ونزلت على غرفتي في الظلمة طلّعت الطبنجة من الدرج المقفول. عمّرتها ولمعتها بقماشة العدسة ثم أسقطتها من غير ما ألمسها في الشنطة التي كنت تركتها هناك وهي الأخرى داخل كيس بلاستك من ساعة ما لمعتها. كان في الشنطة هذه تليفونها وفردة حذاءها وخمسة آلاف جنيه. أسقطت الطبنجة على الوجه ليجدها عطوة أول ما

يمد يده. عندي ثلاث قطع سلاح أتركها في هذا الدرج مع ما يتوفر دورياً من ذخيرة ٩ مللي: فرد ميري ماركة حلوان وقطعة بيريتا أصلية إم-٩ ١ ٥ إيطالية الصنع تقريباً مطابقة للفرد لكن أدق وأسرع ثم المسدس الكِل-تِك بي-١١ الصغير من أحدث وأخف الأسلحة الأمريكية. هدية وديع بيه التي أتفاءل بها ولو عُزْتُ أستعمل طبنجة لا أستعمل إلا هي. ليلتها طبعاً أخذت الفرد الميري. وكنت أفكر كيف سأستبدله وأنا في طريقي لقهوة فيينا في شارع قصر العيني على بعد ربع ساعة مشي. اخترت الركن الفاضي لأقعد وطلبت قهوة سادة بن ثقيل. الحزن داخل عليّ. وفكرت أن أحسن حاجة في الظروف هذه خط كوكايين ينزع الستارة السوداء من قدّام وجهي بعنف. لكن لو بدأت من يعلم متى أنتهي وأنا أصلاً لا عندي ولا معي أشتري. كلّمت عطوة وصوتي مدفوس في كمي وقلت له أن يقابلني في دار سيرين للنشر. مكان آمن كلنا نتردّد عليه. كان صوته مضطرباً وهو يسأل عن السلاح. قلت له إن كل شيء جاهز وإنهم مبسوطون منه. ثم شربت القهوة على مهلي وتلكأت للتحرير لأن عطوة مشواره طويل والقعدة في دار سيرين ليست دائماً ممتعة. الستارة السوداء أغمق وأنا طالع على سلم العمارة في أول شارع قصر النيل. ولما شفت نفسي في زجاج وراءه أبلكاش تذكرت حدبتي وبشرتي التي تشبه الخشب المقشّر ووزني الزائد ثم الطيبة التي بدأتُ بها حياتي في أماكن مثل هذه مع الفتيس ونايف. تذكرت أني لما جئت دار سيرين أول مرة سنة ١٩٩٩ أو ٢٠٠٠ كان فيه قحاب يضحكون علي. ولأن نايف والفتيس في بالي تحسّرت على نايف. كان الحزن ملكني كلي لدرجة أني سألت نفسي لو كان لمشكلتي مع عطوة حل غير هذا. كل مرة يكون الموت محزناً أكثر من المفروض. الشر لا في الحاجات ولا في ضرورتها. الشر مجرّد نسيان أن الحاجات الضرورية ليس المفروض أن تكون محزنة. كنت وقفت على السلم والآن أفقت على شاعر [illegible]

أخذني بالحضن. يقولون عن كتابته جيدة. قال إنه مفتقد كتابتي ولم أحس بضرورة أن أُعلمه أني بطّلت أكتب من عشر سنين. المودّة في دار سيرين مثل الزلط في موقع بناء. ومن قبل حتى ما أتفقّد الموجودين بحثاً عن عطوة كان في يدي قزازة بيرة وفوق رأسي روائي شاب لا أعرفه يبوسني من الخدين. لقيت عطوة في الطرقة يدردش مع السكرتيرة المحجبة وفي يده بقية سيجارة ملفوفة. دائماً يصدمني ثخنه وبشرته الرمادية وغلاظة ملامحه والتعبير الذي يعطيه لوجهه البياض الوسخ هذا الذي ينفرد بعينه كلها. عطوة عنده عين من غير بؤبؤ لا يشوف بها. لكن تخيّلت عبث اللحظة الأخيرة في حياتها. لا شيء غير هذا الوجه وثلاث طلقات في الدماغ. فرجع إحساسي بالكوميديا وغالبت الضحك.

• ٥١ | عطوة •

الأحد ٦ أبريل ٢٠٠٨-١م-لقاءات

عطوة كأنه ارتجف أول ما شافني في دار سيرين. والسكرتيرة جاءت تسلّم ثم انشغلتْ مع شخص ثالث في آخر الطرقة. أنا فتحت له الكيس البلاستك ليخرج منه الشنطة وقلت له بصوت عال: ها هي الكتب التي طلبتها. كوّرت الكيس في يدي لأرميه ثم همست: خذ تاكسي ولا تفكر مجرد تفكير في فتح الشنطة إلا وأنت في البيت وجاهز للتنفيذ. ووضعتُ على وجهي نظرة واحد لا يمزح وأنا أقول له بصوت عادي: رن لي أول ما توصل. بقيت في مكاني حتى سلّم على الناس وخرج. ليلتها استمتعت بقعدتي القصيرة مع الشباب في الدار. لم أكمل قزازة البيرة لأن البانجو كان حلواً وكثيراً. وكنا نناقش رواية بهاء طاهر واحة

الغروب لأنها فازت بجائزة البوكر العربية في أبو ظبي في أول دورة لها الشهر الماضي. البوكر العربية هذه كانت الناس متحمسة لها بشكل غريب. وكنا متفقين أن واحة الغروب أسوأ روايات بهاء على الإطلاق وأن رواية مكاوي سعيد تغريدة البجعة التي كانت معها على القائمة القصيرة أحق منها. لكنه شيء جيد أنهم أعطوا أول جائزة لكاتب محترم مثل بهاء يعني مهم لمصداقيتها. والروائي الذي كان يبوسني لما سمع الكلام هذا بدأ يشخر من غير سبب وبعد كل شخرة يضحك لوحده. كان يقول: يا رجل بلا بوكر بلا بهاء. لاحظت لأول مرة أنه طويل جداً ورفيع جداً ولون بشرته غامق بدرجة ملفتة. والبانجو جعل الكلام بطيئاً ومضحكاً لحد ما واحد قال بمنتهى الجدية: صحيح هم عندهم كلام كويس في الإمارات لكن الحقيقة تغريدة البانجو أحسن من واحة البجعة. وكان الروائي الذي يشخر بدأ يبكي ونحن ينقطع نفسنا من الضحك. هو الآخر منظره كوميدي وجذعه الرفيع الطويل جداً هذا ينثني وينفرد وهو نصف جالس على حافة الكنبة كأنه كبوت سيارة. ثم قام على حيله وهو يبكي وقال إنه طالع السطح. وفعلاً طلع السطح وثلاثة طلعوا وراءه. كان سيرمي نفسه من فوق وهو يشخر ويبكي. أنا قلت للذي جنبي وأنا أناوله السيجارة قبل ما أقوم: فعلاً يا أخي تغريدة البانجو أحسن من دماغ البراندي المحلي هذه. يخرب بيت الأدب. لأني استغلّيت الفرصة لما خرجوا ليلحقوا الروائي فخرجت وراءهم ومشيت من العمارة بسرعة قبل ما يلح علي أحد في البقاء. في الشارع رن لي عطوة فكلمته مباشرة وأنا على رجلي. قال إنه على باب الشقة وقلت له: قشطة عليك يا بطل. ميعادنا بعد نصف ساعة من الآن. من البيت كلمت صاحبي الضابط الذي لي فترة أُخبره عن جنايات تفيده مقابل خدمات كثيرة يعملها لي. وكنت قلت له أن يحط عينه على الفنان الشاب سعيد علي السرساوي عطوة. من غير سلامات الآن قلت له: فاكر جريمة القتل التي حكيت لك عنها من يومين؟ طلعت الحكاية بجد يا باشا. جاءتني

معلومات مؤكدة من دقائق وهي ذي فرصتك لتتحرك. العنوان معك؟ طيب. خذ قوة حالاً وستضبطه متلبساً وحلال عليك الترقية. اسمع يا باشا. هو سيهلفط بكلام كثير ويقول لك أني متورّط معه وحاجات من هذا النوع. أي حاجة إلا أن يجيء اسمي في التحقيق معاليك. أنت عارف... وبعد ما طمأنني شربت ربع قزازة ويسكي كان باقياً عندي مع قرصين فاليوم وأنا أسمع أغنية لما أنت ناوي تغيب على طول ثم قفلت التليفون ونمت. لما صحوت بدأت أدوّر على التوكيل الذي كان عطوة عمله لي ونسخة عقد شقة القاهرة الجديدة وأوراق أخرى كان المحامي طلبها ليبدأ إجراءات بيع الشقة: ابن القحبة سيأخذ ثلث ثمنها. كنت نسيت حكاية أشرف. ولما فتحت التليفون لقيت موظف وزارة الثقافة الذي كلمته البارح قدام أشرف ووعدني برد سريع مكلمني. تحمست لكن عملت قهوة ثقيلة قبل ما أرد له المكالمة. قال لي إن اسمي لم يجئ في شيء. وأفهمني أنه عارف: عيل شغال معي تبهدل في قسم قصر النيل لكنه لم يقل شيئاً عني وهم تركوه يهرب ثالث يوم. ساعتها عرفت أن أشرف موثوق فيه. وقلت لموظف وزارة الثقافة: طيب كان فيه واحد حط له حاجة من تحت والولد صعبان عليه نفسه. ممكن يعتذر له ولا صعب؟ قال لي إنه سيجري اتصالاته ليرى وذكرني بفنانة الفيديو التي كنت وعدت أن أعرّفه بها على أساس أنه أيضاً فوتوغرافي شاب. كنت أعرفها جيداً من خلال نشاطات المكتبة وهي بنت رجل أعمال معروف هو في الحقيقة تاجر سلاح. قلت له: خلال أسبوع يا معلم. قشطة؟ في ما بعد والأخبار تتوالى عن إضراب عمال المحلة وجهود التضامن ثم وقفات شباب ٦ أبريل الاحتجاجية بالملابس السوداء في صفوف على الأرصفة كل واحد يقرأ القرآن أو الإنجيل في صمت والتقارير تصلني عن الاعتقالات وحملات الاغتيال المعنوي كان مترينانكا صاحبي القبائلي الأفريقي في بالي. أول ما أغمّض أرى أسنانه المكعبات. هو الوحيد الذي يعرف أني لا أهتم. أخبار تحقيق

ومحاكمة سفاح القاهرة الجديدة هي التي تهمني: شاب من عين شمس خريج فنون جميلة يختطف سيدة مجتمع شابة أم لأربعة ويحتجزها يومين في شقة في منطقة معزولة ثم يقتلها بثلاث طلقات في الرأس من سلاح ميري مسروق لا لشيء إلا ليأخذ تليفونها المحمول وخمسة آلاف جنيه؟ والغريب أن الحكاية عدّت على هذا الأساس ولا أحد فكر يبحث أكثر. كان زوجها المذهول يؤكد كلام مقدمي برامج التوك-شو عن بشاعة الجريمة وتفاهة دوافعها وضرورة الإعدام... وأشرف لما جاءني مرة ثانية كان الرجل المعروف باسم صلاح نصر ينتظره. أخذت أشرف بالحضن وأدخلته عليه ثم فتحت مطواة ناولتها له. ومن غير كلام ضربت صلاح نصر على وجهه وهو قاعد. ثم وقفت أتفرج وهو يقوم وينحني ليزيح اللباس عن مؤخرته والعيل المخنّث الذي اسمه أشرف بيومي يحفر في اللحم البارز خطاً عميقاً بالمطواة ثم يخطو لوراء ويتفرج قبل ما يخبط على ظهر الرجل إيذاناً له بأن يرفع البنطلون.

• ٥٠ | حزناً حزنت لأني أسد •

الأحد ٦ أبريل ٢٠٠٨ـ٥م ـ أحلام

كلام باولو بن بغاغو من الذين في ميدان التحرير:

يوم ٦ أبريل ٢٠٠٨ بالليل فريدة جاءتني في المنام. أنا عامر محمد أبو الليل جاءتني فريدة منصور التتش في المنام. وقالت لي إنها محتاجة الأورجازم معي وأحلى شيء أن أصورها. هذا كان في بداية المنام في طرقة دار سيرين والسكرتيرة المحجبة واقفة معنا. ناولت فريدة كيس

بلاستك فمالت علي وهي تهمس في أذني وبهذا الكلام كلمتني. بعدها كنت في قهوة فيينا في الركن الفاضي وهي آتية عليّ. لكن كأن شارع قصر العيني ثعبان وقهوة فيينا رأسه وأنا قاعد في الرأس وفريدة آتية عليّ من عند الذيل من بعيد. وكان ورائي فراغ كأنه الفضاء الخارجي حيث يفتح فمه الثعبان وتنتهي الدنيا التي نعرفها أنا وهي والآخرون أيضاً في المنيرة وجاردن سيتي والتحرير في وسط البلد. فريدة كانت آتية على قدميها ماشية مشياً وسط الشارع. والعمارات التي هي أحشاء الثعبان كانت تتراقص من حواليها فترى العمارة تنثني وتنفرد قدامها أو وراءها مثل كوبرا عملاقة وهي ماشية. وكانت مع أنها بعيدة وحجمها صغير في المنظور وجهها في وجهي أيضاً كما يكون حجمه لو هي قاعدة معي أو أنا راقد عليها. الدنيا مطاطية داخل هذا الثعبان كأنه لا صلب ولا سائل ولا غاز فقط هذا المطاط الذي فيه كل شيء. وفريدة آتية فيه. وكنت أنتظر أن أرى على وجهها التعبير الذي أحبه هذا الضيق الطفولي الذي أحبه لكنها بجمود تنظر وتتنفس بانتظام مع تراقص العمارات وزلزلة الأسفلت وأنا قاعد. ولما اقتربت كنت أنادي عليها وكأني أكلّم وجهها الذي قدامي بلا صوت أقول لها إني جاهز لتصويرها الآن. كانت تنظر والجمود على وجهها أيضاً لما اكتشفتُ أني فيها وهي تحتي أرهز وأقول لها يجب أن نموت الآن. والأورجازم كان يورّد وجهها وهي لا تتكلم وكانت في الوقت نفسه آتية علي وأنا قاعد في قهوة فيينا والعالم المطاطي في شارع قصر العيني كأن القيامة قامت فيه في جسم الثعبان.
بعدها راح وجهها من قدامي وبقيت خطوتها وقد اقتربت وهي آتية.
شكاً شككت في شكلي وبدأت أبحث عن مرايا لأني أشك أن لي وجه أسد وليس وجه إنسان. لكن لم تكن مرايا في قهوة فيينا كلها والثعبان في الفضاء الخارجي يتلوى. ميلاً تميل العمارات وفريدة آتية. ثم كانت مقرفصة على حشيش أخضر وذراعها فوق رأسها على شكل مثلث يبرز

نهدها. وكانت الخلفية من فوق الحشيش سماء بسحاب مختلفة ألوانه وبين فخذيها تفاحة خضراء محشورة حشراً بين فخذيها. كنت مقرفصاً من قدامها وعلى عيني النايكون لكن ليس تحتي حشيش ولا خلفي سماء. وفريدة تحولت لكارت بوسطة في يدي وعلى التربيزة التي قدامي مسدس كِل-تِك بي-١١ وعلبة كبريت. بعدها جاء القهوجي وفتحت فمي لأطلب قهوة سادة مع سيجارة بانجو منجاوي أشعلها بالكبريت. ولوح شيكولاتة أيضاً طلبت لأني أكون جوعان وأريد شيئاً مسكّراً بعد ما أشرب بانجو. لكن لما تكلمت خرج من فمي زئير وكان الزئير مخيفاً وزاد تراقص العمارات التي تمشي في وسطها فريدة. وساعة ما تأكدت أني أسد عرفت أن الثعبان الذي أنا في رأسه سيبصقني للفضاء الخارجي لأني أسد وهو لا يحب أن يقعد في رأسه غير إنسان. كان المهم أن ألحق أكلّم فريدة قبل ما يبصقني ويظهر في وجهها شيء غير هذا الجمود أو يخرج منها صوت مرة ثانية بعد ما ترى أني أسد. وتذكرت أنها لما همست لي في طرقة دار سيرين كانت تنظر بجمود أيضاً. وكان الأورجازم يورّد وجهها وأنا أرهز لكنها آتية من بعيد من ذيل الثعبان. أخيراً لما رجع وجهها بحجمه كما لو كانت قاعدة معي قالت لي إن أحلى شيء أن أصورها فعلاً وإنها ممكن تموت الآن بشرط أن يكون معي الأورجازم. وحزن أسود دخل عليّ مثل ستارة غامقة وأنا أسحب البانجو على صدري وأكتمه وكلما حاولت أن أتكلم سمعت زئيراً مخيفاً وزادت القيامة القائمة في شارع قصر العيني في وسط البلد. حزناً حزنت لأني أسد ولأن الثعبان سيبصقني وفريدة تنظر بجمود وهي مقرفصة على الحشيش وذراعها فوق رأسها ونهدها الجميل بارز في نقطة موازية للتفاحة الخضراء التي بين فخذيها. بعدها جاء شيء كالعاصفة ولكن بالعكس يعني لا يدفع بل يشد. وسحباً سحبني هذا الشيء من وراء كأنه عاصفة لكنه مثل دوامة يسحب بقوة الكهرباء ولا يشد. وكنت أزأر

وأزأر وكنت أسداً طائراً في الظلام ثم كنت نائماً في طرقة دار سيرين وفريدة نائمة في حضني تتنفس بهدوء وهي لا تعرف أني تحولت لأسد. وكان رأسي أكبر من رأسها بخمس مرات وأنا أفتح فمي لأتكلم فيختفي رأسها كله في فمي. ولما عرفت أن الحكاية انتهت عند هذا الحد رحت في النوم داخل منامي وكنت أعرف أني نائم مرتين. لأسفل حركت فريدة لأجنّبها أنيابي. وكنت أتثاءب بصفة أسد داخل ثعبان وغوصاً أغوص في النوم...

• ٤٩ | ممدوح السجيني •

الأربعاء ٢٤ فبراير ٢٠١٠-١٠ص-اغاني

ليلة رائقة وممدوح السجيني قاعد يعترف لي بحبه اليائس لداليا مراد قريبته المخرجة التسجيلية. هكذا من غير مناسبة. ولا أنا ولا هو نعرف أن هذا يحصل في نفس يوم وصول محمد البرادعي لمصر. المدير السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية الحائز على جائزة نوبل للسلام رجع مصر ليقيم فيها لأول مرة من ساعة ما بدأ حياته العملية في الغرب. هي ذي مقدمة الثورة التي سنعتنقها نحن الاثنان من أول لحظة. معقول تفوتنا مع أنها تحصل في اليوم الذي نقعد فيه مع بعض؟ ليلة رائقة أقول لك. البرادعي راجع من فيينا وفي باله أنه يؤسّس حاجة اسمها الجمعية الوطنية للتغيير توحّد المعارضين على إنهاء حكم حسني مبارك القائم منذ ١٩٨١ . أنا وممدوح ولا على بالنا. كل الحكاية أن ممدوح في المكتبة بالصدفة وأنا مكسّل أرجع البيت أفكر أن أنام في غرفة البدروم كما أفعل في بعض الأيام. ولمّا رحت أسلم عليه قال لي إن معه في السيارة قزايز نبيذ فرنسي. هو عنده كؤوس نبيذ حقيقية في غرفة إدارة

المكتبة القريبة من المدخل. هكذا انتهى بنا الأمر نشرب ونسمع إيلا فيتزجيرالد ولووي أرمسترونج وسط الموبيليا الماهوجاني القديمة. وهو من غير مناسبة هكذا يحكي لي عن حبه لداليا. أنا عارف داليا من وقت ما عرضتُ لها فيلماً في برنامج النشاط الثقافي وعارف أنها قريبته لكن هو يحبها؟ يحبها وهي ترفضه؟ النور على ذيل حصانه البارز مثل عُرف فضي وراء رأسه وهو لابس بدلة جاباردين وقميص حرير ورجله على حرف المكتب. معقول تمر القعدة ولا يذكر أحد منا البرادعي؟ وجه ممدوح مبلول وهو يصفّر بدل ما ينهنه ويهتز ثم يقول بنبرته المتفرنجة: طيب وآخرتها؟ ويرجع يصفّر. ليلة رائقة أقول لك. وكأننا في حانة في نيو أورلينز في الستينات. هو يحبها وهي ترفضه. وأنا بالنسبة لي موضوع الجمعية الوطنية للتغيير هذا عبث صرف لأن لي سنين شغال مع المباحث. لكن لماذا ترفضه أصلاً؟ ممدوح موهوب وحسّاس وحتى اعترافه الباكي هذا ليس مبتذلاً. قلت له أن يفضفض وقعدت أشرب وأسمع. أنظر لشعره الطويل المربوط كذيل حصان ولا أفكر في شغل المباحث. معقول لا يجيء في بالي ولو سؤال عابر كيف سيتأثر شغلي مع المباحث برجوع محمد البرادعي؟

• ٤٨ | داليا مراد •

الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١-١٠ص-أحداث

الفتيس كاتب في الفايل الذي عندي إن شبح نايف ظهر وسط المتظاهرين يوم ٢٨ يناير ٢٠١١ على ناصية شارع قصر العيني مع ميدان التحرير. والناصية هذه كانت محوراً من محاور الاشتباك

مع الأمن المركزي من ساعة ما خلصت صلاة الجمعة لما طلعت المسيرات كلها في اتجاه الميدان. على آخر الليل طبعاً كان الأمن المركزي تبخّر ومن ورائه الشرطة ولم يعد أحد منهم لا في الأقسام ولا الشوارع. نايف لم يظهر على هيئة شبح لكن العمر البادي عليه ميّزه عن بقية المتظاهرين الذين كانوا مراهقين أو أكبر قليلاً. هكذا يحكي الفتيس. هم كانوا يحملون صناديق كازوزة ملآنة زجاجات مولوتوف وهو كأنه يقودهم أو ينظمهم وثمّة طاقة غير طبيعية تحرّكهم في حضوره. الفتيس كاتب إن أكثر من واحد رآه وأنا لا أكذّب ذلك مع أني كنت هناك ولم أرَ لا نايف ولا الفتيس نفسه. الذي حصل أن موقفي مما حصل يوم ٢٥ يناير تغيّر لمّا ذهبت أستكشف فأذهلتني أعداد الشباب والحياة التي في وجوههم. كأني راجعت قناعاتي عن المعارضين وحتى ٦ أبريل وكفاية. كنت هناك بصفة واحد شغال مع المباحث لكن تغيّر رأيي وبقيت مؤيداً للاحتجاج لحد استفتاء ٢٠ مارس ٢٠١١. ثم إنه زاد على ذهولي أن كل الذين أشتغل معهم من المباحث والموظفين في وزارة الثقافة اختفوا. حتى وديع بيه كانت كل تليفوناته مقفولة. فلمّا رجعت نزلت يوم جمعة الغضب كان فعلاً بصفة متظاهر. وما يجعلني لا أكذّب الفتيس أن نايف في بالي من أول النهار من ساعة ما نزلت وخطوط الموبايل معطلة. التي قابلتها بالصدفة داليا مراد المخرجة التسجيلية قريبة ممدوح. كنّا نحتمي من الخرطوش وسط ناس كثيرة في بوابة عمارة واحدة. أنا عرفتها من شعرها القصير كشعر الولد ولأول مرة في وسط الضرب انتبهت لامتلاء شفتيها والشامة التي على رقبتها وأنها تشد. كان وقت المغرب تقريباً لما زاد العنف فجأة وهم اشتغلوا في الخرطوش والمطاطي بكثافة مع الغاز. ونحن هربنا من الغاز في شارع جانبي فلمّا بعدنا كمّلنا على المكتبة. هكذا من غير اتفاق لقينا نفسنا لوحدنا في غرفة الإدارة في الظلمة ونحن لا

نفكر في إضاءة المكان. وأنا أول ما قعدت لقيتها مقرفصة بين رجلي ومن غير ولا كلمة تفتح بنطلوني وتخرج بتاعي لتمضغ رأسه وتدلّك جذره هكذا بلا مقدمات أو توابع. كان عندها مهارة وتركيز أكثر من أي واحدة عملت ذلك معي في حياتي. وطول ما هي شغالة أنا سامع القذائف والصراخ. لغاية ما جئت فبلعتْه كله ثم مسحت شفتيها بلسانها وباستني على قورتي.

• ٤٧ | لاست تانجو إين باريس •

السبت ٢٨ يناير ٢٠١٢-١٠ص-أفلام

تخيّل حضرتك أني قاعد في فرنسا قبل أربعين سنة من زمن الأحداث. قاعد في شقة أوضة وصالة في الحي اللاتيني. أنا في باريس والوقت شتاء والسماء ثقيلة وراء كاتدرائية نوتردام. يا إمّا هي ثقيلة فعلاً بسبب الغيم يا أنا حاسس أنها ثقيلة لأن حالتي النفسية هكذا. من زمان وأنا عندي اكتئاب. وطول ما أنا في الشقة هذه تجيئني كوابيس عن أشباح فوسفورية تفرِّق المليونية التي أنا فيها بخيزرانات طويلة معمولة من الضوء. ضوء ضوء مثل الليزر لكنه أثخن وأقوى لا تقدر أن تفتّح فيه مع أنك لا ترى إلا هو والأشباح. الخيزرانة طولها متر تقريباً ولسعتها كهرباء. ساعة ما تضربك جسمك ينقسم نصفين ثم يرجع يلتئم في ساعتها لكن الوجع يظل فوق رأسك مكان ما تكهربت. الوجع كان له شكل ولون وهو يرفرف فوقي في الحلم. كان يرفرف فعلاً أو ينتفض كأنه لو سكت لا يبقى معلقاً في الهواء. مثل حيوان بأجنحة أو طير ضخم جداً يشبه الحيوان. وكان ليس أسوَد بالضبط ولكن لونه مظلم

مهما فتّحت فيه لا يروح السواد. والصوت الذي يعمله الوجع المتجسّد هذا عواء أو صراخ ممكن يطلع من بشر عادي. لكنه في الحقيقة صوت الضربة نفسها أسمعه متأخراً بعد ما يكون نهشني والتأوه محبوس في صدري مثله مثل هتافات المليونية التي أنا فيها. أبشع حاجة في الحلم كانت الصمت. كل ما يمكن سماعه هو عواء الحيوان. في باريس كان على المياه والزرع والمعمار البني وكل الحاجات الجميلة هذه صبغة كالصدأ تغطيها كلها ولا يمكن تقدر تعرف هل هو النيجاتيف المستخدم في السبعينات أم أنه فقط مزاجي. أعجبتني المنطقة الفقيرة التي أجّرت فيها الشقة وبالفلوس القليلة اشتريت مرتبة وكنبة وأكلاً مُعلّباً وضعته فيها وقعدت. نشاطي الوحيد أن ألبس البالطو الطويل الأصفر وأهيم على وجهي في الشوارع. أمشي ناحية الغرب لحد حدائق لوكسمبورج أو ناحية الشمال الشرقي لحد الإيل دو لا سيتي حيث الكاتدرائية التي أحب منظرها. وساعات أعدّي الجزيرة وأكمّل لغاية مركز بومبيدو ثم أرجع. كانت أعصابي مهرية وأنا غير مهتم بمظهري بين الناس التي تحمل الشمسيات وتسوق سيارات كبيرة كما كانت السيارات في السبعينات. ولا الريح ولا المطر يوقفني وأنا على رجلي أتذكر المستقبل. أتذكر موت نايف سنة ٢٠٠١ أو مذابح الثوار بعده بعشر سنين. وكنت ألوّح بذراعي مثل مخابيل الشوارع في كل مدن الدنيا أو أحط يدي على دماغي وأسحبها فوق وجهي من فوق لتحت باكياً حياة تنتهي بعد أربعين سنة في القاهرة. ومرة وأنا في الحالة هذه وقفت واحدة سمراء لون عينيها أخضر وشعرها بني مجعّد وهي لابسة شابو ونظرت في وجهي ثم مرّت. فجأة أحسست أنها هي التي أنتظرها. هكذا من غير سبب. ومع أني لم أغادر مصر ولا مرة في حياتي ومع كل الاكتئاب الذي عندي في باريس سنة حاجة وسبعين كنت هناك أنتظر واحدة مثل مون لأحبها وأكتشف أنها تخدعني.
تخيَّل. كأنّ ثمّة مونين سيادتك. واحدة أقع في غرامها والثانية صاحبة

نايف التي مات وهو واقع فيها سنة ٢٠٠١. أنا جهّزت الاسم في دماغي ونويت أن أشترط عليها أن لا أعرف اسمها الحقيقي ولا هي في حال أنها ظهرت وعملنا علاقة. لا الاسم ولا أي شيء. اتفقنا أن لا نتبادل أي معلومات عن نفسنا لنظل بعد ما تتكرّر مقابلاتنا السرية في شقتي الصغيرة في الحي اللاتيني من غير ذاكرة إنسانية تفسد فرحتنا. كنت ألصقها في الجدار لآخذها وأنا واقف وهي لا زالت لم تخلع الشابو. مرة دهنت فخذها بالزبدة وقعدت ألعب معها ساعة كاملة. كان اكتئابي يخف شيئاً فشيئاً حتى توقّفت الكوابيس تماماً وهي معي. ولم أكن اندهشت لمّا لمحتها تنظر لي وأنا أبكي في الشارع. فقط عرفتها. وهي في الجزء الذي يعنيها من علاقتنا عرفتني. أي صدفة محسوبة جعلتها تقابلني وهي تتفرّج على الشقة التي قدام شقتي بحثاً عن مكتب لها في نفس العمارة. فاكرها وهي تتدحرج على جنبها مثل الأنبوبة بعد كل أورجازم. والذي حصل أني لا علمت ولا هي أعلمتني أنها على وشك أن تتزوج واحداً ثانياً مع أني أنا الذي جهّزت لها اسم مون. مع حلول الصيف لمّا تفتّح الورد من حول النوتردام ورجع الزرع أخضر والسماء زرقاء كان موعد فرحها. الآن ألح في السؤال عن اسمها وهي لا تقول لي. ويوم أطاردها لحد بيت أهلها وأنا مصمم أن نكون معاً للأبد تخرج شيئاً مخفياً من درج المستوقد الكبير في وسط الصالة وتنتظر لحد ما أهجم عليها لأحضنها فإذا بمسدس في يدها وهي تطلق في بطني الرصاص.

• ٤٦ | صورة الجثة المختبئة •

السبت ٢٨ يناير ٢٠١٢-١١ص-أحلام

الآن تخيَّل أن هذه الشقة الصغيرة التي في الحي اللاتيني سنة حاجة

وسبعين هي غرفتي الخاصة في مكتبة أزمنة وقت الأحداث. وحتى لو كان كل الذي أحكيه لك عن باريس حصل في الحقيقة وليس فقط في ذاكرتي أو خيالي لن يكون لحصوله أهمية في فهم الجريمة التي أدلي لك فيها بأقوالي. فحتى الذي أعرف أنه حقيقي في الواقع المحسوس بقي موضع شك. وصورة الجثة المختبئة تحت شباك البْرَاوْزَر قدامي على هذه الشاشة كأنها لقطة من فيلم رعب عن سيناريو مأخوذ من حياتي. الصورة التي وصلتني بالإيميل في بركة السبع على لابتوب الفتيس ولا يمكن معرفة من الذي بعثها كانت نقطة اللاعودة سيادتك. لما شفتها عرفت أني لا يمكن أكتم المعلومات التي عندي أكثر من ذلك. وهكذا كتبت. هي صورة لغرفة البدروم في مكتبة أزمنة التي أستعملها غرفة خاصة بنفس حيطانها البنية والأرضية الخشب. الغرفة تظهر كما هي بالضبط. على اليمين السرير الفير فورجيه بملاءته السوداء وفي الآخر المكتب الأبلكاش بكرسيه وفوقه الأبجورة التي هي الإضاءة الوحيدة لكنها مطفأة. فوق المكتب فتحة رفيعة تطل على رصيف شارع إسماعيل أباظة وتحتها بوستر صورة الفوتوغرافي التشيكي جوزيف كودلكا لأربعة رجال أيرلنديين وجوههم لأسوار عالية وهم يتبوّلون. وعلى الشمال رف الكتب ثم حوض السمك والفازة البيضاوية الخضراء على الأرض مكان التربيزة ثم الكرسي العالي والكرسي الواطئ وأكوام الورق والشنط لحد آخر الجدار على شمال بوستر كودلكا من تحت. كل حاجة كما هي. فقط زاوية العدسة توسّع المساحة وواضح أن الذي صوّر جلب معه إضاءة صناعية تعمل تأثير شمس الأصيل وسلّطها على مركز الغرفة فبقيت المساحة المفروض أنها فاضية في الوسط مضاءة بسبوتلايت ذهبي. وفي المساحة هذه يظهر الجسم الأسمر المنحوت وهو عريان ومحطوط على التربيزة على أربع مثل بهيمة نائمة في وضع الوقوف. الرأس

مائل على الذراع والشعر معقود في شكل أذنين على الطرفين وفوق الظهر جوال صغير بنفس لون البشرة منفوخ على شكل تلة تؤكد إيحاء البهيمة. على الجنبين حبال رفيعة مشدودة مفهوم أنها هي التي تثبّت الجسم في الوضع الذي هو فيه لكن ثمة شريط جلد أيضاً طالع من نتأة العمود الفقري السفلية من وراء. وأنت لا تعرف لو كان القاتل أدخل طرفه في الشرج وهل خيّطه أم حشره حشراً. البائن أن نهايته معقودة بين الفخذين كذيل. لن تدرك إلا بعد ما تدقّق أن اللون الغامق على الخشب حول الجثة وتحتها هو الدم البنفسجي الناشف للقتيلة. ثم إنك لا تلاحظ الإصابات إلا بعد ما تكبّر الصورة على الشاشة. فقط ثقبان في الرقبة في الوريد الوداجي بالتحديد ثم شيء تكذّبه عينك في اليد والقدم البائنة وتتسع ساعة ما تصدقه فيضربك نفس الإحساس القديم بالرعب والحزن وحاجة ثالثة مثل الطرب. مسمار رفيع بالكاد يُرى مدقوق في وسط اليد والقدم يثبّتها في خشب التربيزة وأكيد مثله في الجنب الثاني الذي لا يبين في الصورة. أغرب حاجة أنه لا أثر للوجع إلا رؤوس المسامير هذه لا دم ولا تهتك في اللحم ولا كسر واضح في العظم. أنت لو دققت أكثر ربما ترى حَفراً لرأس حيوان في منتصف المؤخرة القريب كأنه أُنجز بسيخ. لكن لن يختل توازنك حتى تنتبه لأن طرف الجوال فعلاً منسوج في جنب الجسد في خط متصل من أعلى الحوض لحد الإبط حُشر فيه القماش وخُيّط بفتلة منه ثم عُقد. هذا أيضاً واضح أنه حصل على الجنبين وبالتالي ممكن تستنتج أنه حصل في الشرج مع الشريط الجلد كما شككت. ساعتها تتأكد أن الدم القليل الذي تُرك ترك عن عمد لأن القاتل لم يدخّر جهداً في تجليط الجروح وتنظيفها وليس في الجثة أي دليل على أذى. أكيد هذه البقع بالنسبة له كانت جزء من جمالية المشهد. الذي سيتأكد من تقرير الطبيب الشرعي هو أن ثقبي الرقبة حدثا قبل ما تموت القتيلة لكنها ماتت مخنوقة

بحبل رفيع. أنا متخيل أن الذي في الصورة هو ما واجهكم لما وصلتم لمسرح الجريمة صباح ٢٩ مايو. متخيلكم تتفقّدون المشهد إما على ضوء الأبجورة أو بكشافات معكم لأن الفتحة التي فوق المكتب طبعاً لا تُدخل نوراً كفاية. هو ذا واقع الجريمة ولا شيء مؤكداً أحكيه عنها. الحياة نفسها مجرّد أفلام نحاول ولا نوفّق دائماً أن نكتب فيها أدوارنا. وأنا عملت المدونة هذه كأحسن طريقة ممكنة لاستخلاص سيناريو الذي جرى. حضرتك لازم تفهم أن الأحداث معقدة ومتقلّبة لدرجة أني محتاج أفرد هيكلها العظمي قدامي لأسترجعها في مجال جغرافي محدّد مثل خريطة تتضمّن إشارات للزمن.

في الأول قابلت مون. وقتها كان رجع ظهر في حياتي القبائلي مترينانكا أو مِتِيرِيِنانْكا للدقة. أنا أسميه المتر اختصاراً. اسم منتشر عند قبائل الماساي في جنوب شرق كينيا وشمال تنزانيا. معناه كما شرح لي قبل ثلاث عشرة سنة: الشخص الذي أسرع بقتل أسد فتحقّق له المجد مبكّراً. لأن المتر هذا مع أنه كبر في السن لا زال موران كما يسمِّي عشائر الماساي شباب العشيرة. هذا الذي يقوله على كل حال. إنه لا زال موران مع أنه المفروض يكون تخرّج. الموران مهنتهم القتال للدفاع عن العشيرة أو للسطو على بهائم الرعاة من غير الماساي وأقاربهم. وهم كل شباب العشيرة بلا استثناء يعيشون معاً في حلقة لحد سن معيّن ثم يجيء مكانهم جيل ثانٍ وهم يتخرّجون. قبل ما الحكومات الحديثة تفرض حظراً على صيد الوحوش كان كل واحد موران لازم يقتل أسداً ليثبت شجاعته سيادتك. هذا ما قاله لي المتر أول مرّة من ثلاث عشرة سنة. والمرّة هذه لمّا رجع رجع يحمل قدراً حديدياً ولفافات أعشاب وطلب مني أن أشتري له كميات ضخمة من اللحمة البقري ليشاركني ولائم الموران التقليدية أنا والعيال. كان رجع يظهر في حياتي في نوفمبر ٢٠١١ بعد ما تغيّر رأيي في الثورة وأنا

أحسست أن ظهوره له علاقة بقراري أن أرجع لشغلي مع المباحث في أبريل ٢٠١١. بالذات لمّا فهمت أني في حضوره فعلاً قادر على التحوّل.

• ٤٥ | حين تنشغل بالصراعات •

السبت ٢٨ يناير ٢٠١٢-١م-أحداث

حين تنشغل بالصراعات السياسية السطحية فأنت ترتكب خطأ الثور في الحلبة؛ إنك تهاجم القماشة. هذه غاية السياسة: أن تعلمك القماشة كما يعلّمها مصارع الثيران للثور. يعلمه أن يتبع، أن يطيع القماشة.

وليام باروز: حوار مع ألن جينسبيرج وجريجوري كورسو، ١٩٦١

في الأول قابلت مون. كان المتر ظهر في حياتي وأنا رجعت لشغلي مع المباحث بعد ما الإسلاميين تحالفوا مع المجلس العسكري ومرّروا التعديل الدستوري مباشرة. رجعت لشغلي لأن معنى ذلك أن المجلس يُسلّم البلد للإخوان المسلمين. الثورة ماتت. والذين ماتوا والذين أصيبوا والذين دخلوا السجن كل هذا من أجل أن نكون إيران ولكن على المذهب السني. مباشرة تغيّر رأيي ورجعت أتعاون مع وديع بيه لمّا قبضوا عليَّ في مظاهرة واحتجزوني ست ساعات فكلمته ليخرجني. ولما اجتمعت به يومها لقيت رأيه في الذي يحصل مطابقاً لرأيي تماماً. من هنا قرّرت أن أكون أنا بشخصي وبدني وحتى بمفردي لو اضطررت أن أكون أنا تجسُّد شعار الثورة مستمرة. ومن غير ما أعرّف الرفاق طبعاً بقيتُ الثورة المستمرة ليس على الفلول والعسكر

طول ما هم ضد الإخوان ولكن على الإخوان والمعارضة وعلى الرفاق نفسهم من غير ما يكون معلناً. كلّمت العيال التي تشتغل معي وبدأنا نجتمع عندي في البيت. ومثل ما ستكون مقابلة مون وعلاقتي الافتراضية بواحدة تسمي نفسها رضوى عادل كان رجوع المتر في نوفمبر كأنه اكتمال قراري. حتى وديع بيه كانت أهميته بالنسبة لي ليس أنه يساعدني في الذي أعمله على الأرض وإنما أنه يؤكّد لي صورة الوضع السياسي التي أراها من غير هرتلات أخلاقية وعواطف مبتذلة من النوع الذي أغواني لمّا بدأت الثورة. سنة ٢٠١١ حققتُ أكثر من نجاح كبير في استمرار الثورة بالمعنى هذا. ومع حلول ٢٠١٢ بعد ما بقيَ حضور المتر ومناقشته في الذي يحصل حاجة عادية بدأت أحس أني سأقابل موديل جديدة أعيش معها قصة حب وفعلاً حصل وقابلت مون. ولمّا حصل قدّرت أن مون بما أنها صديقتي ستحارب على نفس الجبهة ضد الإخوان والنشطاء المتحالفين معهم واليسار. لكن المتر كان يسخر من تقديري هذا ويقول لي بترميزه الملتوي إن مون في الجبهة الثانية. هو كان رأيه أن المهم أن أعمل لمون صورة حلوة عكس الصورة التي عملتها لنرجس أول واحدة أحببتها. المتر عارف حكاية نرجس من أيام تعارفنا أنا وهو سنة ١٩٩٩ وعارف أني حزنت لمّا انتهت علاقتي بها. كان رأيه أني لازم أعمل لمون صورة حلوة فلا أحزن ساعة ما تنتهي العلاقة. كل الذي في ذهني الآن أن الصورة الحلوة التي يقصدها هي هذه التي وراء البِّرَاوْزِر على بعد تكة من إصبعي الآن. الذي حصل أني اكتشفت أن المتر معه حق. مون لم تصاحبني إلا لتجمع من عندي معلومات كانت تمد بها حلفاء للإخوان في المخابرات الحربية. ولما اكتشفت خطتها قررتُ أن أورّطها في حرق مقر الحملة الانتخابية للمرشح الرئاسي الموالي لمبارك الفريق أحمد شفيق يوم ٢٩ مايو في الدقي. أنا كنت في المكتبة وطلبتها في

التليفون لتجيئني وكأنها مقابلة عادية. وكنت أفكّر أني سألح في أن تجيء معي الدقي وأتركها وسط الدوشة ساعة ما يشتعل الخناق...

لا لا لا الحكاية ليست هكذا. الحكاية هكذا فيها تبسيط مخل وكذلك القول إن فيه جبهتين في حرب واحدة مع الإخوان والثانية ضدهم. لأنه في الواقع فيه ألف جبهة تتخانق وتتحالف من خلال الواجهتين العريضتين للجيش والإخوان. ثم إن الناس كانت تستغل الصراع هذا يا باشا. كم قتيلاً خبّأوه بين شهداء المواجهات وكم واحداً تأدّب في حفلات التعذيب التي كانت تحصل لأسباب لا علاقة لها بالسياسة؟ الناس كانت تستغل الصراع وهي لا تعرف أن الجيش والإخوان في الحقيقة مصلحتهما واحدة. والمشهد السياسي الحاشد هذا عبارة عن خرم إبرة على كل الذي فيه من كركبة. لكن تعقيد الحكاية لا يمنع أنه تأكّد لي أن مون شغّالة لصالح الإخوان فخططت ليس للانتقام منها ولكن لأوصّل لها رسالة عن طريق استدراجها للدقي ساعة حرق مقر شفيق. وكان الحرق سيحصل بغرض توريط إسلاميين ونشطاء منهم علاء سيف عبد الفتاح وأخته منى. أنت طبعاً فاكر أنها جاءت وأنا عملت فيها الذي عُمل. طيب. ممكن تتأكد من المحاضر الرسمية أني كنت في الدقي في سيف هاوس تابع للأمن الوطني من بعد ما طلبتها بساعة ولحد الواحدة صباحاً. الحقيقة أني لم أكن في وارد انتظار مون وأنا عارف أنها ستتأخّر. فلماذا طلبتُها واستعجلتها بإلحاح؟ ولو أنها جاءت كما وعدتْ بعد ما أنا ذهبت للدقي كيف دخلت؟ مستحيل يكون مع أي مخلوق مفتاح. لا موظفًا المكتبة ولا مسؤول فترينة سيلانترو مع أحد منهم مفتاح. (أيضاً ممكن تتأكد من بياناتهم على الكمبيوتر الرئيسي في غرفة الإدارة: شريف جميل تادرس خريج هندسة ويعمل في المكتبة منذ فبراير ٢٠٠٥، أشرف سيد بيومي دبلوم تجارة ويعمل في المكتبة منذ مايو ٢٠٠٨، فاروق مرسي العسيلي

الموظف في شركة كافيه سيلانترو التي وقعنا معها عقداً سنة ٢٠٠٧ وهو مسؤول الفترينة منذ يناير ٢٠١٠) بسؤالهم ستعرف أني الوحيد الذي معي مفتاح باستثناء ممدوح السجيني وأني أرفض تسليفه لأي كان. ثم إني تأكّدت من أن مون ليس معها مفتاح لما نصبت لها فخاً يوم ٢٧ مايو ٢٠١٢. آه. تصدقني لو قلت لك أني محتار في السر وراء وجود جثتها في غرفتي؟ يعني هي لو لم تكن جاءت من تلقاء نفسها كيف جُلبت للمكتبة وحتى لو جُلبت من أدخلها في غيابي وكيف؟

• ٤٤ | علمتُ بمصرع مون •

السبت ٢٨ يناير ٢٠١٢-٥م-لقاءات

علمتُ بمصرع مون قبل فجر ٢٩ مايو بحوالي نصف ساعة بعد ما رجعت من السيف هاوس الذي في الدقي. ثلاثة مجهولين في بدل سوداء غالية دقّوا جرس باب شقتي ودخلوا في صمت. واحد منهم انتظر لحد ما دخل الاثنان ثم قفل الباب وراءه ووقف وظهره له. والثاني دخل بسرعة يتفقّد أوضة النوم والمطبخ والحمام بطريقة منهجية. أما الثالث فحط يده على كتفي وقدّم نفسه بكلمة المقدِّم من غير ما يوضح إن كانت اسمه أو رتبته ثم بدأ يهمهم بعبارات من نوع لا تقلق وتفضّل لو تكرّمت. ولمّا حرّكت رأسي باتجاه الاثنين اللذين معه وكل واحد منهما يده على سلاحه المختبئ تحت البليزر الأسود قال لي: لا لا هذا تأمين عادي انسَ أنهم هنا. المقدِّم أجلسني على الكنبة وجلس جنبي وكان الثاني أقفل الأبواب كلها ووقف قصاد الأول في وضع التأهّب. لاحظت أن تعبير وجهه جامد تماماً وكذلك

وجه الذي على باب الشقة على عكس القاعد جنبي يكلّمني بأدب شديد وفي صوته تواطؤ أو تعاطف. قال لي إن ثمّة موضوعين الأول عن واحد من أصحابي القدامى. يوسف السعيد رخا قال. فاكره طبعاً. هو ترك البلد من فترة وكان المفروض يأخذ هذا معه. وإذا بلابتوب في يد المقدم لا أعرف من أين أخرجه وهو يناوله لي. قال: الكمبيوتر الذي كان يشتغل عليه. كان عليه حاجات محتاجة مراجعة وحاجات محتاجة حذف فصادرناه منه في المطار. لا لا ليس رسمياً. رتّبنا لسرقة الجهاز. ولما انتهينا لم نجد أحداً نسلمه له إلا أنت. بالذات وأن عليه ملفاً سيكون مهماً بالنسبة لك أن تقرأه. ساعتها سكت لحظة كأنما ليدعني أستوعب ثم واصل ببطء وفي صوته عاطفة أكثر: الموضوع الثاني أننا عرفنا ان واحدة قريبة منك قُتلت ومع الأسف هذا حصل في المكتبة التي تشتغل فيها. ساعة ما انتهى من الجملة تنهّد وهو ينظر في ساعة يده وكانت رولكس أصلية. من حوالي ثلاثة وأربعين دقيقة. فكان يلزم نقول لك أن تترك القاهرة فترة. نحن متأكدون أنك ليس لك يد في الذي حصل ولذلك لا ينبغي أن تتبهدل في تحقيقات. لو اعتمدت علينا الموضوع سيُحسم خلال شهر بالكثير وسنثبت أنك لم تكن في القاهرة لمّا حصل. فقط ربما يحصل استدعاء صغير للشهادة هذا كل شيء. نعم يا أستاذ عامر هي التي تفكّر فيها مع الأسف. قمر عبد الحميد السلاب. شد حيلك. وقبل ما أفهم شيئاً كان قام وسحب يدي ليشد عليها بقوة وهو يشير للآخَرين بطرف عينه ويتوجّه لباب الخروج. أعتقد أن المناسب هو أن تسافر الآن بأسرع ما يمكن قال وهو على العتبة. خلال ساعتين لو تكرّمت. الفجر أذّن بصوت قبيح كما يحصل كل ليلة ثم بعد حوالي نصف ساعة على ذهاب المجهولين وأنا أجهّز شنطة سفري دقّ الباب ودخل المتر مبتسماً. فعلاً كان يبتسم لكنه كل ما يدخل عليَّ تكون في وجهه الابتسامة. وكان ما كان من جلستنا

القصيرة لحد ما المتر خرج وأنا توجّهت لموقف السيارات الأجرة لأروّح. مع نور الصبح الأول أحمل شنطة سفر وأخطو على الأسفلت. كأن خمس عشرة سنة لم تمر. كنت خائفاً أو حزيناً أو غاضباً لا أدري. كنت أحس ما أحسسته سنة ١٩٩٧. ولا يهمني الآن أن أصف لك فجيعتي في مون. لن ينفع أحداً استرجاع دقات القلب وبرودة العرق على الجبين ثم ضيق النفس لدرجة الاختناق. الفزع البنفسجي هذا المختوم بجمال استثنائي لمشهد مضاء بسبوتلايت طبيعي. لا قدام صورة الجثة التي وصلتني بالإيميل هنا في بركة إلسبع - منوفية ولا بعد خبر مصرعها المجرد لحظة الفرار. المثير أن المتر اختفى تماماً من بعد زيارته القصيرة هذه كما اختفى بعد مقابلتنا الأولى سنة ١٩٩٩. وأنا لم تعد عندي القدرة على التحوّل كما كانت طول ما هو موجود. الظاهر أن المتر فعلاً قادر على الاختفاء. ومع أني على يقين من أن الجهات السرية التي تورّطتُ معها في الشهور الأخيرة تعلم أنه موجود وأنه غير عادي الآن أعرف أنه قادر على تضليل حتى هذه الجهات. أقول هذا الكلام وأنا الملحد صاحب الدماغ العلمية وأنا الذي عرفت القتل والقتلة. لكن فسّر لي مثلاً كيف أن المتر لا شاخ ولا تغير شكله طول ثلاث عشرة سنة. هل تقدر تفسّر لي كيف حصل معي ما حصل وكيف ماتت مون في غرفتي ثم سُمح لي بالهروب؟

• ٤٣ | شوشرة في الدماغ •

الأربعاء ١ فبراير ٢٠١٢_ ١٠ص احلام



مجزرة ستاد بورسعيد مش مجرد تقصير أمني أو محاولة انتقام من

الألتراس. إنها إبادة جماعية بكل المقاييس ولا يمكن السكوت على جيش مفروض إنه وطني يبيد شعبه بهذه الطريقة. الثورة لا يمكن تسمح بعقاب أطهر شباب مصر على مشاركتهم فأين كوردونات الإخوان والسلفيين لو كان الأمن خايف يشتبك؟ إنها مؤامرة الوصول بمصر إلى حالة الانهيار الكامل. سيناريو الفوضى الممنهجة. والدليل أن الخبر الأليم يأتي بعد يومين بالضبط من مطالبة وزير الداخلية بتمديد العمل بالطوارئ. ده معناه إيه بقى إن شاء الله؟ أولاد الكلب بيصفّوهم يعني؟ النظام السوري أشرف من النظام المصري لأن النظام السوري بيقتل الشعب السوري لكن النظام المصري بيسلط المصريين يقتلوا بعض. نطالب بالقصاص لدماء الألتراس الأبطال. دمهم في رقبة الداخلية والعسكر وبالذات العسكر. وبالمرة: يسقط حكم العسكر.

• ٤٢ | رضوى عادل •

الجمعة ٩ مارس ٢٠١٢-١٠ص-لقاءات

حتى أنتَ أكيد حصلت معك ولو مرة في حياتك أنك قابلت ميتاً تعرفه صدفة. أكيد حصلت وأنت ماش في الشارع فشلّك الذهول وجسمك كله تصلّب وأنت تنظر وتفكّر. تكون لمحت وجهاً مألوفاً على غفلة فاستحضرت اسمه وظروف معرفتك به ثم وأنت على وشك أن تبادره تذكّرت فجأة أنه ميت. حاجة تخضّ لكنها تحصل. وهي بالضبط ما حصل لي يوم ٩ مارس ومون غائبة لما ألفيتُ على فيسبوك طلب صداقة من واحدة اسمها رضوى عادل. كانت حاطة مكان صورتها رسماً قديماً لورقة شجر ولا دليل على عمرها أو مكانها. وأنا أول،

ما قرأت الاسم خضّني الذهول هذا وربما حتى الرعب. ليس لأني تخيّلت أنها شبح رضوى عادل الأولى المناضلة السبعينية التي انتحرت يوم تأسيس جماعة التماسيح. رضوى عادل في النهاية ليس اسماً نادراً. ثم إن الآلاف على فيسبوك يستعيرون أسماء. الرعب كان من أن ظهور هذه الشخصية بدا مقروناً بدور مون في حياتي ولأول مرة أحسست أني في قلب صورة لا أراها كلها.

البارح كان عُثر على جثة داليا مراد ميتة في شقتها بالسكتة القلبية هكذا فجأة. كانت ليلة عيد ميلادها الذي قررت أن تحتفل بها لوحدها تماماً كما أعلمتني شخصياً في كافيه كوستا الزمالك قبلها بيوم. وكان في شنطة يدها قزازة نبيذ فرنسي قالت إنها ستشربها لوحدها. فتحت الشنطة لحظة ثم قفلتها لتريني القزازة كأنها تريني جثة قتيل. كان موعد الحفلة في الليلة التالية كما أعلمت المعازيم وكنت اعتذرت لها أثناء مقابلتنا هذه لأني لن أستطيع الذهاب. والذي حصل أن المعازيم وصلوا فلم يفتح لهم الباب وداليا لا ترد على تليفوناتها حتى كسروا الباب ووجدوها عارية على السرير ولا شيء إلا قزازة النبيذ وعلبة سيجاريللو مأخوذ منها واحدة. كنت أسمع عبد الوهاب يقول لمّا إنت ناوي تغيب على طول لمّا وصلني الخبر والحقيقة أني تأثرت جداً وكلّمت ممدوح على الفور لكنه لم يرد. كان عرف قبلها بدقائق وجاء له انهيار عصبي كما وصفه الدكتور. وبعد أسبوع في المستشفى زرته مرّة واحدة خلاله سافر إيطاليا وبقي هناك...

قلت لك قبل ذلك أني كنت أنتظر موديل عارية مثل مون فبقيت علاقتنا مثل النبوءة التي تحقّقت بعد رجوع المتر. والحكاية جلبت معها كل ذكريات التماسيح لأن مون كانت مصاحبة نايف ثالثنا أنا والفتيس في جماعة التماسيح الذي مات في حادثة سيارة سنة ٢٠٠١. أنا لمّا قابلتُ الفتيس في شارع شمبليون أثناء الاعتصام الأول في ميدان التحرير قلت

له صادقاً إني لم أسمع شيئاً عن مون من ساعة ما اختفت من حياتنا بعد
مقتل نايف. والذي حصل ليس فقط أن المتر رجع ومعه كل ذكريات
أيام التماسيح لكن أيضاً أن الموديل الغامضة التي أنتظر أن أعيش معها
قصة حب هذه طلعت هي نفس المون. الآن لمّا ظهرت واحدة اسمها
رضوى عادل تذكرتُ كيف كان انتحار المناضلة مقدمة الأحداث التي
أدت لموت نايف وانتهاء التماسيح نفسها. كل قتل يبدأ بشبح مقتول أو
منتحر هكذا هُيِّئ لي. من أجل ذلك تريّثت في قبول طلب الصداقة. بلّلني
خزين المشاهد وثبّتني الحنين لوقت لم أكن فيه أنا كما أعرف نفسي
الآن. فضولي وعيني الفارغة وكون مون تغيب عني بالأسبوع كلها أسباب
طبعاً لكن السبب الرئيسي في قبولي لطلب الصداقة كان الإحساس أن
الموضوع محتوم أو أن رضوى عادل جزء من صورة فيها مون والمتر
والثورة والمباحث وأني لا أرى الجوانب المخفية من الصورة من غيرها.
خلال أربع وعشرين ساعة كان شباك الشات مفتوحاً ونحن نتكلّم.

• ٤١ | مون •

الجمعة ٢٣ مارس ٢٠١٢-١٠ص-أحداث

أشياء بدأت على الإنترنت لكن ليس كلها. مون مثلاً لم يحصل معها
شيء في الإنترنت أو هكذا كنتُ مقتنعاً لحد وقت متأخّر. وفي هذا
اليوم كل الذي حصل حصل في شارع قصر النيل في الشقة التي
أعيش فيها مع قطي عتريس من قبل الثورة. الذي لم يحصل في الشقة
حصل في دماغي. كنت في طريقي للمحكمة الدستورية الجديدة على
كورنيش المعادي لأصوّر وقفة احتجاجية ضد إجراءات تعيين اللجنة

التأسيسية للدستور. وكنت فتحت الباب فعلاً وخطوت فوق العتبة لما وجدت مون في وجهي وهي تدق الجرس. مون المدعوة قمر عبد الحميد السلاب في الأوراق الرسمية بكل الحياة التي في جسمها.
ماذا أحكي لك عنها وأنت لم ترَ إلا جثة فوق تربيزة مركّبة على شكل بهيمة نائمة؟ إنها سمراء ولون عينيها أخضر وتتأتئ قليلاً أو إن حجمها صغير؟ هي تتحمّس مثل عيّلة صغيرة لأي سهرة أو قعدة سيكون فيها نميمة. عندها ابتسامة مزيفة لا تدل على الفرحة أو التعاطف لكنها تواجه بها أي واحد يتعامل معها لتحيّده ولو مؤقتاً. ودائماً خفيفة في حركتها مثل المتر لا تعرف من أين تجيء ولا متى تذهب. دائماً بلا موعد كأنها بخار وبالتالي أنت لا تشبع منها أبداً. وكل ما تجيء عتريس يقبل عليها كما يقبل على أي زائر كأنه أمل في الخلاص فأبعده بالقوة وأقفل عليه باب المطبخ وهو يعمل أصواتاً واهنة يستثيرني يأسها.
جسمها نحيف ومنحوت طبقاً لأرفع المستويات الإغريقية وهو طري ومتماسك. والحكاية هذه تظهر بالذات ساعة ما تنظر للركن العالي وتتشاغل بدلاية العقد الفضة المعلق في رقبتها كما تفعل. العقد الذي لا تخلعه أبداً وكأنه بطاقة تعريفها مكوّن من حبّات متفاوتة كل حبة عين تتوسّطها قطعة فيروز كأنها إنسانها. والدلاية أكبرها. نفسه هذا الذي وجدتموه تحت السرير في غرفتي في المكتبة... وعليه بصماتي؟ اليوم مون جاءت كعادتها بلا موعد وأنا لمّا شفتها كعادتي أيضاً زنهرت.
وبدأت أخرج الكاميرا من جرابها لأداري فرحتي بمجيئها وأنا أحكي لها إني كنت ذاهباً للمحكمة الدستورية لأن الإسلاميين يحتكرون كتابة دستور الثورة في حماية المجلس العسكري. قالت: أولاد دين الكلب. وقالتها بطريقة ذكرتني بالفتيس من قبل ما أقرأ كلامه. ثم قالت إنها تجيء معي كورنيش المعادي. ولا أعرف كيف تطورت وقفتنا في المدخل لاضطجاع على السرير مع قهوة وحشيش وعبد الوهاب قديم

وسخافة النبرة القتالية للرفاق المشاركين في الوقفة تجعلني أؤجّل الذهاب. حتى مبنى المحكمة المقصود أن يكون شبه معبد فرعوني يبدو قدّام عيني مثل فكرة ديزني لاند عن المعبد الفرعوني بنفس تفاهة القتال. من أجل ذلك كسلنا ومون تقلع هدومها بالتدريج وأنا أصوّر فيها. عتريس يموء متألماً وهي تسأل فأقول لها إن مصارينه مضطربة. كانت تتمنّع مثل نجمة سينما عاملة نفسها مكسوفة قدام كاميرات الصحافة لكنها ترجع تقلع الذي أقول لها أن تقلعه. وأنا طول ما أنا شغّال شهوتي تزيد وأنت سيد العارفين سيادتك. في التسعينات كنّا نقول: الشيء حصل. لكن ليس الشيء هو المهم. في اليوم هذا كان مرّ أسبوع على آخر مرة تقابلنا فيها. الآن وأنا أميل على مون وهي مثل القمر قدامي أحسست أني لم أعمل أي شيء خلال الأسبوع هذا. نظرت للشمس الساقطة على الجسم العريان من الشباك كأنها سبوتلايت على موديل جبس وبدأت أراجع الحاجات التي عملتها. ندوة في المكتبة مظاهرتان واحدة منهما خلّصتها أنا والعيال لما استفزينا الملتحين فبدأوا في الضرب وجاء الأمن المركزي.

يومها حصلت مشادة كلامية بيني وبين الناشط النجم عماد خشبة. قلت له: أنا أقترح أن نشوف لنا أي حاجة وسخة حوالينا لا فائدة لها إلا أنها منتشرة لأننا أولاد دين قحبة لا ننظف وراءنا. ما رأيك مثلاً في الذبان؟ كل المطلوب الآن أن نضيف كلمة المشروع فيبقى عندنا المشروع الذباني لنجتمع مع أرامل اليسار ونشطاء الأقاليم وشباب الإنترنت البرجوازي ونقعد كلنا نتكلم عن المشروع الذباني على اعتبار أنه حاجة مهمة وضد الإمبريالية ومع الشعب الكادح وهكذا. والذبان يأكلنا ونحن نتكلم. والمشروع الذباني مثله مثل كل مشروع إنساني له عيوب لكن منطلقاته جيدة نقول لبعضنا ونحن ننظّر ونؤرّخ وكأن الذبان تاركنا في حالنا أو كأننا ممكن نتعاون مع الذبان على شيء له معنى أساساً. وكل واحد

ليس عنده شيء يعمله يدلو بدلوه فيكلمك عن المنعطف التاريخي الذي لا بد وأن يمر بحكم الذبان في طريقه إلى التخلص نهائياً من المنظومة الاستبدادية والوصول لفضاء سياسي أبرح ما رأيك؟ وخشبة جفل ثم ضحك لي ووضع يده على كتفي بمودة لكنه لم يرد بشيء يشفي غليلي. ليلتها وأنا أحكي للمتر كنت مغتاظاً لدرجة أني لاعبت عتريس قدامه وهو عجبه الموضوع ولم يعترض. بهدوء شديد قال لي إني متضايق فقط لأن مون أوحشتني وإني لازم آخذ بالي من سيطرتها عليَّ. وفعلاً لما جاءت وجدت نفسي أحس أن الأسبوع الذي مر من غيرها فارغ تماماً. من أجل هذا قعدت أراجع الحاجات التي عملتها في أسبوع غيابها وأنا أستنشق جلدها الآن. كنت مرعوباً من أن تكون أحكمت قبضتها عليَّ بالذات وأني بحثت عنها ليلة الندوة ولم أجدها. وكنت رحت أسهر مع العيال في روف فندق أوديون وأنا مبسوط. تخيَّل حضرتك أني أنا دوناً عن كل الناس أنسّق ندوة ناجحة هكذا عن الوعي القومي وثورة يناير؟ ندوة بحضور الدكتور سليم عبد الباري أستاذ التاريخ الحديث في كلية الآداب - جامعة القاهرة والشاعر الغنائي عبد الناصر قناوي صاحب قصيدة الحلوة حامل م التاريخ ولدت ثورة والناشط عماد خشبة. وأنا قاعد في وسطهم أستفسر عن دقائق التوجه الناصري في المنحى الوحدوي لطموح التحرر الوطني ولا كأنه فيه حاجة. كنت مبسوطاً أقول لك لغاية ما جاء قناوي. لكن أول ما تعكّر مزاجي بحثت عنها.

• ٤٠ | الإكسلانس •

الجمعة ٢٣ مارس ٢٠١٢. ١١ص. لقاءات

أنت أكيد عارف روف الأوديون. ممكن تشوف وسط البلد كلها من

على ارتفاع. ثم إن القعدة حلوة والبيرة سعرها معقول. رحت أسهر هناك بعد الندوة أقول لك وكان الجو ليلتها أحسن من أي وقت في السنة. وكنت منسجماً مع العيال نحكي ونضحك لمّا جاء المتر يقول لي إنه سيزورني يوم السبت بالليل في البيت. قعد خمس دقائق وقام من غير ما يشرب حاجة. ألا أشرة قال. وبدّل العين بالهمزة رغم أنه قادر ينطقها. كانت أسنانه المربّعة تلمع وهو يضحك في وجهي. كأن النور تحتها. المتر عندما يبتسم يبدو كأن رأسه قبضة يد وجسمه ذراع مرفوع. لكن كيف عرف مكاني؟ هذا السؤال هو أول ما نغّص عليَّ القعدة. كيف يعرف المتر مكاني كل ما أكون في مقهى أو بار سواء في وسط البلد أو أي منطقة ثانية؟ وكل مرة يجيء بنفسه مع أنه قادر يستعمل التليفون. لمّا ذهب خفّ الضحك وأنا أشرح للعيال أن محاذير الجنس عند قبائل الماساي لا علاقة لها بالزواج. الشيء الوحيد الممنوع هو تداخل الحلقات العمرية. إذا نام موران مع امرأة مختّنة مثلاً تكون مشكلة أمّا إذا واحد شيخ عزم نظيره على زوجة من زوجاته فهذا طبيعي. كنت أحكي لهم عن هذا الموضوع لما دخل قناوي بمناخيره الضخمة يتلفّت حوله ويده السمينة فوق عينيه مثل قطعة لحمة نيئة. من قبل ما يسحب الكرسي وهو يهزّ رأسه ويضحك لنا بخبث غير مفهوم قلت في عقلي إني غلطت لما أعلمته بمكان سهرتنا بعد ما خلصت الندوة. تصوّرت أنه سيكون مع الدكتور سليم فتهوّرت وقلت له وها هو يطلب أول بيرة على حسابي. قناوي له من الزعيم الخالد العود الفارع والصدر العريض هذا فضلاً عن الاسم. وله نظرة ثاقبة مثل نظرة الزعيم أيضاً كأنها تكشيرة أب مستعد أن يغفر لأولاده لو اعترفوا بغلطهم. حتى وجهه شبه وجه جمال عبد الناصر مع أنه يلبس نظارة يخلعها ويمسكها في يده عندما تأخذه الجلالة في الكلام. والعيال يعرفون قناوي مثل ما روّاد بارات وسط البلد كلهم

يعرفونه ويتململون منه لأنه يسكر بسرعة وأول ما يسكر يتحوّل للزعيم وكل القاعدين هم قوى الشعب العامل. النصيحة الناجزة مع قناوي أن تحاسب له على أول بيرتين وتخلع في وسط الثانية من غير ما تقول له. وهو ذا المخطّط الذي كنتُ على وشك تنفيذه فعلاً لو لا أن الإكسلانس فجأة قرّر أن يناقش انتخابات الرئاسة وقال لقناوي وهو حاطط رجلاً على رجل إن المرشح الرئاسي الناصري حمدين صباحي قومجي كذاب وإنه أصلاً عميل للإخوان واسمه مرتبط بكل وساخات العالم العربي من أول القاعدة والقذافي لحد صدام حسين. حمدين هذا أكبر مصيبة على فكرة قال. مع أنه عارف أن رأيه بصفته من شباب الثورة المفروض يكون أن حمدين أحسن السيئين. تذكّرت أني قلت له لو سُئل عن اختياره يقول حمدين. يا بن الوسخة يا إكسلانس. فريد مهدي أبو جديد الشهير بالإكسلانس. وضحكت بصوت عالٍ كأني أضحك على ما يقوله. أنت أصلاً أطرى عيل من عيالي. كل الحكاية أن بشرتك البيضاء مع أدائك المتعالي ميزة كبيرة في التعامل مع أولاد دين القحبة الذين نضطر للتعامل معهم في شغلنا. كنت أكلمه في رأسي وقناوي يخبط على كتفي لألتفت له. وأنا حقيقة لا أعرف لماذا تعمّد أن يستفز قناوي بالطريقة هذه ثم تشاغل بالسلام على واحد من معارفه وخلع من غير ما يقول لي. كنت أضحك وأحلّل تصرفاته.
وقبل ما أنتبه لقناوي ينظر لي وهو متأهّب للكلام سألت نفسي لو كان المفروض أن أبعث وراء الإكسلانس مرة ثانية. أتخلّص منه أو أعمل له حاجة. لي فترة لستُ مرتاحاً للإكسلانس. الآن مع أصابع قناوي على كتفي عرفت أن الليلة باظت. وربما كان احتفاء ساخراً بقناوي على أساس أنه واحد من الذي يسمّون نفسهم شعراء الثورة. روّاد الأوديون يفهمون في الشعر ويعرفون أن الأزجال التي يكتبها قناوي عبارة عن فن هابط ومجرّد شعارات. لكن ربما كانوا فقط ضجرين من أوضاع

البلد والاحتفالات المتواصلة بالثورة بعد ما اتضح أنها مصيبة فقرّروا أن يفرجوا عن نفسهم في اللحظة هذه. أكثر من واحد سكران قعد يردد شعار الاحتفال بتنحي مبارك: ارفع رأسك فوق أنت مصري. ارفع رأسك فوق أنت مصري. والذي حصل أن صوتهم علا في اللحظة التي التفتُ فيها لقناوي وبدأ يغطي على المزيكا الخارجة علينا من الصالون بصوت واطئ أصلاً ويختلط بالنسمة وشغل الكحول في الدماغ فيعمل حاجة كالطرب. كأس وراء كأس من التكيلا البيضاء من غير لا ملح ولا ليمون وهم ينغّمون الشعار والجرسون يقول لي: أجواء وطنية الليلة. كان في صوته سخرية لكن ليس فيها كآبة أو مرارة وأنا متسلطن. حتى سمعت قناوي يسأل وهو يشير لكرسي الإكسلانس: من العرص الذي كان يتكلم هنا لو سمحت؟ وبدأت أقول له: كان يهذر يا قناوي يحاول أن يستفزّك. كنت كتمت ضحكي وكلمته بتعاطف في محاولة يائسة لتلافي الخطبة المحتومة وقد خلع النظارة فعلاً لكنه أفرغ قزازة البيرة في بُقّ واحد وهبدها على التربيزة وهو يطقطق أصابعه للجرسون ليجلب له الثانية. ثم إنه سحب علبة سجايري وبعد ما ولّع واحدة بولّاعتي رماها جنب القزازة الفارغة ورجع يقول: اسمه بالكامل لو سمحت! كان في صوته نبرة تهديد جعلت الضحك يغلبني بالذات والدخان يندلق من أنحاء وجهه. في عينيه شرر يكفي لتأميم قناة السويس. ولقيت نفسي بمنتهى الجدية أقول له: لحظة أتأكد لك من رقم بطاقته يا قناوي. ممكن طبعاً تقبض عليه بتهمة ازدراء الحمدين. لكني انفجرت في الضحك بعد ما اعتدلت في قعدتي وأنا أوشوش: حمدين أمك يا أخي. وهو لم ينتبه لسخريتي حتى بعد ما ضحكت. لم ينتبه لقهقهة العيال ولا حتى للشعار الذي يغنيه الشباب على التربيزة البعيدة وصوتهم عندنا وهم يضحكون معنا. ارفع رأسك فوق أنت مصري.

• ٣٩ | قناوي •

الجمعة ٢٣ مارس ٢٠١٢ -١م-لقاءات

تذكرت ليلتها أن قناوي ساعة ما يغتاظ لا يظهر عليه أي اضطراب ولا يتغيّر صوته. فقط يمسك نظّارته في يده ويلوّح بها في الهواء وهو يهدّد بنفس النبرة الواثقة. تخيَّل سعادتك أن أداء قناوي فعلاً مثل أداء الزعيم الأصلي. لكنه مثل أداء الزعيم فقط بعد حرب ١٩٦٧ . كأن قناوي هو النسخة المهزومة مسبقاً من عبد الناصر. نفس الوجه المربع الثابت ثبات الشجرة مع هدوء واحد على يقين مما يقوله. لكن مع كل ذلك لا لمعان ولا كاريزما مثل ما في خطابات الخمسينات. فقط يرتفع صوته شيئاً فشيئاً والفصحى تتسلل لكلامه العامي كما كانت العامية تتسلل للكلام النحوي في خطابات الزعيم. وتحس وهو يردد الأشياء المفروض أنها يقينية هذه أنه من قلبه لا يصدقها. يعني على الأقل تحس أنه يتكلّم عن بلد ثانية وثورة يوليو ثانية وزعيم ثانٍ نوى أن يتنحّى بجد بعد حرب ١٩٦٧ . مثل الإسلاميين بالضبط يا باشا. يتصرّف كما لو أنه مصدق وهو غير مصدق. وكل الذي عنده كلام خرافي بنبرة أكثر من جدية.

قال: أسأل لأنه لا يتكلّم هكذا إلا واحد عميل نجس. عميل الصهيونية الأمريكية الخائن ولد السفَاح هو الذي يقول عن حمدين إنه كذاب. أم أننا على استعداد لقلب موازين الضمير لهذه الدرجة يا عامر؟ وهي القومية العربية سُبّة نتعفّف عن وسم الآخرين بها؟ ثم يا أخي من سوى حمدين مؤهّل لحمل مبادئ ناصر في مثل هذا المنصب الجسيم؟ يعني هل قامت الثورة لنتجادل في مبادئ زعيم الأمة الذي رفع رأسها في عنان السماء؟ ثم ذكر مجانية التعليم والإصلاح الزراعي والسد العالي مع أشياء ثانية كثيرة وقال إن الشعب هو القائد والمعلم. من غير مناسبة واضحة. وأنا مع أني عارف قناوي وسامع كلامه هذا قبل ساعة واحدة

في الندوة حصل لي ذهول من أني قاعد مع واحد وصل لسن الخمسين وشهد الربيع العربي لكن لا زال يقوم على حيله ليدافع عن القطاع العام. كأنه لا دخل مدارس حكومية ولا راح مستشفى القصر العيني. كأنه لم يسمع بالذي جرى في العراق. ومع أن الطرب يشعشع في رأسي كان أيضاً يضاعف الذهول. بالذات لما وقفت موسيقى الصالون والشباب بدأوا في ترديد أغاني وطنية. والله زمان يا سلاحي اشتقت لك في كفاحي. نظرت لقامة قناوي المشمخرة فوق دماغي والطاقة تزيد في جسمي من غير ما أفهم أني غضبان. وهُيِّئ لي أن الشباب الذين قاموا واقتربوا منّا التفّوا وراءه في نصف دائرة وهم يقلّدون الخطوة العسكرية. كأنهم فرقة استعراضية من زمن الفن الجميل أيام عبد الناصر وهو المطرب الرئيسي في هذه الفرقة. قال: أسأل لأنه لا ينكر هذه الحقائق إلا واحد من اثنين. إما إنه بالفعل مأجور وهذا ما أرجّحه في الحالة الراهنة. وتفل وراء ظهره في الاتجاه الذي كان أخذه الإكسلانس لمّا قام. أو أنه واحد جاهل ومغيّب وقع تحت تأثير الإعلام الإمبريالي. هذا ما كان يقوله أو حاجة مثله سعادتك. مع الطرب أو الغضب الذي ظهر وكأنه ذهول. والتكيلا نار في بطني. أنا فاكر أن قناوي كان يتقيّأ جملة ما عن الاستقلال الوطني ومعاهدة كامب ديفيد لمّا وقفت. فاكر لأن لحظة وقفتي هذه فهمت حاجة مهمة يا باشا.

لأول مرة من ساعة ما قامت الثورة فهمت أني أنا الذي كنت أحب عبد الناصر وأنا عارف أن تجربته فشلت فقدتُ أي احترام له بعد ما شهدتُ الربيع العربي. من غير ما أقصد بقيت أحتقره. وأني لا أحتقره وحده إنما الذين يحبونه كذلك. الذين يرون في الانقلابات والحروب التي عملها أي وجاهة أو يصدقون كلامه عن الوطن والشعب. واحد مثل قناوي أنا لم أكن لأحترمه حتى لو لم يحصل ربيع عربي لكني الآن فقط اعترفت لنفسي أن الاحترام كله راح أول ما قامت الثورة. لمّا رأيت الشوارع من غير أي دليل على وجود دولة والعيال تقع على الأسفلت

وهي سائحة في دمها وأنت لا تعرف من يضربها بالرصاص. كأنك في
حطام حرب نووية سعادتك. وفهمت أن طموح عبد الناصر كان مملاً
وغبياً ولا يخلو من تقوى لمّا رأيت الناشطات السياسيات محجّبات
والعيال حتى وهم يثورون يحافظون على مواعيد الصلاة. فهمت أنه
مع كل الكلام الكبير ومصارع التدليل عليه لم يضع في اعتباره أي
شيء. لكن على ما يبدو لم أعترف لنفسي. الآن وأنا أقف لأواجه قناوي
والشباب حواليه يردّدون النشيد الوطني الناصري أول مرة أقول لنفسي
طموح الزعيم هو نفسه حطام الحرب النووية. وبعد ذلك سأفهم أيضاً
الغضب كان من الاكتشاف وليس من قناوي لكن قناوي يتقيّأ وهو يلوّح
بنظارته وأنا في جسمي طاقة. لم أنطق. فقط تحرّك ذراعي بالتوازي مع
حركة ذراعه وكأني ألوّح مثله لحد ما هبدته بالقلم على وجهه فوقعت
من يده النظارة وسكت. أهم حاجة أنه سكت. الشباب أيضاً سكتوا
والجرسون وقف يغمز لي والعيال الذين معي وقفوا استعداداً للتحجيز
بيننا. كنت أنظر له في عينيه. مرّت دقيقة ربما وأنا أنظر له وهو مثل التمث
ذراعه كما هو لحظة ما وقعت النظارة. ثم من غير ولا نَفَس مشيت ناحي
مساحة الجلوس التي في الداخل ومنه للأسانسير ونزلت. هكذا. قلت
لنفسي هو ممكن يحاسب على البيرة. أنا فاكر أني كنت أدمدم بصوت
غليظ وأنا نازل: اخرس اخرس اخرس. شد السيفون على بقّك يا بن د
القحبة. وساعتها فقط عرفت أني غضبان.

يرجع لي الآن بعد ما صفعت قناوي. كان واحد مُنتِج مسرحي يملك شقة تطل على ميدان التحرير وكان ثورياً. والشقة هذه كانت مثل دار سيرين ملاذاً للمتظاهرين من بطش الأمن. وكانت ملاذاً من امتعاض أهالي المنطقة أيضاً ومطاردات رجال الأمن أنفسهم من مطاردات أصحاب الدبابير. وصاحب الشقة المنتج المسرحي الذي استجوبوه أكثر من مرة لأنه يستقبل المتظاهرين مثل القائم على دار سيرين ربما صادق في تعاطفه مع المظاهرات لكن كونه حوّل شقته لاستراحة صيّع لم يكن كما قالوا مساهمة تاريخية. كان الرجل هذا وكانت صحبة وزيطة وشهرة أيضاً على حس الثورة والتاريخ أنا الذي أعمله. وهناك قابلت الناشط السياسي عماد خشبة قبل ثلاثة أشهر من انتخاب البرلمان. وكانت مقابلتنا بعد أيام من قعدة مع ديع بيه أعلمني فيها بالتاريخ الشخصي لخشبة الذي لا يعرفه أحد. أنا فاكر أنه أثناء وجودنا في شقة المنتج المسرحي هذا الجو تشبّع بالغاز المسيل للدموع وطرِشنا من صوت الرشاشات مع دوشة الجري والزعيق والشتيمة. ولا أعرف كيف لم يفكّر أحد فينا في النظر من البلكونة دعك من النزول لمساعدة الرفاق. كانت شقة المنتج المسرحي وكان خشبة يتكلّم. فجأة أحسست أن القاعدين بما فيهم أنا كلهم يمثّلون في فيلم لا أعرف من مخرجه.

وكان أثّر فيَّ كلام وديع بيه في قعدتنا هذه. ليس عن خشبة بالذات. كان أثّر لأنه جعلني أدرك أن حبي لعبد الناصر مجرد ولع بأشياء زائفة وزائدة عن الحاجة. من بعد مقتل نايف كان طرأ على حبي لعبد الناصر تغير سيجعله كراهية مع الوقت. والغريب أني لم أكن أدركت أن هذا الذي حصل لم يكن مجرّد تغير في رأيي السياسي. سنة ٢٠٠٢ كان موت أبوي وكانت كملت القصة التي ابتدأت بفشل أول تجربة غرامية في حياتي وانتهت بموت نايف. لكن سنة ٢٠٠٢ أيضاً بدأت أكفر

بالزعيم. مشهد ميل جيبسون في دور وليام والاس زعيم استقلال سكتلندا على آخر القرن الثالث عشر وهو فوق حصانه يخطب في جيش الفلاحين المتحفِّزين ضد الإنجليز: فريييدوووم! وهم أول ما يجعر بالكلمة يهلّلون مؤيدين ويرفعون السلاح. يعني ليس مهماً إذا كنت شاهدت الفيلم قبل أو بعد ما فكّرت في الكلام. المهم هو أن الموضوع بدا وكأن والاس مسح دهانات الحرب الزرقاء عن وجهه وقصّ شعره وربّى شنبه ثم لبس ملابس داخلية مكان ما كان عرياناً تحت الكيلت التقليدي ومن فوقها بدلة كاملة وإذا وهو واقف على منصة في القاهرة في نصف القرن العشرين يحط بوزه في الميكروفون ليقول بفصحى ركيكة: باسم الأمة. رئيس الجمهورية. مادة واحد: تؤمَّم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية... المشهد هذا بدا غير مهم مقارنةً بنتائجه على المدى الطويل. دعك من الهزيمة المهينة فعلاً خلال عشر سنين من تاريخه. وظللت مندهشاً من أني مشيت وراءه سنين من عمري لحد سنة ٢٠١١ لمّا فهمت أن كل الحكاية هي وتر الظلم هذا الذي يرجف مثل وتر الهجر في الأغنيات. وديع بيه يوم عزف على جسمي ليدرّبني في بداية معرفتنا سنة ٢٠٠٦ لم يحوّلني لآلة وجع بقدر ما علّمني درساً غالياً. أمّا عبد الناصر فكان حولني إلى آلة ظلم نصف عمري. ولو لم أفِق لتحوّلت لطبلة مثل قناوي تدق بشعاراته بعد مرور زمنها بملايين الأموات. أقول لك الصدق وديع بيه رد لي صوت الإنسان في حنجرتي. وهذا الموضوع فتح في جلدي مساماً تمتص الطاقة التي ينقلها لي المتر.

كانت مقابلة في صالون منتج مسرحي ونحن نشرب ويسكي سينجل مولت ونسمع مهرجانات أوكا وأورتيجا وعماد خشبة يتكلّم. وإذا أنا بطل أحد تلك الأفلام الأمريكية التي تدور قصتها حول شخص أو أسرة تنتقل لبلدة منزوية لتكتشف أن سكانها كلهم مجانين يمارسون

إجراماً مخفياً عن الغرباء ومتفقاً عليه في ما بينهم. ثمّة جثث وحشرات وزواحف وربما أيضاً عفاريت وعبادة شيطان أو سحر أسود. ومن أجل مغامرات معدّة ليكشف البطل زيف الصورة الاعتيادية للبلدة وينتصر أخيراً على شرّها كنت وسط الثوار والمثقفين.

• ٣٧ | راكع على حزّ السرير •

السبت ٢٤ مارس ٢٠١٢_١١ص_احلام

الشمس الساقطة على الجسم العريان كانت كأنها سبوتلايت أقول لك. تحرق عينيّ وأنا أستوعب أني عملت حاجات كثيرة ومهمة في غير وجود مون. وأن إحساس أني لم أعمل شيئاً فعلاً دليل أنها تسيطر عليَّ. ليلتها لما روّحت كلّمتها مرة بعد مرة ولم ترد. قضيت الليلة مع عتريس وبكيت من صراخه وهي لا ترد وأنا لا أعرف كيف أصل لها واستمنيت. لأول مرة من شهور أستمني. وبكيت من صراخ عتريس. هذه كانت أول مرة أفكر إني لازم أعيّن لمون مراقَبَة. أقل من دقيقة الآن ورجعت أدفن وجهي بين رجليها. وكأن بوابة تنفتح قدامي وأنا راكع على حزّ السرير. بوابة تنفتح وأنا أدخل من النور الذي يوجع عيني للظلمة والظلمة عبارة عن جلد وعضل وسوائل لازال طعمها في فمي. كانت تلف رجليها حول ظهري كأنها تقفل البوابة لتحبسني عندها وهي تشهق. شهقة واحدة هي آخر الدنيا إلى أن اكتمل العمى سعادتك. طير في نفق والنفق نفسه طير. ومع كل الرفرفة والتحليق في الظلمة يدها بقيت في يدي للآخر. كنت كلمتها وبكيت من صراخ عتريس ثم استمنيت وهي لا ترد وأنا لا أعرف كيف أصل لها.

الآن وأنا ألف سيجارة ثانية قلت لها إننا تقاعسنا عن واجبنا النضالي ولم نمنع الإسلاميين من احتكار الدستور. وهي كانت تتفرّج على صورها في شاشة الكاميرا فتركتْها تسقط على السرير وشدّتني من خصيتي لترد: نضالي هذا زوج خالتك. وربما لأول مرة من ساعة ما عرفتها كانت خصيتي في قبضة يدها وأنا أضحك لها وأفكر إنها المسؤولة عن موت نايف. وكأني أكتشف الحكاية هذه لأول مرة تذكّرت إنه كان صاحبها لمّا مات أيام كانت هي الأخرى شاعرة. وإنه مات في حادث سيارة لمّا ذهب يبحث عنها. ربما كنت مغتاظاً. أتوقّع أن تقتلني حتى لو فعلت بطريقة غير مباشرة مثل ما حصل مع نايف. ثمّة سكّين في عقلي وربما في عقلي طعنتُها. قطّعت أوردة رقبتها وحفرت خطوطاً متفاوتة العمق في وركها وبطنها. وكنتُ بعد كل جرح أعمله في جسمها أصورها بنفس الشغف. آه. بهذا القدر من الجرم أنا مستعد فعلاً للاعتراف. إني المرة هذه ومرات قبلها وبعدها تخيلتها مقتولة ولم يضرّني أن أكون قاتلها الذي يصوِّر عمل يديه حال اقترافه. في الخيال.

• ٣٦ | لكن العملية انكشفت •

الأحد ٢٥ مارس ٢٠١٢_١٠ص_أحلام

لكن العملية انكشفت بسبب ثلاث حاجات أثبتت لي أن الإسلام ليس كما يتكلّمون عنه. ليس فقط الإسلام السياسي. حاجات مهمة ساعات ترجع لي على صوت عبد الوهاب وهو يقول: يا دنيا يا غرامي يا وعدي يا ابتسامي مهما كانت آلامي قلبي يحبّك يا دنيا. تقريباً أكثر لحن أحبه من كل ألحان موسيقار الأجيال. كنت كل يوم أتأكّد أكثر. المشكلة أكبر

من نظام الحكم والدولة وحتى التاريخ. المشكلة في واحد يطلب منك العدل والسلام أو الثورة وهو لا يعرف معنى هذه الأشياء لكنه يعتقد أنه يعرف معناها لدرجة أنه مستعد يقتلك.

أول حاجة لفتت نظري كانت كلام المتر عن معتقدات الماساي. هو قبل ما يرجع يظهر في حياتي لأول مرة من سنة ١٩٩٩ كنت نسيت كل الذي حكاه لي عن هذه المعتقدات. مع أني في يوم من أيام سنة ٢٠٠١ بعد ما هو اختفى بحوالي سنتين عشت كواحد من الماساي كأني في منام وأنا صاحٍ. المتر لما رجع ظهر كان فيلم أحداث شارع محمد محمود شغالاً. كل هذا الكلام في شهر ١١ سنة ٢٠١١. الظهور الثاني بعد جمعة قندهار والعيال يهجمون على وزارة الداخلية. في الأول كان فيه جمعة قندهار في ميدان التحرير. وبعد ما انصرفت البهائم في الأتوبيسات التي تشحنها العيال تجمّعوا وبدأوا يهجمون على الوزارة. مات منهم كثير لحد ما خلص الفيلم في الجمعة التي بعدها. وكانت اشتغلت انتخابات مجلس الشعب والأتوبيسات تشحن نفس البهائم لصناديق الاقتراع. كل هذا الكلام طبعاً قبل ما أقابل مون. لكن المتر كان بدأ يحكي لي عن قبيلته. كان ظهر وبدأ يحكي لي. والمرة هذه في ظهوره الثاني بدل ما يعمل نفسه قابلني صدفة كما حصل قبل الألفية بأيام سنة ١٩٩٩ جاء مباشرة. سنة ١٩٩٩ يا باشا. الدنيا المفتوحة مثل طريق أسفلت ونايف لا زال لم يمت. من ١٩٩٧ لـ ٢٠٠١ لما مات كانت الدنيا مفتوحة. وعلى عكس ما يعتقد الفتيس حسب كلامه في الفايل سنة ١٩٩٩ كنتُ لا زلتُ لم أنتقل للعجوزة. العزاء الذي عملناه لنايف كان في شقة ميت عقبة في المهندسين. نحن التماسيح بدمنا البارد سوف نبكي قدام بعض بحرارة. وساعة ما ينظر لي الفتيس وليس في الشقة إلا أنا وهو ثم يقول مون المسؤولة تحصل الحكاية. فجأة هكذا مشاهد من عمر غير موثّق. كأنك تكتشف هوية لك كانت غائبة

عنك طول حياتك وهي غريبة عليك فعلاً لكنها موجودة. لقد أُبتُ إلى سافانا السيرينجيتي بين كينيا وتنزانيا وأنا لا أعرف أين أنا لكني أعرف أني في ديار الشخص هذا الذي استضفته عندي في البيت في نفس اليوم الذي طبعت فيه صورة نرجس لأعطيها لنايف. قابلتُ عشيرتي في الوادي وشربتُ حليب ودماء أبقارنا. وكنتُ وأنا أقبل عليهم أعمل صوتاً حاداً ومحشرجاً على سبيل التحية: يايّيبهوووواااه. يعني كنتُ أسداً قبل ما يظهر لي الأسد. كنت ذلك الرجل السنوري المسكون بالنوم وهاجسّ التخلص من أطفال الآخرين.

أنادي في المغيب وأول النهار
أنا المقاتل ذو العباءة السوداء
حتى لا تقول السماء ولا الأرض
أني مغرور ولا أرفع صوتي

أنا المقاتل ذو الرمح النحيف
واحد غلبان أثقل الفقر عنقي
وقطيعي لا يتعدى الخمسين
تحتقره الفتاة التي تحلب
والولد الذي يرعى
ولا يكمل قدم شجرة
فائرة بالنبات

أنا المقاتل ذو العباءة السوداء
طلبتُ بهائم الضعفاء في البلاد البعيدة
ليكبر قطيعي

يا غراب يا ذا الشارة البيضاء
يا من تضعها حيث تضع النساء الخصلات
أنت لا تلبسها فقط في بلادنا
أنت تلبس العباءة السوداء
ولكن ليس فقط في بلادنا
قل لي أين بهائم الغرباء
ذات الأسنام التي تشبه كثبان النمل
فنحن ذوو الرماح النحيفة
نموت عليها

أنادي في المغيب وأول النهار
أنا المقاتل ذو العباءة السوداء
حتى لا تقول السماء ولا الأرض
أني مغرور ولا أرفع صوتي

أنا المقاتل ذو الرمح النحيف
واحد غلبان أثقل الفقر عنقي
وقطيعي لا يتعدى الخمسين
تحتقره الفتاة التي تحلب
والولد الذي يرعى
ولا يكمل قدم شجرة
فائرة بالنبات

أنا المقاتل ذو العباءة السوداء
طلبتُ بهائم الضعفاء في البلاد البعيدة
ليكبر قطيعي.

هكذا كنتُ أغني أثناء تلك الرؤيا التي حصلت لي في شقة ميت عقبة والفتيس لا يدري. لقد ترجمتُ ما فهمته مما كنت أغني بلغة لا أعرفها. وهو نفس الذي سأغنيه مرة ثانية سنة ٢٠١٢ مع العيال وفي أذني اللحن الذي أحبه لموسيقار الأجيال: يا دنيا إيه جرى لي وأنا اللي كنت خالي مهما غيرتِ حالي قلبي يحبك يا دنيا. لم أخبر أحداً بالذي جرى لي وأنا أسأل نفسي بفزع عن هذا الذي رأيته وعلاقته بحزني على نايف وبالشبح الذي كنت استفضته عندي في البيت. ثم أي لغة هذه التي أغني بها وأفهم معنى ما أغنيه وأنا لا أعرف الكلام؟

• ٣٥ | وموران لحد ما نموت •

الأحد ٢٥ مارس ٢٠١٢-١١ص-لقاءات

وقتها كان سكني في شارع عدن في ميت عُقبة على بعد خطوات من سفارة جمهورية تنزانيا المتحدة في شارع أنس بن مالك في المهندسين. هو ذا الذي نسيه الفتيس وهو يكتب. هناك استضفت المتر بعد ما ظهر لي في الشارع. وكان هذا يوم طبعت لنايف صورة ما بين رجلي نرجس كما وعدته أني سأعمل لو اتضح أن كلامه عنها صحيح. كنت راجعاً من المعمل الكئيب الذي في ميدان الأوبرا وفي حلقي طعم الأحماض. لقد قرّرت أن أعلن هزيمتي قدام نايف وأعترف له بأن نرجس فعلاً هذه صورتها: مجرد كس مستعمل لا شيء وراءه في الحياة. كان الغرام انطفأ في بطني مثل الحديد المحمى ونايف كسب الرهان. تعرف سعادتك أني كنت طيباً فعلاً في المرحلة هذه؟ وحتى وأنا أحمل لنايف الصورة دليل خسارتي والبكاء يهزّني كل مدة سأكون

في مأمن من الشر. تخيّل. ويوم ظهر المتر والدنيا برد والجو هادئ جداً ليس فقط في ميدان الأوبرا والعتبة ولكن كما بدا في القاهرة كلها كنت طيباً لكن ما هذا الهدوء؟ كأن البلد تنتظر مصيبة. ولا شيء إلا اقتراب الألفية لكن ربما كوني سأعلن هزيمتي لنايف أو كونه سيموت. لماذا القاهرة دائماً تتواطأ مع الذي يحصل لي؟ كنت اقتربت من البيت والشارع فاض وكنت على وشك أن أعبر الناصية الأخيرة فإذا بشخص أسود قدامي. شخص طويل ورفيع ومع ذلك كأنه ممتلئ أو عريض ربما لأن كتفه مربع. كانت الابتسامة في وجهه وكانت فتحة نفق أو فم ثعبان. وأنا شكلي تعلّقت بأي شيء يلهيني عن نرجس. من أول لحظة أحسست أنه مبعوث لي. كان يلبس قميصاً وبنطلوناً وعلى كتفه شال أحمر منقوش. في يده رمح خشبي. وعلى رأسه شيء كأنه عُرف أسد. قبل ما يعترض طريقي كان عمل صوتاً حاداً فيه حشرجة: يايّيهوووواااه. وعلى ما انتبهت له بدأ يسألني بإنجليزي مكسّر أين أقرب مكان يشتري منه فحماً. فحم؟ قال إن فيه دفاية تشتغل بالفحم وهو يشير لموقع السفارة وفي وجهه الابتسامة هذه مثل بقعة نور. ثم بدأ يهز الرمح لفوق وينط وهو يشرح لي إنه عضو وفد تبادل ثقافي بين مصر وتنزانيا وإنه خارج من بروفة الرقصة القبائلية التي سيقدّمها مع بقية الفرقة في دار الأوبرا بعد يومين. قال إنه تعجبه الإقامة في القاهرة لكنهم يسكنون في غرف صغيرة في الدور الأعلى من مبنى السفارة والدنيا برد. وقبل ما يرجع يعمل الصوت هذا سألني لو كنت أسكن قريباً وهل شقتي دافئة وهو يضحك. يايّيهوووواااه. شكلي تعلّقت بأي شيء أقول لك. فالمتر جاء معي البيت وقعد أربع وعشرين ساعة ثم قال إنه راجع السفارة واختفى. كأنه تبخّر من على وجه الأرض. من كثر ما شغلني حتى سألت في الأوبرا وفي السفارة في الأيام التالية. لا كان فيه عرض ولا تبادل ثقافي ولا شيء. فقط خلال الأربع وعشرين

ساعة التي قضاها عندي أعلمني إنه من قبائل الماساي وشرح لي معنى اسمه. ولا أعرف لو كان بُعث ليوصّل أسلاك الشر في رأسي.

المتر في ظهوره الثاني أيام أحداث محمد محمود دوّر عليَّ وجاء لي في بيتي في شارع قصر النيل. وقتها كنت انتقلت من شارع الجمهورية وكان مات قطي سلطان فبدّلته بقط مراهق اسمه عتريس هو الآخر مثل قططي كلها أسود. وفي ثاني زيارة للمتر جاء ومعه معه قِدر ضخم معمول من الحديد الخام قال لي إنه جلبه من ديار الموران في تنزانيا وسيطبخ لي فيه وليمة لحمة مثل التي يأكلها الموران. وفعلاً. استعمل في الشوربة جذر شجرة ولحاء شجرة ثانية وأوراق ثالثة جاء بها معه في لفافة وكان طلب مني أشتري له عشرة كيلو لحمة بقري. عشرة كيلو بحالهم يا ظالم؟ لازم عشرة. أكلنا أنا والرفاق مع أن أعمارنا المتنوعة تكسر تقسيمة الحلقات العمرية التي يعملها مجتمع الماساي. مجتمع الماساي يكتفي بالحلقات العمرية من غير لا طبقات ولا حِرَف ولا حتى أسر كما عند المجتمعات الحديثة. وكان المتر يحكي لنا عن شرب الدم نحن قادة الكتائب. أشرف بيومي وصلاح نصر وشريف تادرس مهندس الكمبيوتر الشاب وعلاء الراوي طالب الطب السلفي ثم الديك والإكسلانس والحفّار. المتر قال إننا الحلقة المنبوذة وضحك. وقال إننا عشيرة لوحدنا وموران لحد ما نموت على عكس بقية العشائر. ولما أكلنا معه من اللحمة هذه تشنّجت أجسامنا وجمدت قلوبنا وبقينا متحفّزين للخناق. هو علّمنا كلمات من لغة الما. وغنّينا معه كما يغني الموران وهم خارجون ليصطادوا الأسود. ونحن كنّا خارجين نصطاد فعلاً ولكن ليس أسوداً. هذه كانت أول مرة أتحوّل.

في جمعة ما من شهر ديسمبر أو يناير ٢٠١٢. بعد ما خلص الشغل كله وكل واحد رجع بيته تحوّلت ورجعت وأنا لوحدي في البيت. وتذكّرت الحلم الذي حلمته ليلة موت فريدة. خفت طبعاً. خفت وحزنت ثم

فرحت أو يعني اطمأنيت. ومن ساعتها وولائم اللحمة تسبق كل طلعة من طلعاتنا.

الطلعة التي أتذكّر تاريخها بوضوح طلعة يوم الأحد ٢٥-٣-٢٠١٢. يوم كان ألتراس أهلاوي عاملين مسيرة كبيرة من اتحاد الكرة لمجلس الشعب اعتراضاً على مذبحة رفاقهم قبل شهرين تقريباً في بورسعيد. بدّعنا في هذا اليوم. في الصباح جاء الرفاق وأكلنا قبل ما نخرج. والمتر كان بات عندي ليطبخ. هذه كانت الزيارة الكم؟ أنا مع أن ما قاله لي المتر عن سبب رجوعه في أول زيارة يوم ٢٢-١١ كلام فارغ كنت شاري دماغي. كأني مرتاح لوجوده معي في الأيام هذه بالذات. مرتاب إنما مرتاح. كان قال إنه شغّال على دراسة أكاديمية عن الثورة المصرية والربيع العربي وجاء يستشيرني على أساس أني معرفة قديمة وعندي خبرة مباشرة بالأحداث. لم أصدّق كلمة واحدة من ذلك أقول لك لكني شاري دماغي. عندي إحساس بأن رجوعه محتوم مثل حصول الثورة ومثل الشر الذي أصاب فريدة لما زادت شهوتي لها بعد ما تأكدتُ أن دماغها فاضية. الشر يصيب صديقاتي واحدة واحدة. ومع أن الحكاية هذه بدأت بعد ظهور المتر الأول بسبع سنين تقريباً سنة ٢٠٠٦ مَن لا يعرف أن هذا كله بمعونته سواء كان موجوداً أو لا؟ كان يجيء حتى وهو ليس هنا يا باشا. كل مرة. في آخر لحظة أحس به من غير ما أراه.

• ٣٤ | المتر •

الأحد ٢٥ مارس ٢٠١٢ـ١م ـأحلام

هكذا حصلت الحكاية. يوم ٢٢-١١-٢٠١١ كنتُ في الطريق لاعتصام

ميدان التحرير أشوف حاجة أصوّرها: واحد ميت أو ناس تجري على البوليس والبوليس يضرب عليهم. مثلاً يعني. لكن لما جئت أفتح باب الشقة التي أجرتها من أكثر من سنة في شارع قصر النيل لأعيش فيها مع قطي عتريس لقيته في وجهي. هو بشحمه ولحمه بالضبط مثل ما كان سنة ١٩٩٩ . رأسه الكبيرة المربعة مثل الفانوس ومناخيره الواسعة المستطيلة لا هي مفلطحة ولا مخروطية. جلده الذي لون الدم الناشف يعني لا هو أحمر ولا بني ولا أسود إنما مثل الدم بعد ما ينشف تقريباً. ثخن شفتيه من تحت فك كأنه قبضة يد. واللون الأحمر في عينيه الضيقة جنب البؤبؤ الرمادي المصفر ثم الأسنان الكبيرة المكعبة. ولماذا لا يجيء في بالي إلا بعد ذلك بكثير أن مترينانكا بصرف النظر عن أنه رفيع وطويل مثل العصا شكله فعلاً شكل الأسد؟ كان يقول إنه فرحان إنه لقيني. وإنه متأكد أن الثورة عندي حاجة وعند عموم النشطاء حاجة ثانية. يقول: سَوْرة بتاءك هاجة وسَوْرة بتاءهم هاجة.

أول شيء لفت نظري أقول لك كان كلامه عن إينكاي إله الماساي ومحاولات التبشير في تنزانيا. قال لي إن المسيحية قصة لوحدها لكنه لما قرأ العهد القديم أحس أن اليهودية ليست مختلفة كثيراً لأنها هي أيضاً ديانة رعاة. وحكى لي عن إينكاي هذا الذي هو إله الماساي مثل ما يهوه إله اليهود. الكلمة تعني السماء وهي مؤنّثة مع أن إينكاي نفسه ذكر. وحكى لي إن إينكاي كان موجوداً لما كان الكون شيء واحد على بعضه وكان يرعى البقر. ثم لما انقسم الكون لسماء وأرض هو كان في السماء وأنزل البقر للماساي على حبل معمول من لحاء شجرة. الشجرة هذه إينكاي كان عمل منها ثلاث حاجات لأولاده الثلاثة الذين على الأرض الذين أحبهم ثم رجع غضب على اثنين منهم. أعطى الصيّاد قوساً والمزارع فأساً والراعي الذي هو جد الماساي أعطاه عصا وأنزل له البقر على حبل من السماء. ولما غار الصياد قطع الحبل

فلم يعد البقر ينزل. ومن ساعتها والماساي يتعبون في جمع الأبقار سواء بتربيتها أو باستردادها من القبائل الأخرى التي ترعاها من غير حق لأن إينكاي أعطاها للماساي وليس لغيرهم من سكّان الأرض.

قال لي إن النبوّة عند اليهود مجرّد وظيفة يتنافس عليها أفراد وساعات يجيء واحد غير معروف يثبت جدارته فيها على المعروفين في القبيلة. وكذلك أمر الماساي غير أن كاهناً يسمّى أولويبوني يتخصّص في النبوّة والألويبون هؤلاء عشيرة لوحدهم يتوارثون مهمّات إقامة الطقوس والتنبّؤ بالمستقبل. وفي ما بعد لما أخذت باقتراح المتر أن أقرأ العهد القديم وغرقت في قصص مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل التفت لأن الأبطال كان يُطلق عليهم لقب أسد يهوذا وأن في هذا تشابهاً مع اهتمام الماساي بالأسد. لكني تعلّقت بسفر إرميا النبي الذي سلّم مملكته للعدو تسليم أهالي بأمر الرب. تعلّقت به لأني كنت أفكّر أني أقوم بنفس الوظيفة والعيال الذين معي كأنهم باروخ صاحب إرميا الذي ساعده في توصيل الرسالة ودوّن له كلامه. يتناوبون على دور باروخ أو يلعبونه معاً. أنا أيضاً أسلّم الثورة للعدو تسليم أهالي ولكن بأمر من؟

ثاني شيء حضرتك كان نايف. لأنه من ساعة ما بدأت الأحداث يوم ٢٥-١-٢٠١١ ونايف كابس على نفسي. ابن المجنونة. شكله وصوته وحركاته البهلوانية. ولأنه كابس على نفسي فعلاً ويحكي لي عن سقوط مبارك من قبل ما يحصل وعن الأيام السوداء التي في انتظارنا أحس أن الموت ليس كما يتكلّمون عنه. نايف كأنه وسيط الرب يا باشا. يعني لو اعتبرت نفسي أقوم بوظيفة النبوّة أو أعمل شغل السماء في العدل والسلام أو الثورة فهو الذي يوجهني. لكنه أيضاً يظهر لي بأشكال مختلفة. ومثل ما كان يظهر المتر من بعد ما اختفى تماماً رجع نايف يظهر لحظياً بالإحساس أكثر من البصر كأنه حيّ. وهذا الشيء حطّ في دماغي فكرة أن الأموات يتكلّمون والغيب ممكن معرفته والتأثير على مساره

والصح والغلط أصلاً أشياء بلا معنى. وهذا طبعاً هدّأني من ناحية الذنب الذي أحسه ساعة ما أحس بالذنب. يعني صحيح للضرورة أحكام لكن الأحكام هذه ليست نهائية وكون فريدة مثلاً ماتت لا يعني أن فريدة انتهت للأبد. هدّأني وعرّفني أن المتر ممكن. ربما حتى شكّكني في أن المتر هو نايف. روحه أو جزء من روحه موجود من قبل ما يموت. لأن الحقيقة أن نايف لا زال معي من سنة ١٩٩٩ من يوم طلع لي مترينانكا على ناصية بيتي بالرمح وعرف الأسد. ولما تحوّلت لموران وأنا لا أعرف بعد ما نايف مات. ثم لما قرّر حسني مبارك أن يتخلّى عن منصبه كما قال عمر سليمان رئيس المخابرات السابق في البيان الرسمي. الحقيقة أن نايف هو الذي جعلني من أنا بقسوته في موضوع نرجس ثم موته. المتر فقط وسيلة اتصال.

آخر الأشياء الثلاثة طبعاً كان رضوى عادل. ليس ظهورها في حدٍّ ذاته ولا حتى اسمها المستعار الذي أوحى لي بفكرة أن الأموات يستمرون ولكن الأهم من كل ذلك كلامنا. وأنا من أول لحظة حاسس أنها من ضمن المصائب وتريد أن تعرف حاجات لكن كلامنا يأخذني لأن عندها نفس الأسئلة عن العملية التي تنكشف. كان فيه جنس افتراضي لكن كأنه امتداد للجنس مع مون في غيابها وعلى كل حال ليس هذا المهم. أنا فاكر مثلاً أني في ثاني محادثة قبل ما أقنعها أن تبلّل لباسها الداخلي من مائها ثم تضعه في فمها كنت أقول لها إن الثورة بدل ما تعرّف الصح والغلط من أول وجديد على اعتبار أنها جاءت لتغيّر شيئاً ظلّت طول الوقت تتكلّم عن أن الصح لا يحصل والمفروض أن يحصل ولا تطرح ولو فكرة بسيطة عن كيفية حصوله. لكنها على عكس المفترض من أي أحداث وخطابات تسمّي نفسها ثورة لم تناقش طبيعة الصح الذي لا يحصل هذا وهل هو صح فعلاً أم أنه أصلاً غلط. وبالتالي لا غيّرت ولا حتى طرحت تغييراً يا رضوى.

• ٣٣ | الزعيم الحقيقي للثورة •

الأحد ٢٥ مارس ٢٠١٢_٥م_أحلام

ورضوى قالت إن كلامي مضبوط وينطبق على الأفكار السياسية نفسها وليس فقط على الثوابت الوطنية والاجتماعية المتعلّقة بالدين والجنس وحرية الفرد. لسبب ما كان الكلام في أشياء مثل هذه مع مون شبه معدوم ومون في النهاية المفروض أنها من المعسكر الثوري مثلها مثل خشبة وقناوي والدكتور ثم إنها قدّام عيني وأنا مهتم بتصويرها والنوم معها أكثر من الكلام. يعني باختصار ومع أني كنت أنتبه لما أقوله طبعاً كان كلامي مع رضوى عادل فضفضة في مواضيع فيها تساؤلات وبالتالي مستحيل الفضفضة فيها وجهاً لوجه لا مع معارفي وصحابي الثوريين ولا مع العيال الشغّالين معي. وحتى المتر لم يكن كلامي معه في الموضوع يريحني بالذات وأني أستشيره في الذي أعمله على الأرض ولا وقت للتفلسف. لكن كان فيه إحساس أن رضوى عادل هذه جاءت من نفس المكان الذي جاء منه المتر وأنها بالتالي لها علاقة بنبوّتي أكثر حتى من مون. يومها لما بلّلت لباسها من مائها ووصفت لي طعمه في فمها سألتها من هي لأنه نفس طعم مون وهي بالنسبة لجسمي فعلاً كانت مون.
وقالت لي إنها واحدة من الذين كانوا في ميدان التحرير أيام الثورة وإنها موجودة في وسط البلد وربما حتى أكون رأيتها كما رأتني ولا أعرف.
وبعد ما شرحت لي كيف كانت فقدت الأمل في الثورة وكان جاء ظهرها وأنا أيضاً قالت إن مون أجمل منها وإنها لن تعجبني لو رأيتها. وقالت: لحظة. ثم قالت أهم شيء على الإطلاق. قالت إنها عارفة أني الزعيم الحقيقي للثورة ومدركة أن لي نشاطاً على الأرض كانت تتمنى أن تكون جزء منه لكنها اكتفت بفكرة أن تبقى على صلة بالزعيم. وقالت إن الثورة معناها أن تتغيّر عقيدة الناس حتى لو أدى ذلك لموت بعضهم وإني بهذا



المعنى لستُ مجرد زعيم سياسي من النوع الحنجوري البيضان ولكني نبيّ. استعملت الكلمة فعلاً: نبيّ. فانتفضتُ. وأنا لحد الآن وأنا أكتب بعد شهور وشهور وبعد ما عرفت من هي بالضبط لا زلت لا أفهم كيف فهمتْ هذا الشيء وعرفتْ متى تقوله لي ليتأكد إيماني بالذي أعمله مع أنها يعني في النهاية... لا فائدة. وبقيت أقول لنفسي وأنا أتابع الدردشة معها على شاشة مثل هذه الشاشة إن الثورة ثورتي وإن معي مخلوقات في صفي غير العيال الذين أشغّلهم وحتى غير البشر الأحياء. إذن جاءتك مون لتدفعك أبعد على الطريق. هذا ما كنت أقوله لنفسي. فأنت في علاقتك بها غير التصوير والجنس يعني تجمع بين نايف والثورة وتجمع بين رضوى عادل التي ماتت سنة ١٩٩٧ ورضوى عادل التي تؤمن بدورك. وكل هذا من وراء معتقدات الماساي التي رجع الرجل الأسد ليحكي لك عنها مع إحساسك بأن الإسلام ليس ما يتكلمون عنه. ليس صدفة أن يكون صاحبك وديع بيه.

ثم إنك تلتفت لتجد المتر قدامك فتوقف ما تعمل. لعلك تكتب تحديث حالة على فيسبوك وأنت تسمع محمد عبد الوهاب يقول: اشرب كاس التهاني وارقص على الأغاني ده بكرة كله فاني يا دنيا كله فاني. أو لعلك تولّف بعض الملاحظات والمشاهد لتخلق منها تدوينة ثانية. أو تعمل جنساً افتراضياً مع امرأة مجهولة تسمّي نفسها رضوى عادل. وتحاول من جديد أن تناديه باسمه: يا مترينانكا. لكن الكلمة تتكعبل على لسانك. بالذات وأنك مندهش من وجوده وربما مفزوع. أنت أكيد فتحت له وأدخلته لكنك لا تذكر متى أو كيف. لقد جاء في موعده بالضبط. في العاشرة مساء السبت ٢٤-٣. الليلة التالية على مقابلة مون. ومع ذلك ثمّة إحساس إنك بمجيئه تغادر الزمن نهائياً وتصير حيث لا زمن. كل مرة. وأنت تعرف أن الشعور هذا متصل بمقابلتك الأولى معه قبل ثلاثة عشر عاماً لما طلّ طلة واحدة واختفى.

لقد كانت طلته خاطفة لدرجة أنك بقيت غير متأكد من بعدها لو كانت حصلت فعلاً أو أنت توهّمتها. فريدة لم تكن الوحيدة يا باشا. سبع عرفتُهن بين ١٩٩٩ واليوم مُتن مقتولات. انس الآن يا باولو. هكذا أقول لنفسي سيادتك. انظر للمتر وهو يخرج لفافة جديدة من جيبه ويفردها جنب الكمبيوتر قبل ما يقعد. احكِ له عن تحولك الأخير ليفرح. اسأله كيف تسيطر على تحولاتك أكثر. اعترف له بكل شيء.

• ٣٢ | عمرو حميدة •

الإثنين ٢٦ مارس ٢٠١٢-١٠ص-لقاءات

يومها لما تجمّعنا وراء الألتراس عند اتحاد الكرة شتمني واحد ناشط اسمه عمرو حميدة. عيّل صغير شعبي في مظهره وأدائه. الشائع أنه بلطجي جدع من حي الشرابية لكن أنا عارف أنه طالب طب صعيدي لا زال لم يتخرّج من جامعة جنوب الوادي ومقيم في القاهرة من سنة ٢٠١٠. ليس على صلة بأي أجهزة أمنية. وكل الحكاية أنه محروق لأني نمت مع امرأته من شهرين. واحدة متوفرة يعني. كانت ليلة عابرة لا تعني أي شيء. وأنا أصلاً لا أعرف أنها امرأته. المهم لما تجمّعنا حصل خلاف هل ننطلق في الموعد أم ننتظر حتى يزيد عددنا. ولما بدأت ألح على الناس في الانطلاق فوراً لقيت حميدة طلع لي يقول: أنت قصدك تفسد المسيرة. حاولت أشرح له وجهة نظري لكنه قاطعني وزعق: خلِّ الناس براحتها يا بن الشرموطة. وكأي ثائر نبيل رفعت يدي وفردت كفي باستعراضية ثم أخذت جنباً والعيال تعاتب حميدة. يومها مات شباب كثير وقُبض على شباب كثير وعُملتْ حفلات بالشوم والكابلات. بدّعنا أقول لك. كان حميدة يحوم حولي لكنه طبعاً لم

ينتبه لشيء. وأنا لم أحطه في دماغي فعلاً. بالليل حتى أخذته من يده من على قهوة التكعيبة في معروف ومشيت معه لناصية شارع شمبليون بعيداً عن الناس ثم لففت ذراعي حول كتفه وقلت له: لا تدع الأمور الشخصية تحل عُروة النضال التي أوثقت بيننا. وهو مثل الممسوس شخر وخطا لوراء وفتح عليَّ المطواة وهو يصرخ: شخصية؟ أنا فيه بيني وبينك شخصي يا روح أمك؟ أنت فاكر نفسك تقدر تعلّم عليَّ؟ كل الذي حصل أني ضحكت وخبطت كفاً بكف ثم تركته كما هو وأنا أتمتم: يا بن المجنونة يا حميدة. يا بن المجنونة. لكني كنت قرّرت أن أركّز معه لحد ما تحصل حاجة تبرّر عقابه.

• ٣١ | عتريس •

السبت ٣١ مارس ٢٠١٢-١٠ص-أحداث

تخيَّل حضرتك أني وأنا أمهد لنشاطي الليلي مع عتريس كلّمته بلغة يفهمها لأحكي له. وبعد ما حكيت له بقي لملاعبته طعم ثان تماماً كما تخيلت. لقد استمتعتُ لدرجة أني وقفت مدة أنظر لجسمه المتصلّب قبل ما أمشي من المطبخ. وتأوهاته ظلت تمتعني لغاية ما رحت في النوم. كنت تركته يتلوّى على البلاط ويصرخ مثل رضيع جائع وحوله وساخة سأضطر لتنظيفها في الصباح. وقبل ما يخرج من المطبخ للركن الذي يحبه من الصالة مكان ما أحط له الأكل وفرشة الرمل نظرت له وطلع من حلقي زئير. شكله جميل حتى وهو مرمي على البلاط في الوضع التعيس هذا يا باشا. وأنا كأنها أول مرة أنتبه لنعومة فروته وهي تبرق. أطفأت النور ودوّرت على عينيه. كانت واحدة مغمضة كلها ونصف الثانية والع بلون أصفر يروح ويجيء على إيقاع الصراخ. فجأة ظهرت في الاثنين

نار خضراء في الظلمة لما شفتها تذكّرت. تذكرت أول مرة أخذته معي البيت من عند صاحبي الذي باعه لي وهو عمره ثمانية أشهر. كان صورة مصغّرة للحيوان الخرافي هذا الذي يسمّونه البوما. أنا بحثت في النت على فكرة. لا يوجد شيء اسمه بوما. يوجد سنّوريات كبيرة سوداء تكون من فصيلة أسد الجبل أو اليغور. لكن عتريس كان بوما مصغّرة وكان فيه حالة من النبل أو الكرامة. من أول لحظة بائنة عليه كرامة تغويك بامتهانها من كثر ما هي موجودة فيه تنفخه وتعطيه أهمية. ثم إني تذكّرت يوم أخذته للعيادة البيطرية ليخصوه. صعب عليَّ مع أنهم وضعوا له بنجاً موضعياً فلم يتوجّع. صعب عليَّ لأني كنت أنتظر أن يسمن ويترهّل مثل ما حصل مع قططي السابقة. أنا كل قططي ذكور سوداء وكلها أخذتها للعيادة ليخصوها: عنتر والجاحظ وأبو زيد ثم ميمون وسلطان. كلهم بقيوا معي حتى ماتوا. ولما خصوهم ترهّلوا وسمنوا وراح منهم جمالهم كلهم مع الوقت. إلا عتريس. إلى أن قضوا قطاً بعد قط وهم في وضعية تشبه وضعيته التعيسة هذه على البلاط. وهو أيضاً مهما ظلّ جميلاً سيقضي مثلهم وهو هكذا ذات يوم. (هو ذا ما يمكن أن نتخيله يا باشا. أنت تعلم سيادتك أن عتريس في شقة شارع قصر النيل من ساعة ما تركته هناك وجئت على بركة السبع.) سيقضي فأحزن عليه وأبحث عن واحد مثله يجيء مكانه. الذي حصل أقول لك أنه خيّب ظني ولم يسمن أو يترهّل ولم يصبه شيء. ظلّ بوما مصغّرة كلها نبل وكرامة تغوي. وهذه كانت أحلى حاجة أتذكرها الليلة وأنا أكلمه أو بعد ما أكلمه يعني وأتذكر أنه أوحشني التركيز معه فعلاً. كنت أستعيد حبي لعتريس وأنا أوحي له بأني سأعفيه من لعبتنا الدائمة الليلة لأحكي له. أقول له: اسمع هنا يا عتريس. تعالَ اسمع عندي قصة مشوقة جداً لك. ثم أذكر له اسم الناشط السياسي عماد خشبة.

في مقابلتي الثالثة مع وديع بيه بعد الثورة هو حكى لي حاجات مهمة

جداً عن الناشط هذا كانت في بالي اليوم وأنا أفكّر في الأحداث. مبدأياً يعني حكى لي إن خشبة كان يشتغل تحت أمره شخصياً أيام انتظم في جماعة الإخوان المسلمين في حي المطرية بين ٢٠٠٨ و٢٠١٠. هو كان أخذ دبلوم صنايع من قليوب وانتسب للجماعة هناك قبل ما ينزح للقاهرة ويسجّل في الجامعة المفتوحة ليأخذ بكالوريوس هندسة. في الفترة هذه اشتهر بمهارته في حرب الشوارع. وديع بيه قال لي إنه كان سيصبح من القياديين الكبار في الجماعة أثناء انتخابات مجلس الشورى في يونيو ويوليو ٢٠١٠ لولا ما حصل في بداية يونيو. المؤكد أنه لم يصبح صادقاً في معارضته للنظام لغاية ما اختلف مع رئيس شعبته فطُرد من تنظيم الجماعة ولم يعد له فائدة عند أجهزة المباحث. لقد ظل عاطلاً لحد ما الثورة قامت فبقي من أبطالها على الفور. وكان توجّهه تَغَيّر من الإسلامي لليساري في زمن قياسي. وحسب كلام وديع بيه كان خلاف خشبة مع رئيس شعبته حول مظاهرة صغيرة عند قسم شرطة المطرية. يومها خشبة بالغ في استخدام زجاجات المولوتوف والصراخ بسباب الضباط والحكومة. وبعد ما ورّط عدداً من شباب الإخوان في الاشتباك مع العساكر لغاية ما مسكوهم هو تمكن من الهرب بسلاسة. الحكاية طبعاً مدبرة. هذا ما فهمته من الكلام. مع أن قيادات الإخوان لم يشكّوا لحظة في نوايا القيادي الصاعد هذا الذي تسبّب في اعتقال شبابهم. الذي حصل بالنسبة لهم مجرّد حماس صبياني نابع من الإيمان بالقضية. كان الكلام في الدوائر الإسلامية عن تعارض بين عفوية الشباب الثوري ووعي أو حكمة السياسيين الكبار. الغرض. المظاهرة هذه كانت للاعتراض على مصرع خالد سعيد في الإسكندرية يوم ٨-٦-٢٠١٠. هذا حصل بعد ما حكومة أحمد نظيف جدّدت العمل بقانون الطوارئ. اثنان أمناء شرطة هجما على خالد سعيد وظلا يضربان رأسه في الحائط لغاية ما نفق مشوّه الوجه ثم تحجّجا بأنه كان معه لفافة بانجو كانت محشورة في فم الجثة وسط الوجه الخربان. سيادتك طبعاً عارف أن

خالد سعيد هذا هو أيقونة الثورة على البوليس التي تقرّر إعلانها في ميدان التحرير في عيد الشرطة بعد حوالي ستة أشهر يوم ٢٥-١-٢٠١١. كانت حكاية غريبة. يعني هو فيه ثورة مثل الحفلة الموسيقية بموعد وموقع مقرّر من قبل قيامها؟ المهم أن خشبة صدّق نفسه لما طُرد من الإخوان وانقطعت مكافأته من أمن الدولة. وديع بيه حذّره من ممارسة أي نشاط سياسي في الفترة التالية والظاهر صدّق أنه معارض يساري. لأن هذه هي الصفة التي رجع بها للشوارع بعد الأحداث ليبقى ناشطاً نجماً يزعق على التلفزيون ويقود المظاهرات وتحترمه القوى الجديدة غصباً عن دين أمها وربما مع الوقت تستعمله أيضاً.

• ٣٠ | نسر شيطاني في جهنم •

السبت ٣١ مارس ٢٠١٢-١١ص-افلام

كان هذا قبل ثلاثة أشهر من انتخاب البرلمان الأول بعد الثورة. يومها أتى وديع بيه على سيرة الكرامة. نفسها هذه التي يزعق باسمها خشبة على الفضائيات والتي سيكلمني عنها الدكتور سليم هو الآخر ونحن على قهوة الندوة الثقافية بعد أشهر. وديع بيه قال لي إن الكرامة واحدة من الخدع الكبرى. ثمّة أشياء زائفة وزائدة عن الحاجة لكن لها وقعاً يدفع الناس للتصرّف بهستيرية وأخذ خطوات غير محسوبة العواقب عندما يسمعونها. وقال إنه أمر مفهوم عندما يكون فردياً لكنه بالغ الخطورة عندما يمس القطيع. يعني فيه ناس تعرف تستخدم فكرة سطحية ولزجة كالكرامة بوعي لتحقيق أهداف سياسية. لكن الذي يركل الفكرة هذه مثل الكرة الشراب في حارة وسخة وهو لا يعرف

ماذا يفعل هو مجرم يستحق العقاب. وأنت عارف عامر بيه ما هو العقاب الوحيد الناجع في هذا العالم. هذا الذي قاله وديع بيه. أما الذي يحطم الخدعة قدّام عين واحد مأخوذ بها فيذكّره أنها مجرد حاجة زائفة وزائدة عن الحاجة فهو يقدّم للواحد هذا خدمة نادرة... أنا فاكر. كنّا في غرفة مبنية بالأسمنت والصلب تحت الأرض داخل شبكة الصرف الصحي. مقابلتنا الثالثة. كل حائط من حيطان الغرفة كان فيه شباك واسع من الزجاج السميك المضبّب والنور الجامد الذي عندنا يندلق من وراء هذا الزحاج فتظهر الصورة. المجاري الضيقة مثل أنهار مصغّرة على ضفافها حشرات وزواحف وقوارض وكل شيء أصفر وبني. وكانت المخلّفات البشرية للقاهرة تقب وتغطس قدامنا محورة ومضخمة. من مكاننا لم يكن ثمّة رائحة سيئة. والغرفة كانت مريحة يعني أحسست كأننا في غواصة شفافة من النوع المعمول لتفقد الأحياء المائية الذي يحول المحيط لحوض سمك مفتوح. فقط بدل الأزرق والأخضر مع أعشاب البحر والسفن الغارقة والمخلوقات الجذابة عندنا صراصير عملاقة تحوّم حول الصدأ والخراء وأعضاء متعفّنة أيضاً. وكان صوت عبد الوهاب في الخلفية لا تعرف من أين: أنا والعذاب وهواك عايشين لبعضينا. آخرتها إيه وياك ياللي إنت ناسينا. وديع بيه هذه المرة أصلع بذقن نابتة. يلبس فانلة داخلية من فوق بنطلون بيجامة كستور وشبشب زنوبة وهو يعمل الشاي على بوتاجاز بعين واحدة. لقد ناولني كباية الشاي وقعد قدامي حط رجلاً على رجل ثم ولّع سيجارة. قال: أنت لو شفت واحداً من غير قميص وهو فارد صدره يجري على دبابة حواليها جنود رافعين السلاح فوراً يُهيأ لك أن الشخص هذا بطل وأنه يعمل حاجة مهمة صح؟ إنه يدافع عن مبدأ أو قيمة وربما حتى يضحّي بحياته من أجلها. لقد لاحظت أن وديع بيه ينفخ الدخان أول ما يدخل فمه ولا يسحبه على صدره. وديع بيه ليس

مدخّناً لكنه في أوقات كثيرة يولّع سيجارة وينفخ دخانها هكذا. هذا ما انتبهت له في مقابلاتنا. وفي كل مقابلة كانت هيئته تتغيّر. المرة هذه هو موظف حكومي تقليدي يدردش مع قريبه أو جاره ساعة العصاري بعد ما قام من القيلولة. والذي يؤكّد هذا الانطباع ويجعلك تتخيل امرأته في المطبخ تقطع البطيخة التي جلبها لها لما رجع من الشغل صوت عبد الوهاب وكأنه طالع من راديو قديم: أهل الهوى مساكين صابرين ومش صابرين وبيحسدوا الخالي. حتى صوت وديع بيه نفسه كأنه صوت موظف حكومي لكنه بدأ يتغير وهو يقول: طيب لو كان الشخص هذا نفسه يشتغل مع ناس محتاجين الملحمة البطولية هذه لأي غرض ولو كان أخذ منهم عَرَقَه؟ أقول لك اعتبر أن المتظاهر البطل هذا شغّال مع الأمن الذي يهجم عليه وهم عندهم تعليمات أن لا يؤذوه. هل هذا يلغي الملحمة الحاصلة قدامك؟ ساعتها أنزل رجله فجأة وتغيّر سمته المنزلي وهو يقول بصوت مختلف قبل ما تتسنى فرصة للتفكير في إجابة: الملحمة تبقى مثل ما هي بصرف النظر. تعرف أو لا تعرف الحقيقة. معرفتك لا تلغي تأثير الملحمة. ثم إنه قام ونظر لفوق كأنه يحضّر لتغيير المشهد. لاحظت فراشة بيضاء بحجم طفل رضيع تفرد جناحيها وتضرب على الشباك وكأن عينيها عليَّ تحاول أن تخترق الزجاج لتصل لي. مجرد عتّة مقرفة لكن بحجم طفل رضيع. ثم مشى وديع بيه ناحيتها ولصق وجهه في الزجاج وظل ينظر لها ويفحّ لغاية ما طارت. وبدت مثل نسر شيطاني في جهنم وهي طائرة. أما وديع بيه فرجع جاء ناحيتي وفحّ مرة ثانية وقال إن ما يهم الناس في الملحمة هو المشهد وإنك لو أعلمتهم بحقيقة البطل سيكذّبونك. وقال إنه كما أن زيف الملحمة لا يقلل من قيمتها عند الناس كذلك صدقها لا ينبغي أن يزيد من قيمتها في الواقع. وإنها مشهد يمكن أن يستعمله سياسياً أي طرف يحتاجه ليس لأن له معنى في حد ذاته لكن لأن له تأثيراً عاطفياً

في الإعلام. كان فحيحه يتحوّل لغناء وراء عبد الوهاب وهو يقول: مثل الأغنية هذه. ثم يردّد: عيني على عيونك والرمش في جفونك قادر وظالمني. عينيك بتتكلّم والرمش بيسلم وإنت مخاصمني. أنا فاكر أن المشهد فعلاً تغير بعد ذلك وأنا أفكّر في الذي قاله لي وديع بيه. الآن ظهر وهو ملثّم في لبس أسود داخل مكان شبه المستودع أو مساحة فاضية من غير شبابيك. وفي الجدران والسقف كانت مقابض حديد مربوطة فيها سلاسل. أنا قاعد وهو واقف والضوء أبيض قوي. كان لا زال يفحّ من وراء لثامه ولكن بصوت مجسّم أعلى بكثير من صوته.

• ٢٩ | خشبة •

السبت ٣١ مارس ٢٠١٢-١م-أحداث

تعال تعال لا تجرِ يا بن الكلب. نحن هنا في الصالة. لسنا ذاهبين للمطبخ الآن. تعال اقعد في حجري واسمع بقية القصة. أنت طبعاً لا تعرف قرية ميت نما في مركز قليوب. قبل بنها بقليل على أول الطريق الزراعي. بيوت الطين معظمها تحوّل لطوب أحمر من غير دهان مع ألواح معدن وأبلكاش وسط الأرض الزراعية. عشش ارتجالية من غير زرع. عمارة واحدة بالمواصفات لا يوجد. ولا مستشفى أو مدرسة أو قسم شرطة أو ورشة أو حتى غيط عليه القيمة. الطين في كل مكان. لا مياه جارية ولا صرف صحي يا ريسو. الطين كله زبالة وخراء. حتى الكهرباء مهرّبة من الكابلات العمومية. يا أخي اهدأ واسمع ما لك. مكان مرعب أقول لك. لو عمرك تخيّلت أنك من أهله يعني أو تربيت هناك. لأن فقر الريف مع قهر المدينة في نفس الوقت عملية

بنت دين قحبة يا أخي. كله ينيك في كله لكن دائماً في السر ودائماً بمقابل. ممكن تقول أقوى شبكة دعارة للأسر المنتجة في تاريخ مصر الحديث. والتديّن طبعاً على طريقة تطليع الدين. لو عملت أي شيء البوليس له فيها عمولة. هذا لو ظهر البوليس أصلاً. أي شيء. نعم نعم هكذا. حبيبي عتريسي. أحلى حاجة تقعد في حجري. ميت نما أقول لك. الكبار تجار ممنوعات والكلاب عندها سعار. الزحمة والعنف والافتراء. تخيّل لو أنت تربيت في ميت نما وكان عندك مخ أو حساسية وتعلّمت فبدأت تقرأ. لو طلعت تكره الظلم مثلاً. وتفرّجت على القاهرة فعرفت. تخيّل يعني. أنت تعليمك محدود جداً والأفكار معجونة في رأسك. فكرتك عن بلدكم أنها نموذج الحياة في مصر. وهكذا يا أيتها البوما العظيمة من الزحف على بطنه جراء مشاجرات عائلية للاحتجاز والكهرباء في أنحاء جسمه بلا رحمة. لا. لا تخف. أنا أكلمك عن خشبة. هل ذهب أحد إلى المطبخ الآن؟ السكن غرفة واحدة على الأرض وزوج أخته يضاجع أخته وهو نائم جنب أمه على بعد نصف متر. كم هي قوية ومغشية روائح العرق والبهائم. كانت العِرَس تداهم أي شرج عار يجيء قدامها. الأطفال يصطادون الفئران والخفافيش. ذات ليلة أفاق على كلبين يتناكحان ورائحتهما فائحة. كانا محمومين. هو لم يدرك أنهما ليسا أخته وزوجها لغاية ما الأخير قام يركلهما من الفتحة التي دخلا منها المقفلة بالأبلكاش. صباح اليوم هذا قرّر أن لا يرجع البيت. الأب ميت من زمان وربما لا يوجد أب. فقط خمس أخوات وشقيقان أحدهما مسجون. (كان أخوه قتل واحداً بالسكين في معركة عارضة. لم يخرج حتى ٢٠٠٩.) الأم تبيع الخضار وتسترزق من بضع علاقات مع تجار. والأخت الكبرى بزوجها وأولادها معهما في الغرفة. تخيّل. حوالي سبعة أشخاص داخل مترين مربعين وزوج أخته يضاجع أخته على ثلاث بلاطات وسط

الطين. ثم إنه في الصف الثالث الإعدادي هو الذي صمم أن يكمل تعليمه رغم كل كلام أمه عن ضرورة أن يترك المدرسة ليقلّب رزقه مع أحد معارفها التجار فيساعد في المعايش. وكان اكتشف الإسلام. مدرسة أبو بكر الصديق للتعليم الأساسي في قليوب ثم مدرسة قليوب الثانوية الصناعية بنين وغرفة مستأجرة مع أربعة طلبة بلا أسر على مقربة من مقر ميكانيكي السيارات الذي يعمل عنده. مدرسة أبو بكر الصديق ومسجد الصفا الإسلامي وزميله المتشنّج دائماً تحت تأثير الباركينول. وغراميات يقطعها تدخل الآباء أو المشايخ أو البوليس. الغراميات يقطعها تدخل رجال أكبر سناً ومقاماً ومدرس اللغة العربية يدمي يديه بعد أن يكتشف كم هو أعلم منه بقواعد النحو والصرف. وأمين المباحث في فريق مراقبة المسجد يفاوضه على مؤخرته مقابل الحماية من استجواب. في البداية أصبح خشبة إمام زاوية. ثم واظب على حضور درس ديني كان يلقيه نقيب إحدى أسر الإخوان المسلمين في قليوب. وبالتزامن مع انتسابه للشعبة التي تنتمي لها أسرة الرجل هذا طُلب للقاء وديع بيه في أحد مكاتب الجهاز هنا في القاهرة تخيّل. فجأة هكذا. خشبة نموذج مهم يا عتريس. ليس لأني جمعتني به قعدة في شقة واحد ثوري من أبناء الأرستقراطية القديمة في ميدان التحرير وكانت خلال أيام فقط من مقابلتي مع وديع بيه هذه التي عرفت فيها ما عرفته عنه. لا. خشبة نموذج لأني رأيت في وجهه رسم الثائر المنخرط في المسار التاريخي للتحول الديمقراطي وأنا عارف. ملامح واحد من صناع الجمهورية الثانية أنت فاهم كيف مشت حياته فهل يعني هذا أن الجمهورية الثانية التي يمثّلها تمشي على نفس النهج؟ خشبة شاب رشيق عنده من الوسامة وخفة الدم ما يذكّرني بنايف. لكنه مقارنة بعمق وسواد نايف عبارة عن المادة الخام للطيش والسفه. لقد نظرت في وجهه وهو يقول إن لا أحد غير الثوار الحقيقيين يفهم معنى الثورة

وإن كل الذين يتاجرون بالثورة لا يعرفون معنى التضحية الجسدية من أجلها. وقال: من لا يضحي بنفسه لبلده؟ هذا أكيد واحد خائن. كان متأثّراً والدمعة في عينه فعلاً. وأنا ظللت أنظر لوجهه وهو يتكلّم عن جدعنة الثوار وعفونة فلول النظام السابق وكل القاعدين يسمعون. كان صادقاً يا عتريس. ممكن يكون فيه تناقض لكنه صادق. وهذه كانت لحظة مهمة جداً في تاريخ علاقتي مع الثورة لأني فهمت أنه صادق في كرهه للذين يتظاهر ضدهم حتى لو كانوا هم أصحاب الفضل في أنه يتظاهر. بالذات الذين يشن عليهم حروب الشوارع باسم الكرامة الآن. يكرههم كلهم بصدق مطلق. حتى الإخوان أعداء هؤلاء الذين انشق عنهم قبل أقل من عام واحد يكرههم الآن لأنهم ضد الثورة. هو مثل بقية الثوار طبعاً عندما يقول الثورة يعني المظاهرات لكنه في عدائه لأي جهة تقمعها أو توافق على قمعها مستعد للتخلي عن الإخوان الذين يخبئ انتماءه لهم أو يقدّم تاريخ انشقاقه عنهم حسب الحالة. وكان يداري زبيبة الصلاة التي ظهرت في قورته قبل خمس سنين لما أطلق لحيته السلفية الطويلة التي من غير شنبات مثل شنباتك هذه. والتي كان شذّبها على الطريقة الإخوانية لما نزح للقاهرة بعد لقائه الأول بوديع بيه بأسابيع قليلة. هكذا كنت أنظر لخشبة لما جاءني إحساس أني داخل فيلم والقاعدين معي يمثّلون. الأفكار بدأت تتجسّد وتلتف كأنها حبال حول جسمي وأنا أرى جزءاً جديداً من الصورة. فكرت إن خشبة معذور. إنه يتكلّم عن عمله. الشيء الذي يعيش من أجله ويتقاضى دخله عنه ويحس بنفسه فيه. يوم لقائه بوديع بيه قال له هو الآخر والدمعة الصادقة أيضاً في عينه: من لا يضحّي بنفسه لبلده؟ هذا أكيد واحد خائن. والذي حصل أن تجنيد خشبة كان سهلاً وسريعاً من غير لا تعذيب ولا تهديد ولا حتى ترغيب يا ريسو. هو بمجرد ما فهم ما يريده وديع بيه أقبل على الموضوع بفم فاغر وعينين تلمعان تصدّق؟

ومن يومها... هكذا يا عتريس... الآن سمعت القصة؟ أعجبتك؟ عظيم. على المطبخ إذن. ولا كلمة. أنت فاهم أنك ذاهب لتنام؟

• ٢٨ | مضناك جفاه مرقده •

السبت ٣١ مارس ٢٠١٢_٥م_افلام

ليلتها وعتريس يقعقع تحت يدي على تربيزة المطبخ تذكرت كلام المتر عن الضحية في أعراف الماساي. إنها منحة من الرب وليست كما في العقائد الإبراهيمية هدية له أو اعترافاً برحمته. أنت لا تقتل بقرة لترضي إينكاي. إينكاي هو الذي يضحّي ببقرة من أجل ختانك ثم تحولك إلى رجل ثم تخرّجك شيخاً في النهاية. وباستثناء ولائم الموران التي لا يحضرها إلا هم نادراً ما يأكل الماساي لحمة أصلاً. في الحياة اليومية يكتفون بالحليب والدم. عندهم سهم مزدوج يعملون به ثقبين في الوريد الوداجي في رقبة البقرة فيفور الدم في قوسين يتلقونهما في إناء ليشربوا. ولو أقدموا على أكل أبقارهم يمتنعون نهائياً عن شرب الحليب. في الحالة هذه يعملون شيئاً من اثنين. إما الذبح كما نعرفه في العقائد الإبراهيمية ولكن بلا طقوس أو شعائر أو التضحية. والتضحية تُخنق فيها البقرة ثم يُشرب دمها الساخن بعد ما يُدلَّق في لغدها الذي يُشق وتُعمل منه قربة. هكذا يقبلون هدية إينكاي. لكن لما غادرتُ المطبخ راح من بالي الموضوع وبدأت أفكر في مون وأنا أنظر لعازف الساكسوفون على صوت عبد الوهاب. تعودت أسمع عبد الوهاب على الكمبيوتر والسماعات على جانبي تمثال خشبي قَدّ الكف لعازف ساكسوفون أفريقي جلبه أحد رفاق الثورة لي هدية.

أسلط الأبجورة عليه وأنظر له. وعندما يضربه الضوء الأصفر يكون مثل سبوتلايت على وجه متهم يُحَقّق معه في فيلم بوليسي. وأنا أفكّر وأسمع كنت أقرأ الأخبار على تويتر في الوقت نفسه والصوت يمتعني أكثر كلما انتبهت لأن القط يتوجع. كما وعدت المتر قبل يوم سيقضي الليلة غائباً عن الوعي من الوجع. ولما قرأت خبر ترشّح القيادي الإخواني خيرت الشاطر لانتخابات الرئاسة اغتظت من أن الذي حسبنا حسابه يحصل. لنا سنة نتصرّف على أن الإخوان لن يكون لهم مرشح رئاسي كما وعدوا ونحن نعرف أنهم ممكن أن يخلفوا وعدهم في أي لحظة... لكن أوّل ما قرأت الخبر حصلت حاجة غريبة غير الغيظ. لقيت نفسي أدقّق في كلمات أحمد شوقي التي يغنيها عبد الوهاب: مضناك جفاه مرقده وبَكَاه ورَحَّم عُوّدُه. ومن غير ما أقصد نسيت كل حاجة ثانية وأنا أفكّر في معناها. في الغالب كنت أحمي نفسي من الغيظ والمفاجأة وحاجة ثالثة تنشع في رأسي مثل مياه ماسورة مثقوبة حتى تغرقني وأنا لا أفلت إلا بمراجعة الكلمات. الفتيس كاتب في الفايل الذي تركه إن لحياته رواية غير الرواية التي يسردها. كأن إنساناً ثانياً غير الشاعر الذي يتحدّث عن ذاته كان يلازم ذلك الشاعر لا يأتي ذكره في الوثيقة. والحاجة الثالثة هذه التي تغرق وعيي الآن هي الشك في أني أنا الآخر لي قرين ليس كقرين الفتيس شخصاً غير الشاعر ولكنه شبح جائع ليس عنده شيء. طاقة شر ذكية أو عنيفة أو حتى جميلة لا وجود لها خارج الصورة التي أنا فيها. صورة مون أو ثورة. بينما قريني هو الصورة الناقصة لوجهي أنا في المرايا التي أتشاغل عنها وعنه بكلمات أحمد شوقي الآن. فهل تعلّم أحد غيري من بشر وسط البلد أن الشر يجيء من السماء؟ أنك عندما تكون في الجنة تكون كذّاباً؟ أو أن الناس تقتل بدوافع أعمق وأقدس من إسقاط النظام؟ فكرت إن ثمة فوتوغرافيين يقضون حياة كاملة في التصوير ويتقنون كل ما يمكن اتقانه

من غير ما يجيء في بالهم مرة أن يوجهوا عدستهم للشمس. ولا مرة. وساعتها جاء في بالي أن الذي أسمّيه شراً ليس بالضرورة شيئاً سيئاً وأن قريني لو كان المتر ربما يكون ملاكاً مهمته حمايتي وأنا أوصل رسالتي التي أنا مكلف بتوصيلها. لكن رجعت فكرتُ إن الشمس التي تريحني وربما تهدّد مساري الثوري حقاً هي ذلك اللون الأسود الذي أبحث عنه كلما قابلت مون. نحن الثوار أبطال المعارك السلمية كان كل منا يبحث عن سلوان يعينه على خوف لا يعترف بثقله على رئتيه فهل تكون مون وأنا لا أدري سلواني؟ هل تنال مني مثل ما نالت من نايف؟ لقد استسلمت لحيرتي في معنى رحَّم عوَّده هذه بتصميم فيما يبدو لكي لا أضطر للإجابة عن كل هذه الأسئلة وفكّ كل هذه العقد والتناقضات. لدرجة أني سألت زميلاً لي من كلية التربية - جامعة الأزهر تذكّرت أنه خريج قسم لغة عربية فأفهمني أن العُوَّد هن من يعدن العليل أو مضناك. وإن ما يقصده شوقي هو أنهن بكينه من إشفاقهن عليه وقد أوشك على الموت. أما رحَّم هذه فهي بدل ترحَّم على وليس لها أي مبرر إلا أنها تضبط الوزن. وقبل ما أرجع أنظر لعتريس فكّرت إنه عيب على واحد يُسمَّى أمير الشعراء أن يحشر تركيباً غير مفهوم كهذا في بيت شعر. عيب فعلاً.

• ٢٧ | تعرفت على الموديل •

الإثنين ٢ ابريل ٢٠١٢-١٠ص-لقاءات

تعرفتُ على الموديل التي أنام معها فجر يوم ٢-٢-٢٠١٢. قبلها بساعات كان مشجِّعون أو بلطجية من أهل البلد هجموا على الأهلاوية

الوافدين لستاد بورسعيد مع أن الأهلي خسران. وقضى أكثر من سبعين شاب أهلاوي خلال دقائق في المعركة. هذا حصل أول ما خلص الماتش لما أطفأوا الأنوار من غير مبرر. والأمن مع أنه موجود لم يتدخّل ولا كأنه لاحظ أن الأنوار أطفئت. أنا ومون كنّا من ضمن الناس الذين ذهبوا ليستقبلوا الناجين فجر اليوم التالي في محطة مصر على سبيل التضامن. تعرّفنا على بعضنا وانبسطنا. ومن أول نصف ساعة كنت قلت لها إني أبحث عن موديل وهي كانت قالت: أنا أنفع؟ وقالت إنها لم تُصوَّر أبداً مثل ما تحب. من أول مقابلة طبعاً بدأت أنام معها. ومع أنه غير صحيح أني لم أتعرّف على مون قبل ٢٠١٢ بصرف النظر عن الذاكرة وملاعيبها كانت هذه أول مرة أتعرّف عليها وهي موديل أو واحدة ممكن تكون تحتي. في ما بعد سيتأكّد شكّي في حقيقة ما يحصل مع مون. لكن لحد نصف أبريل تقريباً أنا مع أني مرعوب من سيطرتها عليَّ فقط مستاء من أننا لا نتقابل إلا على فترات متباعدة. أنا فاكر أن خامس لقاء كان يوم ١-٤-٢٠١٢ قبل مقابلتي مع الدكتور سليم بيوم. فاكر لأنها أوّل ما جاءت صمّمت أن نعمل قعدة اعتراف كما سمّتها وأول شيء ذكرته لها بعد القعدة هذه لما استلقينا على السرير هو أني غداً على موعد مع الدكتور سليم عبد الباري وأنه في الغالب سيكون عن خناقتي مع عبد الناصر قناوي لمحاولة إصلاح ذات البين. ولما سألتني عن شخصية الدكتور قلت لها إنه أطيب واحد أعرفه من معسكر الثورة. ساعتها تشاغلت بدلاية عقدها الفضة الذي لا تخلعه أبداً حتى بعد ما تخلع ملابسها الداخلية وردّت بنبرة عارضة: أبله يعني؟ وأنا انتبهت وكأنه لأول مرة إن الطيبة والبلاهة في مصر حاجة واحدة. لكن لأول مرة يضاً في اللحظة هذه شككت. الإحساس ليس مختلفاً كثيراً عن يوم اكتشفت أني واقع تحت سيطرتها. لكن ثلاثة أشياء كانت حصلت وعدّت رجعت لي الآن وهي تداعب دلاية عقدها

ستجعلني أكلم شريف تادرس والديك وأكلفهما بمهمات تتعلق بها بعد ما تمشي.

أوّل شيء كان موضوع شريف. في آخر أسبوع من مارس كنت قلت لمون على الماشي إني غرقان في الشغل لأن واحداً من اثنين معي وهو شريف في إجازة. أنا لم يخطر لي أنها ممكن تشك أن الإجازة التي هو فيها عبارة عن مهمة يقوم بها لكني انتبهت لأنها تسأل عن مواعيد إجازته بالتفصيل. ولما قُبض على شريف قدام مقر حركة التيار الشعبي في ميدان لبنان مع أننا كنا رتّبنا له دخولاً آمناً تأكّدت أن أحداً كشف المخطّط وتعمّد إفساده. كنا علمنا أن في المقر وثائق تثبت تلقّي حمدين صباحي أموالاً من رجل الأعمال الإخواني حسن مالك سنة ٢٠٠٥ وبعثنا شريف تادرس يجلبها. لقد تمكنت بصعوبة من تجنيب الولد التورّط في قضية. ويوم أخرجتُه من قسم الدقي اتصل بي أحد معارفي الواصلين وسألني لو كنت على اتصال بالعقيد عماد زكريا في المخابرات الحربية. قلت له إني لم أسمع الاسم. واستفهمت لماذا يسأل فقال إنه لا داعي للقلق.

كل الحكاية أن مون قالت لي إنها ساكنة في المعادي. قالت إن معها صديقة في الشقة ولا داعي لزيارتها هناك. ومعظم المرات التي كانت تغيب فيها بعد ما فهمتْ أنها توحشني كانت تتحجّج بزيارة أمها المريضة في بورسعيد. ثاني شيء أن آخر أسبوع غابت فيه أنا فاجأتها في بار ديلز في الزمالك والمفروض أنها مسافرة. كان معها مثقّفات وناشطات بعضهن صاحبات للمرحومة داليا مراد كما لاحظت. ورجل أسمر طويل جداً ووجهه جامد بطريقة ملفتة كان هو الوحيد الرجل وسطهن. وهي تصرّفت وكأنها لا تعرفني. حتى أنا لم أبادرها ليس فقط لأن هذا هو المضبوط لكن لأنه كان عندي ذهول من أن القاعدة قدامي مون. كان شعرها أصفر مكوياً وكانت تلبس ملابس سهرة ومجوهرات

كلاسيك ولا أثر للعقد في رقبتها. هي لم يبن عليها أي اضطراب أو قلق لما رأتني. والرجل هذا بقيَ ساكتاً مثل الحجر وهن يتكلّمن ويضحكن. لاحظت أيضاً أنه لا يشرب ولا يدخن. لكن أكثر شيء لفت نظري أنه لم ينطق طول ما أنا هناك. لقد خرجت قبلهم وانتظرت على الناصية في سيارتي الفولكس البيتل الصفراء. آخر سيارة فريدة ركبتها في حياتها. ومون لما خرجت وسلّمت ركبت مع الرجل وأنا تبعت السيارة الأوبل الخضراء التي يسوقها بها لغاية عنوان سجّلته عندي متفرّع من شارع عرابي في مدينة الصحفيين. كانت السكة فاضية ولا مشكلة في المطاردة من على بعد. وبعد ما مشى الرجل بسيارته بقيتُ في الفولكس لحد الصبح لأتأكد أنها لن ترجع تنزل من العمارة.

في اليوم التالي رضوى عادل طوّلت في كلامها معي على فيسبوك ولأول مرة التفت لأنها دائماً تطوّل ومون غائبة. الآن أيقنت أنهما على صلة وأن شيئاً يدبّر. هو ذا الجزء المخفي من الصورة؟ رضوى طبعاً لم تأتِ على سيرة المخابرات الحربية ولا شريف تادرس لكنها سألتني لو كنت أعرف المخرجة التسجيلية داليا مراد والسؤال كهربني وأنا قاعد. قلت لها إنها قريبة ممدوح السجيني صاحب المكتبة وإن موتها المفاجئ قطع بنا كلنا. وهي كتبت: نعم نعم نعم. وقالت إن داليا صاحبتها وإنها مصممة تعرف كيف ماتت. وكأنها تقصد أن تخيفني ظلّت تقول إنه مستحيل يكون قلب داليا وقف فجأة هكذا من غير سبب وإن الحكاية فيها سر هي ستعرفه مهما حصل. ومع أني أكدت لها إن داليا لا علاقة لها بنشاطي ظلّت تقول إن داليا مؤمنة بالثورة جداً ومحبطة من استفتاء مارس ٢٠١١ فهل يا ترى بقيت منغمسة في العمل الثوري للحد الذي يستدعي قتلها؟

الإثنين ٢ ابريل ٢٠١٢-١١ص-لقاءات

يوم ١-٤-٢٠١٢ قررتُ أتحرّك مثل ما أقول لك بالليل. وأنا لوحدي. مون لم تبت عندي طول أربعة أشهر هي عمر علاقتنا إلا مرة واحدة في المكتبة. وليلة ما قرّرت أتحرّك حلمت أني في رواق مزحوم وكل حاجة أبيض وأسود. حتى جسمي وهدومي. كان فيه موسيقى كلاسيك في الخلفية. ولأن الملابس والموبيليا ليست من عصر ماض لم أنتبه في الحلم لأني حبيس فيلم عربي قديم رُكّب على جوانب من الحاضر وربما أيضاً المستقبل. فقط اندهشت من غياب الألوان وبطء الإيقاع حتى قمت مفزوعاً قبل طلوع الشمس. وكان في دماغي أول فيلم عشته بعد ما قابلت المتر لما كنت موران في سافانا السيرينجيتي. بين كينيا وتانزانيا. لقد وجدت على تربيزة السرير ربع سيجارة حشيش بدأت أدخن فيها في الظلمة. ومع الهدوء الذي نزل عليَّ قعدت أسترجع ما تفتّق عنه الفيلم الأول هذا وموت نايف. خلال ستة أشهر من العزاء الذي عملناه له أنا والفتيس في ميت عقبة كنت انتقلت لشقة أوسع قرب مسرح البالون في العجوزة لكن لم أقعد في شقة العجوزة هذه إلا شهرين ثلاثة. ولما تركت ميت عقبة في الأول رجعت لهنا لبركة السبع. وقعدت فترة محترمة عند أخي أعيد حساباتي لا أعمل شيئاً. على ما استقريت في القاهرة مرة ثانية كنت قررتُ أن أبيع الكاميرا اللايكا التي عندي وأشتري معدات تصوير رقمية بما في ذلك لابتوب مجهّز ببرامج معالجة الصور ثم أبحث عن وظيفة ثابتة تجعل أخي يطمئن عليَّ وتجعلني مواطناً محترماً في المجتمع. كنت لا زلت لا أعرف أن النصوص التي أكتبها على فترات تتباعد أكثر وأكثر ستكون نصوصي الأخيرة. الشعر الذي كان يعرّفني مَن أنا لم يعد له أي أهمية

في حياتي. لقد أخطرت صاحب الستوديو الذي أَستَأجِر معمله أني سأتوقّف عن التحميض والطباعة نهائياً وبالتالي عن دفع الإيجار الشهري. واستغربت من أنه لم يعلّق على الأمر من قريب أو بعيد. حتى قيمة الشرط الجزائي المكتوب في العقد لم يطلبها. وعلى مدى سنين أحسست أن الانتقال من جيلاتين الفضة للبكسلات هو انتحار الشاعر. كنت أصوّر. أعيد اكتشاف الدنيا بالبحث عن صور والتقاطها ثم معالجتها رقمياً. وكان في هذا تعويضاً عن حكايتي مع نرجس وحكاية نايف مع مون وربما حتى حكاية جماعة التماسيح للشعر المصري السري. الحكايات الثلاث كانت وصلت لنهايتها. وبينما هذا يحدث كانت كل الحكايات بدأت تظهر على شكل صور معالجة رقمياً ومتنوّعة تنوع العلاجات. كل حكايات الحياة يا باشا. وأحسست أن لهذا علاقة بالشر الذي لبسني مع طلة المتر وربما ما سبقه من فشل مع نرجس وما تبعه من صدمة في موت نايف. فهل تركت الشعر نهائياً وانتقلت من الأنالوج إلى الديجيتال نتيجة الفشل أم الشر أم الموت أم الثلاثة؟ وهل كان في ذلك أكثر من عيّل تعبان يهلوس في طريق الرجوع لبركة السبع؟

في سريري يوم ١-٤-٢٠١٢ تذكّرت كلمة مون عن أن الدكتور رجل أبله وتذكّرت أن المثقّفين والنشطاء والثوريين الذي أعرفهم كلهم يتعاملون مع الحياة كأنها حكاية يمكن سردها في دائرة واحدة كبيرة مثل البقعة النت التي تتوسّط صورة بقيتها فلو. لو حصلت نكسة ١٩٦٧ مثلاً يكون الناس كلهم كلهم مفجوعين. البيوت صامتة والشوارع يظللها غيم أسود بل وأديم الأرض نفسه يترجرج من شدة التبريح. يعني أنا لا أنكر أننا ممكن فعلاً نحكي عن الحياة هكذا. كل الذي أقوله هو أن ثمّة طرق ثانية للكلام عن الحياة أقرب للواقع. لماذا لا يكون واحد ممن عذّبتهم مخابرات عبد الناصر مثلاً في قمة السعادة

بالهزيمة؟ لماذا لا يكون معظم الناس مأخوذين في دوائر متناهية الصغر كحبّات الفضة المنفردة أو البكسلات التي تتكوّن منها الصورة ولا تعنيهم الهزيمة إلا كخلفية بعيدة ومغبّشة سواء كانت البكسلات معظمها مظلمة أو مضيئة؟ هل الصورة على بعضها تعكس كل بكسل على حدة؟ هل أغلبية البكسلات هي التي تحدّد إحساس الصورة أصلاً؟ هل لا يمكن أن تدعو صورة فاتحة للاكتئاب أو توحي ألوان فاقعة بانطفاء عميق في مكان ما؟ وفي الممر المشتعل بالنيون مثل رواق أبيض وأسود لولا أنوار الشوارع التي تلعب على زجاج الصيدلية والحلاق المواجهين أيضاً تذكّرت الأسئلة هذه. كانت حافة الشباك الخشب تفصلنا عن القهوة الضيقة ودوشة الوجوه المعششة في الأدمغة مثل التراب في القطيفة مع الحذر والتيه الذي يصاحب أي حركة في وسط البلد. كأن البشر والأشياء صور مجسّمة غايتها أن تداري صحراء لامنتهية رمالها عبارة عن مسامير ومشارط. وأنت ممكن تقع على هذه الرمال في أي لحظة.

الدكتور يقول: من حق يا ولد يا عامر. هو أنت على وفاق مع رفاق الثورة أم لا؟ ثم يسكت لحظة ليعطيني فرصة أراجع نفسي. ذيك النهار كنت مع الولد القناوي في بار جريون. رحنا نأخذ لنا كأسين في المساء والكلام أخذنا. ولما سكت للمرة الثانية نظرت له بتمعّن. الدكتور قصير جداً ورفيع جداً وعنده شعر قليل ناعم مفرود على صلعته وحواليه بلل وبثور. هو ليس من زمرة يساريي الستينات مرتادي القهاوي لكن معه عصا يسند عليها مثلهم. ومثلهم أيضاً عنده ذقن نصف مشذبة ورغبة في أن يبدو أكبر في السن مما هو في الحقيقة مع أنه أصلاً كبير. كلامه كأنه من حوارات أفلام الأربعينات. قال: اسمع يا عامر أنا سأدخل في الموضوع مرة واحدة. ورمش كأنه موجوع. القناوي زعلان منك على الآخر وادعاؤه أنك دخلت في مشادة كلامية

معه نتج عنها أنك سكعته على خلقته الكريمة ومن ثَم هربت. أنا لا يهمني طبيعة الخلاف لكن بودي أقول لك تروح تصالح القناوي بأسرع ما يتسنى. لأنه لا يصح ولا يجوز أن يسكع أحد مناضلين المناضل الآخر على خلقته. ثم يا أخي موضوع عبد الناصر هذا مفتوح للنقاش...

• ٢٥ | رصاصة في القلب •

الإثنين ٢ ابريل ٢٠١٢_١م_أفلام

هكذا في بداية حديثنا بطّلت أسمع للدكتور. في الغالب كنت أعرف بقية كلامه. وبدأت أستعيد وقتي مع مون بنوع من الهيام. أحسست أنها معها حق تقول عن هذا الرجل إنه أبله. هي أصلاً أول ما دخلتْ صمّمت أن نقلع هدومنا ونقعد قصاد بعض في المطبخ نقول اعترافات. لكنها قبل ما نبدأ راحت في حالة وبدأت تكلمني عن حلمها بحب طبيعي وممل وعادي لأقصى درجة. حب رومانسي قالت. وقعدت تعدّد الحاجات: تكتب لي جواب. نتقابل على القهوة. أرتعب لو لم ترد على التليفون. نتخانق وثاني يوم ألاقي بوكيه ورد كبير على عتبة بابي والكارت فيه اعتذار. ثم آخذ يوماً كاملاً أحضّر في نفسي لليلة التي سأقضيها معك. وضحكت قبل ما تستفيض ليرجع لي كلامها الآن ونغمة صوت الدكتور تشعرني أني محمد عبد الوهاب بالطربوش والبابيون في فيلم رصاصة في القلب. لم أسأل نفسي لو كانت مون هي راقية إبراهيم. فقط أحسست أن صوت الدكتور سيخفت ومن ورائه دوشة باب اللوق لترتفع عقيرتي في أي لحظة بالغناء: أحبه مهما أشوف منه. مون وأنا. وكأن كوننا في المطبخ قصاد بعض من غير هدوم هو وضعنا الطبيعي وأنا على وشك أن

أغني. قالت: أصابعي في أصابعك وأنت تبوسني على الناصية والناس تتلصّص. نشرب قهوة في البيت قبل ما نخرج مرة ثانية. أصابعي في أصابعك وأنت تقول لي إنك تحبني وكأني طفلة صغيرة. أوشوشك في أذنك بكل خجل الدنيا فنرجع البيت بسرعة ونفوّت مواعيدنا. أخرج وأرجع لك تحمّمني. أصابعي في أصابعك وأنا أروح في النوم. أصحو وأنا تحت إبطك مثل ما أحب أن أكون في غيابك وتوحشني بحرقة أستغربها وأنت رأسك على مخدتي. ممكن تحمّمني الآن يا حبيبي؟ سأكون ساخنة وشهية وأنت تدخل فيَّ. وسأنظر في عينك ونحن نصل في نفس اللحظة...

الدكتور يقول: لكن الولد القناوي طبعاً ليس هو الموضوع الذي كان في بالي لما استقرّيت على أني لازم أقعد معك ونتكلّم. كان يدق بعصاه على بلاط الممر. ولما رفعت وجهي له وسألته ماذا إذن قال: ما هذا الكلام الغريب الذي يتردّد يا ولد يا عامر عن كونك انضممت سرّاً إلى جحافل الثورة المضادة؟ التفاؤل ليس رفاهية يا عامر ومثل ما يقول صغار الرفاق اليأس خيانة. ثم يا أخي هل يعني التشاؤم أو حتى اليأس ذاته أنك تبخس الثوار حقهم في جني ثمار ثورتهم؟ ولا داعي لترديد كلام الدكتور مرة ثانية الآن. الذي حصل أني تأكّدت أن الواقع فعلاً مختلف عن الكلام. إنك لو كنت رجلاً طيباً وتكلّمت بصدق تكون كذاباً وأنت لا تعرف. والمحزن في الحكاية ليس أنك كذّاب يا باشا. المحزن أنك لا تعرف. ولا يبقى للذي يسمع كذبك إلا أن يحتقر الواقع ويبصق عليه. لأن الواقع طول ما أنت تتكلّم عنه مجرد كلام فاض يتعلّق به البلهاء. الذي حصل أقول لك أني تذكرت كيف يتكلم الدكتور عن الحياة وكأنها بقعة نت تتوسط صورة بقيتها فلو. وتأكّدت أن ذلك يجعل الصورة كلها فلو. أنا لا أعرف كيف انتهت مقابلتي هذه مع الدكتور. الذي أعرفه أني لم أقل له مع أنه على بالي أن أقول إنك عندما تمارس الفساد في كلية الآداب – جامعة

القاهرة صباحاً ثم تذهب للاعتصام لتحتج على الفساد بعد الظهر تصبح لاغياً وغير موجود. ولا إن لا شيء يحصل في مصر غير احتجاجات بلهاء. ولا إن صغار الرفاق عبارة عن جزم يلبسها الإسلاميون ليدوسوا بها علينا. كنت مللت وكنت أفكر في مون. مقابلتنا الأولى مثل ما أعلمتك كانت في محطة مصر ذات لحظة عاطفية مرتبطة بالثورة. لكن ما يتراءى هو أننا تقابلنا في ممر فضائي تختلط فيه مشاهد من أفلام وأحداث وأحلام تشبه الحياة أو تحمينا من الكلام عنها وكأنها دائرة واحدة كبيرة. فاهمني جنابك؟ أنا عندما أستحضر مون في ضوء تاريخنا مع جماعة التماسيح كأني أنتقل أنا وهي لمسارح تمثيليات أجنبية أو عربية أو مختَلَقَة لنحل محل أبطالها. ليس محطة مصر عشية ما سُمّي مذبحة بورسعيد إذن ولكن كما رأيتَ باريس في سبعينات القرن الفائت. وكأني مارلون براندو. باريس في السبعينات يا باشا. وأنا مكتئب لدرجة أن الانتحار يراودني فعلاً وسط تلك المدينة الرائقة.

• ٢٤ | نهايتي في بركة السبع •

الإثنين ٢ أبريل ٢٠١٢ـ٥مـلقاءات

- عندي علاقة خاصة جداً مع القط عتريس.

- من وسط حوالي عشرة عرفتهم يا باولو ستة كان مزاجهم الضرب. تخيّل أني كنت أحب منهم الوجع. آه. ومع ذلك أفظع شيء أحبه من دين أمك هو الحنان والرقة. تخيّل.

- أبي مات وهو مصدّق أنه إقطاعي لمجرد أنه كان عنده أرض في المنوفية في يوم من الأيام. موظّف فقير في وزارة الأوقاف فاكر أنه

إقطاعي. لدرجة أن حبي لعبد الناصر كان ثورة على احتقاره للفلاحين.

- أول حب في حياتي كتكوت. آه آه. في بورسعيد مكان ما تربيت. كنت أربي كتاكيت الفراخ. زعلت عليه بشكل فظيع لما مات بعد أسبوع.

- من ساعة ما قامت الثورة والتماسيح في بالي. طول الوقت. نايف والفتيس ونرجس وصبا. حاسس أن التماسيح كانت هي الثورة. حاسس أن نجاح الثورة متوقّف على صورة التماسيح في الذاكرة: هل هي كانت جماعة ناجحة.

- بابا كان يستعمل جسمي. من وقت ما كان عمري سبعة لحد ما بقيت أربعة عشر. تقريباً بشكل يومي. أبي. مع أن إحساسي أنه زوج أمي أو أي واحد. لكن هو بابا. وأبشع حاجة أنه كان يحافظ على جسمي بشكل فظيع وهو يستعمله. كأني سلعة معمّرة تشتريها بفلوس كثيرة وترجع تبيعها بعد عدد من السنين.

- عمري ما فهمت موضوع الوجع في الحب بصراحة. لكن نجرّب. أوجعيني الليلة أنت. ممكن؟ من غير رحمة أوجعيني. وتكون بدايتنا الثانية مع بعض.

- نايف كان ربنا بالنسبة لي. لما مات بالضبط كأني فقدت إيماني.

- مرة حلمت أني أنيك أبي.

- كنت متدينة جداً على فكرة. حتى فكرت أتنقب في فترة من الفترات. أنت عارف أن بابا كان من القيادات السلفية في بورسعيد في التسعينات. وعلى فكرة الإيمان حلو بشكل فظيع. تخيل الحياة من غير أسئلة. الإيمان فظيع صدقني.

- معظم الناس تكره الوجع. الحيوان يكره الوجع. معظم الناس حيوانات. عندكِ شك؟

- الشِعر حاجة غريبة. لما بطلته ارتحت. الظاهر أنه كان مجرد طريقة لمعرفة الناس مع أني صدقت نفسي فترة طويلة. لما عرفت الناس بطلت.

- أحلى حاجة في الثورة الموت. القتل. الحاجة الوحيدة الحلوة في الثورة إن جئتِ للحق. يعني قيمتها ومعناها. القتل.

- وبابا كان يقول لي: إنما المرأة سكن. وكنت أحس براحة فظيعة وأنا أصلي وراءه. وكنت أنسى تماماً أنه يستعمل جسمي وهو لا يصلي. إنما المرأة سكن. الجملة مريحة بشكل فظيع. بالذات بصوت بابا.

- نايف كان ابن قحبة يا مون. ابن قحبة وسخ. لكن أوسخ حاجة عملها أنه مات.

- وماما كانت عارفة. كانت موافقة. من ساعة ما كلمتها في الحكاية وهي مريضة في السرير. هناك في بورسعيد آه. كانت عارفة.

- الثورة كذبة كبيرة يا مون. حتى عند الثوار هي كذبة. التماسيح كانت كذبة والثورة كذبة. لو كان عندنا دم كنا انتحرنا مع رضوى عادل.

- أنا متأكدة أني مقتولة. في يوم من الأيام. أكثر من واحد ممكن يعملها. السؤال عن طريقة القتل. عندي طريقة محددة في دماغي.

- حاسس أن نهايتي في بركة السبع. بشكل أو بآخر يعني. نهايتي مكان ما بدأت في بركة السبع - منوفية.

- رضوى عادل كانت عبارة عن مخلفات أيديولوجيا معكوكة في إحباط جنسي. لا تقل لي مرأة ولا غير مرأة. زبالة. رضوى عادل كانت عبارة عن زبالة.

- كل الناس تسافر إلا أنا.

- واحد أحبه ويحبني بجنون. أنت مثلاً. آه أنت. يعضني في رقبتي

ويصفي لي دمي. طريقة القتل المثلى بالنسبة لي. آه.
- أغرب حاجة أن القطط أقرب لي من الناس. القطط تطاوعني. تعيش معي.
- طول التسعينات كنت أحلم بالسفر. جاءت كذا فرصة وأنا أقول لنفسي لا. ولما قررت أخيراً سنة ٢٠٠٢ لقيت نفسي تأخرت. كأني محبوسة في التسعينات يا باولو. لو كنت سافرت من الأول...

• ٢٣ | مادة شفافة كأنها زجاج •

الإثنين ٩ ابريل ٢٠١٢-١٠ص-احلام

كان الرواق عبارة عن طرقة عريضة ممتدة مسافة كيلومتر أو أقل قليلاً. وكان على الجنبين أكشاك معمولة من مادة شفّافة كأنها زجاج لكن يمكن اختراقها بلا احتكاك. لقد تجمّع في كل كشك عدد من الناس قعدوا يشربون ويأكلون وهم منهمكون بحماس في الكلام عن الثورة والثقافة. وكان في أيديهم كتب ولوحات وأجهزة اتصال وميكروفونات وأعلام ويفط. والذي ليس في يده شيء منزو أو واقف وهو محتار. وكم واحداً رأيته وحائط الكشك يقسمه وخط رفيع يلمع بطول جسمه من رأسه إلى بين رجليه. لا يعرف إذا كان المفروض يخطو لداخل الكشك أو يبحث عن كشك ثان. هؤلاء كانوا كأنهم مغضوب عليهم أو منبوذون. كنت بدأت أسأل نفسي عن الضوء. لما لاحظت أني ماش في المساحة الطويلة الأقل ازدحاماً وسط الرواق ناحية الفتحة الوحيدة البائنة من بعيد في آخره. كنت أحس أني أمشي غصباً عني. وانتبهت لأن النور مع أنه منتشر وقوي ليس له مصدر في أي مكان. كأني في بلاتو تصوير والتمثيل

شغال والإضاءة مختبئة. أو كأن الممثلين اندمجوا لدرجة أن البلاتو تحوّل لعالم يعيشون فيه ولا يسألون عن ألغازه. قلقت لكنه لم يكن قلقاً بقدر ما كان طاقة عنف كامن. ولما بدأت أدير رأسي من كشك لآخر زاد إحساسي بضرورة تفجير الرواق هذا ومحوه من على وجه الأرض...

لقد وقفت بصعوبة قدام أقرب كشك. مددت قدمي للركن لأتفرج على اللمعة الشفافة فوق جزمتي فإذا بيد عريضة ورفيعة لكنها كالصخر تشدني من قفاي وتديرني لأواجه صاحبها. نعم؟ طبعاً يدك كالصخر. كنت أنت بنفس الابتسامة الكبيرة في وجهك تلبس زِي الموران التقليدي مع ضفائر الشعر الطويلة الساقطة من فوق صلعة مصبوغة بالصلصال الأحمر والقماش المنقوش يلف جسمك. خرجتَ من الكشك الذي أقف قدامه. وكان معك الرمح والدرع وفرو الأسد. لدرجة أنه ظهر أنك طالع من مشهد في فيلم وثائقي من العصر الاستعماري. كان شكلك عجيباً يا أخي. وكنت ترحّب بي وأنت تهز رأسك للناس الذين في الكشك والكاميرا الكبيرة الغالية التي تعرض لهم على شاشتها الصور لا زالت في يدك. لقد غمزت لهم وأنت تطبطب علي. وبلغة لا هي عربي ولا إنجليزي ولا حتى لغة الما التي يتكلمها الماساي لكني أفهمها وأنطق بها أيضاً قلت لي إنك سعيد بوجودي في البلد. وأشرت برأسك لقدام ووراء كأنك تفهمني أن البلد هي الرواق. ساعتها اشتد عليَّ القلق هذا وقلت لك بنفس اللغة إني أريد أن أغادر. وأول ما قلت ذلك انتبهت لأننا أصلاً في طريق المغادرة لأننا من ساعة ما تقابلنا ونحن نمشي ناحية المخرج وثمة شيء خفي يدفعنا. وأنت رددت عليَّ تقول لي إننا في طريق الخروج لكنك رجعت أضفت: لكنك عارف أن المغادرة أبعد من الخروج. أنا ربما أملك الخروج لكن لا أملك المغادرة. بعد ذلك أعتقد أنه حصل انفجار. أتذكر صراخاً وضحكاً هستيرياً وامرأة تجري عريانة من كشك لآخر ولا تستطيع الدخول. لكني لا أتذكّر من الحلم بعد ذلك إلا لحظة

الوصول للمخرج. كنت لوحدي على عتبة أول ما عبرتُها العالم رجعت له ألوانه. ولقيت نفسي في خرابة شاسعة يا متر. خرابة قدّ الدنيا. وأديم الأرض عبارة عن زجاج مكسّر وسكاكين. تخيل. على مدى النظر من جميع الجهات من غير ما يكون فيه لا ناس ولا بناء مجرد زجاج حاد ومعدن مسنون بكل الأشكال والألوان والأحجام التي تتخيلها. وأنت تقف على الحافة هذه وقد قُفل الرواق من ورائك ولا شيء آخر والسماء من فوق. وأنت عارف أن حذاءك سينقطع عاجلاً أو آجلاً وستنفذ الجروح إلى قدميك فأين تذهب عندما يغلبك الوجع ويشتد عليك النزيف؟

• ٢٢ | الثوابت المبدأية للثورة •

الإثنين ٩ ابريل ٢٠١٢-١١ص-احداث

هكذا انكشفت العملية وأنا نائم يا قاتل الأسد. واصلت رسالتي. وبقاءً بقي الحلم في رأسي مع أنه لم يرجع لي في المنام. لدرجة أني تذكرته اليوم لما انقطعت بي السبل في الزحمة. فلقد شُل المرور بسبب حازم صلاح أبو إسماعيل المحامي السلفي المرشّح لانتخابات الرئاسة. هو راح يسلّم التوكيلات الشعبية المطلوبة للترشّح ومعه سلاسل بشرية ومواكب سيارات تحتفل بالحدث من التحرير لغاية مقر اللجنة الانتخابية. وما الذي يراه كل هؤلاء في واحد ابن دين قحبة عبيط مثل هذا؟ أنا من كثر ما استغربت من شعبيته بقيت أسمعه يتحدث ويتجادل على التلفزيون. وحتى بمقاييس الدين واضح تماماً أنه فحل جاموس ليس أكثر. لكن من يوم انتبهت لشعبية حازم أبو إسماعيل وأنا أفكر.

من كان يتخيل أن أعداداً تفوق أعداد الثوار في اعتصام التحرير الأول، وتضحيات تفوق تضحياتهم توضع تحت تصرف واحد يريد أن يؤسّس في مصر نظام المطاوعة السعودي ويجرّم لبس المايوه وشرب البيرة واختلاط الرجال بالنساء؟ مثلاً يعني. وتأكدّت أكثر من كلام وديع بيه إن الثوار أُخذوا بأشياء زائفة وزائدة عن الحاجة. كل هذا لأجيب على سؤالك ما الذي قاله لي الدكتور قبل سبعة أيام جعلني أحس باليأس.
الظاهر يا متر أنه كان تنماى لعلمه أني على خلاف مع شباب الرفاق المتعاطفين مع المشروع الإسلامي كفصيل وطني شريك في الثورة. هو قال لي ما معناه إنه لا يصح أن يبلغ كرهي للإسلام السياسي حد الدعوة لمناصرة الجيش. ثم قعد يتكلم عن الثورة وكأنها حكاية يمكن سردها في البقعة النت التي تتوسط صورة بقيتها فلو. كان ينصحني أو يشرح لي. وضحكاً كنت لأضحك أيضاً لولا أنه كرّر مسلمات الدوائر المحيطة عن أحداث العامين المنصرمين بنفس الغباوة.

- إن الشباب حتى لو تهوّروا وحتى لو كانت العواطف فقط تحركهم يحقّقون شيئاً أكبر من الجميع. الدكتور هو الآخر التفت لأن العدمية والأناركية وكونهم يحتجون ويموتون من أجل لا شيء كل هذا كلام فاض. لكنه يرى أنه مجرد تحايل على ضعف الحجة السياسية. في مكان ما من وعيهم هم يعرفون أنهم الرقم الصعب في معادلة تاريخية قال... عبقرية الشباب.

- إننا كثوار ممكن نتجادل حول تصوراتنا الإيجابية عن بناء المستقبل لكن هذا ليس وقته. هذا وقت هدم الحاضر الذي لا يمكن أن نختلف على ضرورته وبالتالي نحن متحدون على تصور سلبي واحد. نحن لا يجب أن نشكك ولو لحظة في الثوابت المبدأية للثورة وأول الثوابت هذه موقفنا الداعم للمحتجين أياً كانت مطالبهم وانتماءاتهم السياسية... ثوابت الثورة.

• إن الذي يحصل في مصر لحظة مدتها عشرة أعوام على الأقل تتلخص في الخروج على نظام يوليو ١٩٥٢. لا يهم إن كنت تحب عبد الناصر أو تكرهه. المهم لحظة الانطلاق. ثم إن الثورة هكذا بتعريفها يعني لا يمكن أن نتراجع مع أول عائق. ثم سعل كأنه سيموت وقال: أنت أول ما تطلق الحراك يخرج عن سيطرتك لكنك ملزوم به ما حييت... السيرورة التاريخية.

• إن أبدع ما أنجزته الثورة هو كسر جبروت الأمن وتأكيد الكرامة. غير مفهوم كيف يقدر إنسان أن يكسر إنساناً مثله بأي حجة. يعني ماذا يكون التعذيب إلا تحويل إنسان لآلة تعزف عليها لتسمع الوجع؟ هذه ليست ثورة جياع ولا هي ثورة عنف يا عامر. إنها ثورة الاختيار. ولا شيء يفرّقنا اليوم عن الإسلاميين في اختيارنا... إسقاط الدولة الأمنية.

• ٢١ | امتى الزمان يسمح يا جميل •

الإثنين ٩ أبريل ٢٠١٢-٥م-احداث

كل هذا في حضورك ولم أتعلّم إلا شيئاً واحداً. وأغنية امتى الزمان يسمح يا جميل كل مرة. وكل ما أتذكر واحدة فيهن امتى زمان يسمح يا جميل مع أني لم أتعلم إلا هذا الشيء. إن الكلام خلاف الصورة أو أثر الضوء على سطح حسّاس يُكتب لغرض واضح أو لا يُكتب. الكلام يُكتب لغرض الإدلاء بالأقوال في جريمة قتل. إما هكذا أو لا شيء. لأن الصورة لها سيادة تجُب حتى الواقع الذي استولت عليه في الحياة. أما الذي يسمّونه الشعر هذا فهو حاجة من اثنين يا متر. إما بيضان تماماً أو لا علاقة له بالحياة. ولو لا علاقة له بالحياة فهو لا

شيء أصلاً. ولو بيضان... عارف؟ وأنا قاعد في شقة المنتج صاحب المساهمة التاريخية تذكّرت فريدة. شهقتها ورجلها فوق كتفي. نظرتها. ولما كان لحمها يحمرّ مكان ما أضغط على الجلد الأبيض. رائحتها البروتينية. كأن فيلم البلدة الملعونة هذا هو الذي حرمني من فريدة. ومن قتلها من قبل ما ترى الثورة تقدر تقول لي؟ رشا العلمي من ذبحها مثل ما يُذبح الخروف؟ من حدف ثريا جابر من الدور العاشر ومن قفل شبابيك المطبخ على سامية البلعوطي بعد ما فتح البوتاجاز وحبسها وراء الباب؟ أنت عارف. كلهن متن بين ٢٠٠٦ و٢٠١٠ مثل فريدة التي ماتت سنة ٢٠٠٨ وأُعدِم بتهمتها فنان تشكيلي شاب اسمه سعيد عطوة... اضحك اضحك. هو أنت عندك دم؟ ومع ذلك يعني لماذا؟ لماذا تكون في أذني الأغنية هذه كل ما أتذكر واحدة منهن؟

• ٢٠ | تخيّل حضرتك •

الأربعاء ١٧ أبريل ٢٠١٢-١٠ص-أحداث

تخيّل حضرتك أني فعلاً نبي مثل النبي إرميا هذا الذي قرأت كتابه... لا لا. تخيّل أننا موران. الموضوع بدأ من سنة تقريباً وهذا مسار تطوّره لتفهم:

إما إيماناً بالثورة التي هي رسالتنا أو نقمة على الشعب بعد تكذيبه لوعد الخلاص بدأنا نقاتل. وانخرطنا في نشاط سرّي منظم أنا وزمرة الصحابة والتابعين. أقصد عشيرتي والذين يشتغلون معنا. الكثيرين الذين لا يحضرون الولائم. نخطّط لاغتيالات وتفجيرات ولا ننفّذها. لكن نرتّب لها بدقة ونعلن عنها عبر الإنترنت. سمّينا نفسنا ك. ش.

ف. ف. أو (كشف) اختصار كتائب الشهيد فرج فودة. جنابك أكيد سعمت عنّا. نعمل دوشة على الإنترنت ولا شيء في الواقع. وحتى في المظاهرات يعني لا نظهر بصفة كشف هذه. آه. الذي نعمله في الحقيقة نعمله في خفاء تام. وكل حاجة طبعاً بالتنسيق مع وديع بيه. أنا أعترف لك الآن بدوري في نشر الإشاعات المفزعة هذه وأعلمك حتى بدوري في موت ست نساء منذ ٢٠٠٦ لأدلل على أقوالي في مصرع مون.
لكن مهما عملت معي لن أقول لك إني قتلتها. ليس فقط لأني حقيقة لم أفعل. أنت عليك أن تفهم وتفهمني قبل ما تتهم أي واحد. قاتل قدر يهرب ولا يترك دليلاً؟ لا. المسألة ليست بهذه البساطة. وأنت شغلتك أن تفك العُقَد. التفاصيل. أسّسنا كشف ومارسنا نشاطنا أقول لك وكانت مون عائشة ثم ماتت. وأنا أُخرجت من مسرح موتها من قبل ما أفهم ما حصل. وهذا مسار تطوّر الأحداث:

اشتدت وتيرة نشاطنا بعد الإعلان عن انتخابات الرئاسة في موعدها في ٢٣ مايو. وكنّا شفنا رفاقنا من الثوار ينتقل الواحد منهم من المواجهة معكم في شارع محمد محمود لصناديق الاقتراع ليمارس حقوقه السياسية ثم يرجع لتقتلوه أنتم بمباركة الإخوان والسلفيين نفسهم المعمولة الانتخابات ليكسبوها. والجيش من فوق. مع الانتخابات الجديدة زاد غيظنا من الرفاق. من فراغ دماغهم وادعائهم ومن انتحاريتهم السياسية وكذلك بالمعنى الحرفي. وبالتنسيق مع وديع بيه قرّرنا استهداف المليونية الكبيرة التالية. جمعة تقرير المصير كما سيسمونها. يوم ٢٠ أبريل ٢٠١٢. اتفقنا أن نركّز على حركة ٦ أبريل وجماعة حازمون بالتحديد. هدفنا مثل ما شرح لي وديع بيه ليس فقط تلطيخ سمعة حازم أبو إسماعيل وعبد المنعم أبو الفتوح وحمدين صباحي وغيرهم من المرشحين الثوريين. هدفنا الغيظ أيضاً. الغيظ لوحده جنابك. وكان المفهوم أن غيظنا هذا يخدم عمر سليمان أو

في حالة استبعاده يخدم مرشح فلول النظام السابق الذي يجيء بعده مباشرة الفريق أحمد شفيق. لصالح هؤلاء وضد المنافس الوحيد الجدي مرشح جماعة الإخوان المسلمين خيرت الشاطر ثم (بعد ما يُستبعد الشاطر هو الآخر) محمد مرسي استبن الجماعة كان غيظنا وأنا أؤدي وظيفتي بمعاونة الأسد وأجاهد لأسيطر على حبي لمون. أفرّغ أي مساحة ممكنة من الزحمة. ومع ذلك كنت أمارس نشاطي متأوّهاً. فأشد ما يؤلم يا باشا أن ترى الهامش يتحوّل لنسخة طبق الأصل من المتن الذي جاء يحتج عليه. فإذا الثورة هي السلطة والاحتجاج هو القمع. وإذا المستقبل هو الماضي مسوّداً أو ملغياً. ولا نأمة تحرّك الصمت الضاغط على مساحة أول ما تشغر تتكالب عليها الكراكيب.

كان شرجي يوجعني وجعاً أحبه بينما الأحداث والأحلام تعلمني أن عندي رسالة مثل رسالة النبي إرميا. شرجي آه. يوجعني لكني أفرح بالوجع. وأفكر إن الأنبياء المحتفى بهم عند نشطاء الثورة مثل الذين كان يحتفى بهم عند ملوك يهوذا يتنبأون بالنصر المبين. يتعبّدون بورع زائف لإله لا يرونه ويقولون ما يُستَحَب سماعه في الدوائر ليستفيدوا لكن نبواءاتهم كذب. وأنا رسالتي أن أقنع النشطاء هؤلاء بالنبوءة الصادقة بضرورة الاستسلام لأعدائهم. هذا الذي يسمّونه الثورة المضادة خضوعاً ينبغي أن يخضعوا له سعادتك. ويعرفوا أنه مصيرهم. أن الإسلاميين إلى زوال. الذي هو ثورتي المستمرة ليس على الفلول والعسكر ولكن على الإخوان والمعارضة وعلى العبيط الأكبر هذا الذي اسمه محمد البرادعي. ليس لطيران تمثال لينين من سماء برلين الآن ولكن لمنع مصر من أن تكون إيران. ولسحر الاستهلاك من غير كلام فارغ عن قوى الشعب العامل ومناهضة الإمبريالية الغاشمة سيادتك. كل ما كان استسلامهم أسرع كل ما وفّروا على البلد وعلى نفسهم مشاكل وأمواتاً وخسائر سياسية. لكني لو صرّحت بنبوءتي

عن ضرورة الرجوع لما كنّا عليه قبل المصيبة التي عملوها هذه لن يسمعوني. لهذا أجاريهم وأتظاهر بأني معهم ولكن حرباً أحاربهم في الفلاة. أستجلب هلاكهم. ورؤية العين أريهم أن الحقيقة ليست كما يصوّرونها. وسيدفعون ثمن خطاياهم واحداً واحداً يا باشا حسب أماكنهم التي يقفون بها. وجعاً يتوجّعون على كل نفس تنفسوه -خطأ في هذه المسرحية وأنا أتأوه. تخيّل أني وأعواني موران أقول لك. وإننا خرجنا نقاتل بالحق المعطى لنا من فوق من السماء. إننا نعاقب الذين استولوا على أبقارنا سيادتك.

• ١٩ | وهذا سجل إنجازاتنا •

الأربعاء ١٧ أبريل ٢٠١٢-١١ص-لقاءات

وهذا سجل إنجازاتنا في شهر أبريل من العام الثاني بعد الثورة:

يوم ١٤ في أول الليل قابلني الديك وعلاء الراوي على قهوة عنتر في العجوزة. علاء الراوي الثائر السلفي أبو ذقن بلا شنب. الذي عنده زبيبة كبيرة على شكل قلب وقدرة فائقة على الصراخ. قال لي إنه تم حضّ جميع الأطراف المؤثّرة في جماعات تأييد حازم أبو إسماعيل على مزيد من الاحتجاج والعنف بعد ما أُعلن صباح اليوم أن الزعيم السلفي استُبعد من انتخابات الرئاسة. لقد اتضح أن أمه كانت تحمل الجنسية الأمريكية قبل وفاتها بما يخالف القواعد الدستورية للترشح. (وكان استُبعد كذلك اللواء عمر سليمان والمهندس خيرت الشاطر وسبعة آخرون.) الراوي طمأنني لأن حملتَي حازمون ولازم حازم إضافة لعموم السلفيين الثوريين على استعداد لأن يقلبوا الدنيا. وهو

ذا الذي سيؤدي لاعتصام وزارة الدفاع بنهايته الدموية يوم ٢-٥. أكثر من واحد نيته صافية سيعلن إن الثورة بالنسبة له ماتت لما التحق شباب من الألتراس وائتلافات الثورة بأولاد أبو إسماعيل عند مقر الوزارة في العباسية فجلبوا وراءهم بلطجية واحتكوا بالأهالي وأبو إسماعيل نفسه غير موجود. من أعظم لحظات انتصارنا. الراوي انتظر لغاية ما قلت له على موعد وليمة اللحمة التالية فجر الخميس ثم استأذن ليلحق صلاة العشاء في مسجد أسد بن الفرات في الدقي. وأنا أناوله الفلوس قال لي: جازاك الله خيراً. وهز رأسه يطمئنني لما أكدت عليه أن يواصل استفزاز رفاقه في المسجد بأقصى درجة هستيريا متاحة... والديك بلطجي حي الأميرية الذي تحوّل لناشط سياسي من سنة. كان اكتسب اسمه من بحة صوته الرفيع كصياح الدجاج ومهارته في نقر الأجسام بالسلاح الأبيض بسرعة ودقة مرعبة. تعوّدت أن أكلفه بمهام المراقبة لسلاسة حركته وقدرته على الهروب لو اعترضه أحد. وهو الذي كان تفرغ لمراقبة مون يومياً منذ ٢ أبريل. إما على رجليه أو بالفيسبا. الميزة الأساسية كانت أني واثق أنها لن تنتبه لوجوده. الآن أكد لي أنها لم تذهب مرة للمعادي وأنها تبيت في شقة الصحفيين تلك التي أعطيته عنوانها. كان علم أنها شقة في الدور الثالث ملك أحد المقاولين ومستأجرة بقانون الإيجار الجديد باسم عقيد الجيش عماد زكريا. إما هناك أو في شقة مجاورة لمقر الإخوان الرئيسي في المقطم. الغريب أنها لم تدخل مرة مقر الإخوان. تتحرّك إما بالتاكسيات وهي بملابسها العادية وشعرها البني المجعد أو في سيارات صديقاتها البرجوازيات في لباس مبهرج وشعرها أشقر لِيس. لكن عندما تذهب للمقطم تلبس خماراً كاملاً من لحظة خروجها وتجيء سيارة مرسيدس قديمة لباب العمارة تقلها لباب العمارة السكنية هذه في الهضبة الوسطى فلا تعود تخرج إلا عندما ترجع المرسيدس فتقلها للصحفيين. ومن وصف

الديك لسائق المرسيدس فهمت أنه الرجل الطويل نفسه الذي وصّل مون بأوبل خضراء ليلة ما فاجأتها في الزمالك. الديك قال لي إنها لم تحضر فعالية سياسية واحدة طوال مدة المراقبة.

يوم ١٥ تأكّد خبر القبض على الشاعر الغنائي عبد الناصر قناوي وأستاذ التاريخ سليم عبد الباري والناشط السياسي عماد خشبة بتهم التحريض على العنف وتخريب ممتلكات عامة والاعتداء على مجندين وحيازة أسلحة. كان هذا على خلفية اشتباكات بين أنصار حازم أبو إسماعيل ونشطاء التيار المدني من المناوئين للجنة التأسيسية لصياغة الدستور يوم الجمعة ٦ أبريل في ميدان التحرير. يومها كان صلاح نصر وبعض زملائه القدامى مع الثلاثة بصفة متظاهرين أثناء الهجوم على مجمع التحرير وكان وديع بيه أُعلم بضرورة التصرف قبل آخِر الشهر. الحكاية تمت كما خططتُ لها بالضبط. أُفرج عن خشبة بضمان محل إقامته في نفس اليوم كما سيُفرج عن الدكتور خلال أسبوع ولكن بكفالة مئة ألف جنيه. أما قناوي فحُوّل للنيابة العسكرية في انتظار السجن الحربي وأنت أدرى يا باشا. الكل يعتز بنجومية خشبة لأن لها فوائد على الأرض والدكتور لا يحتاج لأكثر من قَرْصَة وِدْن بغرامة تقصم وسطه. فقط قناوي كنّا نستشعر ضرورة الارتياح من قرفه.

يوم ١٦ قابلني شريف تادرس في بار الجريون. شريف أكثر واحد أثق فيه تقريباً لأنه أقدم واحد معي وهو الوحيد الذي عرفته في الأيام الحلوة. خريج هندسة اتصالات متفوق وذكي ومخلص فعلاً. وابن ناس أيضاً مع أن عنده تاريخاً أسود مع المسلمين والشرطة. قصة طويلة كيف قابلته لكنه كان وقع مع جماعة جهاديين جيرانه في سراي القبة وأنا توسّطت له عند مأمور قسم عابدين. اليوم قابلني في الجريون ليعلمني إن رضوى عادل تتصل بموقع فيسبوك عن طريق بروكسي سيرفر بحيث لا يمكن التوصل للآي بي آدريس الخاص بها ومن ثم لا

للجهاز الذي تستعمله ولا المكان الذي تستعمله منه. وكان تأكد من أن عنوان البريد الإلكتروني الموضوع لها على فيسبوك لم يُستعمل في غير الرسائل التي يرسلها فيسبوك من حسابها أوتوماتيكياً منذ أكثر من عام. أدركت ساعتها أنه لا مناص من استشارة وديع بيه في أمر رضوى عادل. عندما أكلمه سيقول: لو فيه حاجة يلزم تبليغك بها سيحصل.
لكن الأهم أن شريف منحني الخبر اليقين عن الولد الإكسلانس.
إنه فعلاً يتكلّم أكثر من اللازم وهو على اتصال بعناصر أمنية معادية.
وتذكرت كيف كان الإكسلانس فشل في أن ينصب عليَّ في ثمن سيارة مستعملة يوم كنت بصدد شراء البيتل الصفراء قبل سبعة أعوام. وكيف لما أُعجبت بقدرته عل تقديم نفسه كالابن المارق لعائلة أرستقراطية حافظت على ثرائها مع أنه ابن فلاح بلدياتي من إحدى أحقر قرى مركز بركة السبع بدأت أستعين به من وقت للثاني حتى ضممته لفريقي في أبريل ٢٠١١. اليوم يحاول أن يخدعني مرة ثانية. شريف جلب لي الأدلة على أنه شغّال مع ضابط مباحث اسمه عزيز عبد الرحيم سأفهم في ما بعد أنه صديق شخصي للعقيد عماد زكريا. وحلف لي بأغلى ما عنده أنه يحب الإكسلانس شخصياً ولا يقصد إلا تنفيذ عمله فطمأنته لأني فاهم وأني لن أذكر لأحد أياً كان أني عرفت ما عرفته منه. ليلتها أول ما ذهب بعثت في طلب لقاء الإكسلانس لوحده في المكتبة غداً صباحاً. في وجود أشرف وشريف والزبائن ستكون المكتبة أكثر أماناً من البيت لكنها ممكن توفّر نفس درجة الخصوصية لو أخذت الإكسلانس لغرفتي الخاصة في البدروم. لقد ناديت عتريس بصوت وحشي لأخبره بما أنا فاعل غداً. وكنت أشعر بحماس كأنه الفرح.
يوم الجمعة ١٩ أبريل سيُعثر على جثة الإكسلانس مقتولاً بطلقة واحدة في الحلق من مسدس بيريتا إم-٩ ١ ٥ إيطالي أمام منصة الإخوان المسلمين في ميدان التحرير. ورغم أن أكثر من إخواني سيتهم في قتله

فلن يطول التحقيق لأن الطب الشرعي سيثبت وبشكل قاطع أن القتيل هو الذي وضع المسدس في حلقه وضغط على الزناد.

• ١٨ | مظاهرة يحضرها الزبون •

الأربعاء ١٧ أبريل ٢٠١٢ـ١م-أفلام

وهذا سجل إنجازاتنا في شهر أبريل:

يوم ١٧ أبريل تعاملتُ مع الناشط عمرو حميدة. فضّلت أن أجنّبه المحاكمة والحبس حرصاً عليه طبعاً ولكن أيضاً من أجلي. يعني بعد ما انتبهت لما يردّده عني في غير وجودي كان ينبغي توفير المناخ المناسب لإسداء النصيحة بشكل شخصي. وكما توقّعت قُبل طلبي أن أستخدم سيف هاوس كنت حضرت فيه اجتماعاً. تصوّر معاليك أني لم أُسأل حتى عن ما أنوي أن أعمله في حميدة. فقط يُثار شغب محدود في مظاهرة سيحضرها الزبون يؤدي لاستدعاء الشرطة العسكرية التي تحتجزه مع عدد من المتظاهرين قرب مكان التظاهر. ثم يجيء مسؤول في الداخلية ويعلن أنه سيأخذ المحتجزين للتحقيق في أقرب قسم شرطة وإلا سيتم تحويلهم للنيابة العسكرية. وهم طبعاً يَقبَلون بالتحقيق في القسم فيذهب الزبون مع الرجل في سيارة ملاكي وبعد قليل يطلَق سراح الآخرين ثم تتوقّف السيارة ليدخلها اثنان يتولّيان عصب عينيه وكتم صوته وإحضاره للشقة حيث أنا في الانتظار.

قرّرت أن أكتفي بالحفّار ليستقبله ويتولّى إطلاقه بعد ذهابي لأني خمّنت أنه لن يقاوم. الحفّار الخمسيني الشديد بعضلاته النافرة ورائحته المعدنية وعينيه الزجاج سيكون أكثر من كاف لردع حميدة.

لقد اكتسب شهرته من عمله في دقّ خوازيق مواقع البناء ولحد الآن يتعامل مع الناس في الشوارع وكأنه هو شخصياً خازوق مثل ما يقول عن نفسه. وعلى عكس صلاح نصر وجهه غير مألوف لأنه لا يحضر معنا المظاهرات. الآن بعد ما يقدّم الشاي لحميدة ويتأكّد أنه شربه كله من غير ما يدعه ينزع الغمامة يجلبه لي في الغرفة. غرفة الاستجواب في السيف هاوس هذا عظيمة فعلاً. عبارة عن صالون شقة سكنية تقليدي بموبيليا مذهّبة وسجاد سميك ونجفة كريستال ولوحات زيت فيها مناظر طبيعية. فيه حتى شباك بشيش ورف رخام من تحته عليه تحف وفازة لكن لو فتحت الشباك تجد وراءه الحائط. وفي كل طرف من الطرفين مساحة مستطيلة مختبئة وراء ستارة تتدلّى من سقفها مقابض حديد. الغرض. العصابة لن تُنزع عن عيني حميدة حتى يُقفل الكلبشان المتدليان بالحبال على معصميه ثم يُشد الحبل ويُعقد من وراء بحيث يكون ذراعاه مشدودين لفوق وهو بالكاد واقف على أطراف أصابع قدميه. ظهره سيوجعه وربما يخلع كتفه أو يهتّك عضلات رقبته لو حاول أن يتحرّك كثيراً لكنه لن يتعرّض لأذى في جسمه. وأنا طبعاً تجهّزت بلثام أسود عارف أن ملامحي ستشف من خلاله لأني أريد حميدة أن يتعرّف عليَّ من ملامحي مع اتساع مساحة الشك والإنكار. وتجهّزت بجرعة عالية من الإل-إس-دي لوضعها في الشاي الذي سيشربه حميدة. هذه نواة العقاب سعادتك. قدّرت أن تأثير الحمض الليسرجي سيبدأ بالتزامن مع فتح الستارة. أنا قاعد على الكنبة قدامه بلثامي. وعلى تربيزة الشاي كل ما كان في جيبه لما احتُجز وهو عبارة عن مطواة ومحفظة بها بطاقته الشخصية وأربعون جنيهاً وبضع صور وقصاصتان وعملة معدنية وولاعتان وعلبة سجاير كليوباترا سوبر. لكن وراء الستارة الثانية يوجد كمبيوتر متصل بسماعتين عملاقتين وميكروفون وايرلس قد البندقة على ياقتي. هكذا عندما أكلم حميدة

سيخرج صوتي من ورائي من مكان خفي في الغرفة. ويكون عالياً ومجلجلاً وربما تحت تأثير الحمض يكون حتى معجزاً. وكلّم الله حميدة تكليماً. حرصت أن أجعل نبرتي هادئة وعاقلة حتى وأنا أشتم وأهدد. وأنا عارف أن الحمض سيجعل حميدة يتمثل ما أقوله وكأنه حاصل وربما يخرج من السيف هاوس مقتنعاً بأنه تعرّض لما أصفه له. لا بد من التمهيد للرسالة من أجل أن تصله كفكرة نهائية مطلقة سعادتك. وأحسن طريقة هي أن يجيء الكلام المفيد بعد هلاوس الوجع المريع وخطر الموت فتبقى الرسالة كأنها الخلاص من هذه الأشياء. وهذا ما حصل تقريباً.

حميدة أول ما بدأت أكلمه كان يفتح عينيه بصعوبة ويسأل بهلع أين نحن ثم يغمض ويرجع يسأل: من والنبي الذي يكلمني؟ لكني لم أنطلق في كلامي لغاية ما بدأ يشكو من وخز في بطنه من تحت فعرفت أن الحمض شغال. كان يرمش لما بادرته أقول لك وأول حاجة عملها أنه بدأ يهتف بحماس هستيري: يسقط يسقط حكم العسكر. لكنه لما اكتشف أنه لا يملك أن يرفع يده بعلامة النصر حوّل وجهه ناحيتي ونظر لي. والشيء الذي كان في نظرته فرّحني فعلاً يا باشا. لم يكن خوفاً أو غضباً ولا حتى ألماً بقدر ما كان في وجهه خشوع أو تعبّد. تقوى أو ورع ولكن بالمعنى الحقيقي وهذا شيء فعلاً نادر. الآن كل ما أزمجر أسمع حميدة ينهنه ببؤس أفظع. وعندما أكلمه عن الوجع تجحظ عيناه ويتشنّج جسمه في محاولات يائسة للفكاك. لحد ما بدأ الدم ينزل من مناخيره وهو يصرخ أو يموء: مستعد أقول المطلوب مني. كل المطلوب مني أقوله. أكتافي أكتافي. وجهي والكائن الفضائي من فضلك. الكائن الفضائي يعضّ. في النهاية سكتُ خمس دقائق لأستمتع بعويل الزبون وتشنجه ثم سبابه واستجدائه. وشممت وأنا أتنفس الصعداء رائحة البول والخراء الذي انفلت منه وهو مرعوب.

لقد أقنعته أنه سيموت في الغرفة التي نحن فيها قبل ما أسكت. ثم رفعت رأسي فجأة وقلتُ له إنه ممكن يرجع بيته لأننا نعتقد أنه فهم الرسالة. في ثواني كنت نزعت الميكروفون عن قميصي وأطفأت نور الغرفة لأتركه في الظلام بعد ما أرد الباب ورائي. العملية على بعضها لم تستغرق نصف ساعة. في الصالة ضحكت للحفّار. قلت له أن يسرّب حميدة ويحتفظ لي بأشيائي يجيئني بها بالليل. وانتبهت وأنا خارج لأن شرجي يوجعني جداً وأنا مشتاق لورك مون. سحبة لحمها من جنب الركبة وطعم جلدها وهي فوقي. والأصوات التي تنفلت مني وهي تعمل ما تعمله من تحت.

• ١٧ | هؤلاء كلهم معنا •

الأربعاء ١٧ أبريل ٢٠١٢-٥م-أفلام

اسمع يا عمرو. أنت هنا لأنك محتاج تفهم شوية حاجات. واضح أنك لم تستوعب الذي يحصل وبالتالي فيه ناس زعلت من تصرفاتك. كان المقرّر لك تروح المعتقل السري لكنك صعبت علينا. قل لنا في الأول. من ابن المجنونة الذي أقنعك أنك عملت ثورة يا عمرو؟ لو كنت عملت ثورة كنت بقيت في مكان أحسن من هنا ألا تعتقد...

ثم إنك هنا ممكن أن تُعمل فيك حاجات. العلبة التي على يمينك هذه شايفها؟ هذه عبارة عن مولّد كهرباء. ممكن نحط رجليك في طست مياه ونوصّل السلوك بفخاذِك لحد ما ترجف كلك مثل الموز باللبن في الخلاط...

يعني أنت الآن لا زلت شبه البنيآدمين. ما رأيك لو كلبشنا يديك من تحت رجليك وربطنا رجليك في رقبتك ثم علقناك من السقف مثل

النجفة وطيزك مكشوفة؟ شكلك سيكون أنتيكا لا؟ وحتى المطواة الثلمة هذه التي كانت في جيبك ممكن نسنها ونحطها كلها في طيزك. فاهم يا عمرو؟ مطواتك التي تفتحها على الناس في الشوارع بعد ما تبقى حامية فعلاً تختفي كلها في شرجك من أولها لآخرها وأنت مثل النجفة في السقف الذي فوق. ممكن حتى نقفل عليها بفِلّة وهي جوة ونقعد نهز فيك لغاية ما تنقش مصارينك. أنت لا تتخيل أنواع الوجع الممكنة يا عمرو...

طيب ماذا لو قلنا لك إن الثورة التي أنت مؤمن بها هذه مجرد عملية تمويه نحن الذين نفّذناها. صدقني. أنت عبارة عن شبشب نلبسه في الحمام. لأنه في أي مكان ثان عندنا صنادل وجزم أنظف منك بكثير. اخرس واسمعنا نحن نكلمك لمصلحتك...

اليوم في مصر فيه نوعان من الثوار. ناس عارفة أنه لا ثورة ولا نيلة لكنهم مستفيدون من الاحتجاج الذي جلب لهم الشهرة والفلوس. هؤلاء كلهم معنا. وناس ليس في حياتها أي شيء بقيت المظاهرات تعوضها عن المعرفة والعمل والإحساس بالذات بما فيه فحولة الذكر يا عمرو. الهيجان الذي يتباهون به وكأن الدنيا مجرد خرم لأزبابهم. مع أنهم يا أخي لم ينيكوا امرأة في حياتهم. تلاقيك خمّنت أنك من النوع الثاني من الذين ليس لهم أزباب...

اخرس نقول لك. هو أنت فاهم أنك عندما تنزل تقفَ في الشارع تكون بطلاً هكذا تلقائياً؟ يعني البطولة فقط أن تقف في الشارع وفي جيبك مطواة...

وكيف ستغير العالم يا عمرو وأنت ماسك في ذيل الإسلاميين؟ تريد ديمقراطية علمانية أم تريد أحكام الشريعة؟ تريد إصلاحاً سياسياً أم إبادة المجتمع الكافر؟ واحد مثلك عندما يمشي وراء الإسلاميين بحجة الفقر أو القمع أو أي خراء ناشف كيف يعيش مع نفسه بالليل؟

يعني هي البلد ناقصة كس أمك تمص للإسلاميين يا عمرو...
أنا فاهم طبعاً أنك محتاج لهذه المناظر لتحس بأي رجولة وأنت معرّص معروف. لكن هو يعني فيه إنسان عاقل يتزوّج واحدة ممكن أن تُعمل عليها حفلة بقزازة بيرة؟ العيال يقولون إنك أصلاً تسرّحها لكننا لا نصدق فيك كلاماً مثل هذا. عموماً هي امرأتك نيكة كويسة فعلاً. إن جئت للحق يعني. لكن يا رجل فيه عاقل يتزوّج واحدة كهذه...
أنت يا عمرو لو كنت بلطجياً بثلاثة صاغ كنا سنحترمك أكثر من الآن. لأن البلطجي على الأقل عارف من هو وماذا يفعل أما أنت...
فهمت يا بن المتناكة يا خول ولّا لا زلت لم تفهم؟ نحن أيضاً نعرف نشتم لكن عندما نشتم لا نظن نفسنا نعمل حاجة أكبر أو أهم من الشتيمة. وعندما نلم واحداً مثلك من على الناصية لا يجيء في بالنا أننا نغير العالم...
الحقيقة الحزينة يا عمرو أن مأساة وجود أشكالك في المجتمع حلها الوحيد أن يموتوا بأسرع وقت ممكن. ونحن نعد لتعذيبك حتى الموت هنا في الصالون. كنا نفضّل أن نوفّر عليك العذاب لكن للأسف أنت ليس معك ولا واحد على عشرة من الثمن المطلوب في قتلك من غير تعذيب. اسمع. أنت صعبت علينا فعلاً وسنخالف القواعد من أجلك. ما رأيك في ذلك؟ سنعفيك من ثمن متعة تعذيبك ونقتلك مباشرة بهذه الأربعين جنيه...

• ١٦ | شوشرة في الدماغ •

الجمعة ٢٠ أبريل ٢٠١٢-١٠ص-أحداث

وها هو البلد بمليونية جديدة يعيد السنة. ويعيد الثورة. فلقد رفعت

هذه المليونية شعار عزل الفلول أي الِجيَف والرمم التي هي إلى مزابل التاريخ. فمنحت الشعار شرعية الميدان الذي لا يعلو فوق صوته صوت ولو كان صوت البرلمان. وها هو المجلس العسكري الإسرائيلي تحت إمرة الأمريكان يعرقل مسيرة التحرر الوطني فيحيل قرار البرلمان بالعزل السياسي المحدود والذي تأخر صدوره إلى المحكمة الدستورية ولكن هيهات. إن القوى الوطنية الثورية بعناصرها الإسلامية والقومية والليبرالية واليسارية اليوم متّحدة تقول لا مغانم على حساب من دفعوا المغارم ولا بناء قبل كنس النظام القديم. وها هي العناصر المذنبة الآن تعلن التوبة النصوح عن خطاياها بحق الثورة المغدورة ومن جديد تضع الهرم على قاعدته لا رأسه فتُوحّد الصف الثوري على العزل والتطهير وإقامة محاكمات ثورية ومصادرة المال الحرام.

• ١٥ | فغزواتهم للسلب والنهب •

الجمعة ٢٠ ابريل ٢٠١٢-١٠ص-احداث

فغزواتهم للسلب والنهب كانت تمنع القبائل عن الهضاب والجبال... وقد نجحوا في إثبات صمودهم أمام النخاسين العرب، وعاملوا الأجناس الأخرى سواء من الأفارقة أو العرب أو الأوروبيين بكثير من التعالي.

كلود هوليس، «الماساي»، دورية الجمعية الملكية الأفريقية، العدد ٤٢-رقم ١٦٨، ١٩٤٣

جمعة قندهار جديدة والموران حواليهم. الموران أباليسهم أو ملائكة

الرسالة. لذلك هم يقتلون الموران. مثل قبائل الرعاة التي تجيء عليها غزوات إينكاي هؤلاء الفلاحون المتبجّحون بالله. يخافون من الموران ويحقدون عليهم فيوصون بقتلهم أو يتواطأون عليه. الموران وليس غيرهم. الذين هم نحن. أولاد دين القحبة يعرفوننا ويحذرون منا شباب ٦ أبريل وشباب عبد المنعم أبو الفتوح وشباب حمدين صباحي وكل القوى الثورية المفترض أنهم معها. يستخدمون عمرو حميدة وأشكاله في تحذيرهم. جمعة قندهار أقول لك ونحن حواليهم وسط الشباب برماح ودروع غير مرئية ولا أحد منتبه لنا. فقط الذين يريدون موتنا قادرون على رؤية السلاح. وليمة المتر في بطوننا ونحن ننظر لذقونهم والجلد الميت على خلقهم. الفلاحون المتبجّحون بالله والثورة. شحم بطونهم رافع جلاليبهم القصيرة لفوق لحد الركب والشوم في أيديهم وهم قادمون. وجوههم عبارة عن كلاب مسعورة. ننظر لهم أقول لك ونستحضر تقطيع ذكورهم بالأمواس وتهشيم ظهورهم بالشواكيش ثم ركبهم المفتوحة وهم يزحفون على بطونهم على الأسفلت. والسكاكين راشقة فيهم. الجلد المقشّر من فوق اللحم الأحمر ودم أسود مكان العيون. نستحضر الأشياء هذه كل واحد لوحده لكن بمجرد أن ننظر لبعضنا الواحد منا يعرف أي مشهد يتخيله الثاني بالتحديد ويشاركه تفاصيله كما لو كان هو الذي يتخيل. من غير كلام. اللحمة التي يطبخها لنا المتر تجعلنا هكذا. كأننا كائن على بعضه بدماغ واحدة وأكثر من جسم. والكائن هذا طالع يغير على الكائنات الأخرى ليغلبها. ولماذا هم قادمون ووجوههم كلاب اللعاب سائل على أنيابها لا أعرف. لقد بدأنا نقطّر جوعنا لمنظر الإسلاميين على بطونهم كلاماً نقوله للشباب الواقفين معنا بصوت عادي وكأنه رأي من الآراء في موضوع من المواضيع. طبْل في رؤوسنا. كأن الحرب تنقّط من على ألسنتنا لداخل أدمغتهم عبر فتحة الأذن. نقطة نقطة. من ساعة ما جئنا يا باشا وقد توزعنا على جماعات الشباب المدني

كما يسمّون نفسهم. الليبراليين. مع أنهم ناصريون وقوميون وشيوعيون واشتراكيون وكل مخلفات ألمانيا الشرقية وفيلم رد قلبي. العيال المحشوة كلاماً يسمّون نفسهم ليبراليين ليعرّفوك أنهم ليسوا إسلاميين وهم ركوبة الإسلاميين أو جزمهم. وكشف معهم يعملون لغير صالحهم من وسطهم. بالكلام. على الأقل لحد العصر بالكلام. لأنه بعد العصر بدأ الشغل الجاد على المظاهرة. معظم هؤلاء الشباب يعرفونني شخصياً ولا يجيء في بالهم أكثر من أن عندي فوبيا الإسلام السياسي. أبشّ لمن أراه ومن غير ما يبدو عليَّ شيء أقول شعارات. لكن في بالي بالضبط من أريده أن يضرب من ومتى. في بالي كل الاحتمالات والخطط البديلة في حال حصولها. شغلة المظاهرات هذه ليست مزحاً وأنا عندي خبرة من زمان من قبل الثورة. أهم حاجة أن يكون الهدف في بالك وأنت مسيطر على مشاعرك مئة في المئة وسط الأحداث. أشرف بيومي قال لي:
ممكن أقابل المزة عند الجامع؟ جاوبته: ربع ساعة وتكون تفقدت أماكن الأشخاص الذين معك أساميهم. ولوّحت للمجموعة الآتية للاحتجاج على حبس عبد الناصر قناوي قبل ما أنضم لهم وآخذهم واحداً واحداً بالحضن. الإسلاميون لا زالوا يتوافدون وأنا أحس بدفء حقيقي مع هؤلاء. واحد لا أعرفه علّق: يا أخي الميدان اليوم كأنه مستطيل. فانتبهت لتكوينات المتظاهرين. الميدان لغاية العصر كان فعلاً كأنه ممر وفيه أفواج قادمة. مواكب أو زفّات. والناس العادية التي لا زالت تحضر مظاهرة يوم الجمعة من باب الوطنية والتضامن فتحولها لاحتفالية بيضان بالأعلام والمزيكا واقفون على الجنبين كأنهم بوابة تدخل منها الأفواج. الحلوة حامل م التاريخ ولدت ثورة. سترت عورة. والمجد لعلع في الميدان دورة ف دورة... مجرد مساحة مستطيلة نحن في آخرها والأفواج قادمة علينا وسط هذه الأصوات. وكل فوج إما يتكتّل ويعمل منصات وخيماً أو ينفرط ويذوب وراء البوابة وأنا أكلم الشباب. أتناقش وأتحمّس في

كلامي. كنا نشرب الشاي في كبايات بلاستك لما أشرف جاء يجري عليَّ من عند المسيرة القادمة على بعد حوالي خمسمئة متر. غمز لي وضحك مثل المرأة الشرموطة ثم رجع يخبط على كتفي ويهمس: حميدة يا باولو. عمرو حميدة. وأشار بأنفه فتَفَلتُ في الأرض وناولته الكباية لأحشر جسمي في المساحة الضيقة التي بين البوابة البشرية وبين مكاني في المقدمة وأجري بسرعة ناحية القادمين.

• ١٤ | مثل ما يتعلم الكلب •

الجمعة ٢٠ أبريل ٢٠١٢-١١ص-لقاءات

كانت المسيرة في أولها. مجرد زفة صغيرة لكنها عاملة دوشة أكبر من أي شيء. الأصوات كلها نحاسية لكن فيها رتابة وحاجة حزينة مع أنها عالية جداً وترن. حوالي سبعة أشخاص قدام في أيديهم غطيان حلل طبيخ يخبطونها كالصاجات الأوركسترالية الكبيرة. ومن ورائهم ثلاثة يجرّون عربة كارو محاطة بشباب ماسكين سلاسل وجنازير يطلّعون منها أصواتاً. وراء العربة الكارو كان فيه مجموعة ثانية تزق ثم حوالي عشرين متظاهراً مع قائدهم ميكروفون يهتفون على إيقاع الصاجات بصوت عميق مثل الجريجوريان تشانت: قالوا اطمن قلت إزاي أمن الدولة رايح جاي. أيديهم مرفوعة برسوم للسلاسل والكلبشات أو قبضات متحفّزة وهم يتحرّكون ببطء كأنهم في جنازة. والتحدي الذي على وجوههم كله خوف. من وقت للثاني كانت المسيرة تقف وهم يصرخون كأنهم ينفثون الخوف هذا أو يتوجّعون فعلاً. ثم يتكلّمون في ما بينهم لغاية ما يغيروا الشعار: يا حميدة ولا تهتم بكرة الثورة دم في دم. معقول هذا؟

فوق العربة الكارو كان الناشط عمرو حميدة واقفاً على حيله وهو حاف يلبس جلابية بيضاء مقطّعة على اللحم ويمسك يافطة كبيرة عليها عبارة: الثورة المضادة بقيادة أمن الدولة. لوحده هكذا. وجلابيته مبقّعة وجسمه وسخ وذقنه نابتة وشعره هائش بينما هو على العربة مثل ربطة القصب. فيه زوغان في عينيه وابتسامة بلهاء على وجهه وهو بالكاد محافظ على اتزانه مع الاهتزاز والصوت. جريت عليه ثم وقفت. الضحك والفزع والذهول. الحفّار كان قال لي إن حميدة لما خرج من الشقة وضع العصابة السوداء حول عينيه بنفسه وبهدوء تام قال له: تحت أمرك يا باشا. كان متزناً وثابتاً. ولدرجة أني فكرت أضمه للفريق لو كانت الحكاية هكذا. كنت فاهمك أجمد من ذلك يا حميدة. بدأت أتحرّك يمين شمال وأنا أسأل الذين في المسيرة عن الموضوع: هذا عمرو حميدة الناشط المعروف لا؟ وهم بمنتهى حسن النية يقولون إن أمن الدولة خطفوه وعذبوه بوحشية وإننا لا يمكن أن نسكت على ذلك. وأنا أهز لهم رأسي بجدية وأتصل بعلاء الراوي الواقف في مكان قريب عند منصة لازم حازم. وصفت له مكاني وقلت له يجيء بسرعة ومعه مجموعة ملتحين. كنت أزعق ليسمع صوتي من وراء الصاجات والهتاف. ولما جاءوا عملنا كأننا ننضم للمسيرة وبدأنا نتسلّق العربة ونلف حول حميدة ونحن نصفق ونشارك في الهتاف. كنت أغالب الضحك والآن بدأت أفرّغ الكوميديا في الصراخ. في الأول لم أنظر لحميدة وهو محوّط بالذقون. فقط أرفع يدي وأهتف وأعمل حركات تضامن لرفاقه في المسيرة. وهم على ما انتبهوا وطلبوا منّا أن ننزل كانت العيال اندمجت. من قبل حتى ما أغمز لعلاء بما يعني تجاهلهم لم يسمع لهم أحد. طبعاً من خوفهم لم يعملوا شيئاً. فقط حصل اضطراب في الإيقاع وخناقة أو اثنين في ما بينهم لحد ما وقفت العربة وضعف الصوت. ساعتها فقط نظرت لحميدة. نظرت له في عينه وأنا أضحك وأقول له: الناشط البطل. وأقترب من وجهه كأني سأسلم عليه. كان الراوي والعيال يعملون دائرة حوالينا على حواف العربة وكانت

الابتسامة البلهاء راحت من على وجه حميدة. ملت على أذنه ووشوشته: علّموك الأدب مثل ما يتعلّم الكلب. ثم رفعت رأسي ورجعت أقول له: يا بطل. بطل الأبطال. وكنت على وشك الهتاف مرة ثانية لما بدأ ينهنه. كان ينهنه ويصرخ مثل طفل مفزوع ويحاول أن يقفز من فوق العربة والعيال الذين معي في سكته. وأنا مسكته من كتفيه وقلت له بصوت عال: لا يمكن تنزل وتفسد المسيرة يا بطل. اجمد. ثم ملت وضغطت بطريقة عارف أنها ستوجعه ووشوشته بصوت الأسد: مثل الكلب يا حميدة. ودفعته لوراء كأني أستميت في منعه من النزول فعملت نفسي أنا الآخر أقع ثم أستعيد اتزاني بصعوبة. وحميدة لما وقع على ظهره بدأ يتلوّى واللعاب على ذقنه. كان يعمل صوتاً لم أسمع مثله في عمري. عارف صوت الورق والنار تأكله؟ تخيل أنك أضفت على الصوت هذا صريراً حاداً وخربشة وصراخ طفل مفزوع. كانت ناس جاءت وناس راحت والبوابة البشرية تغير شكلها. مشينا ورفاق الراوي يهتفون: الله أكبر. لكني قبل ما أمشي وقفت جنب العربة الكارو أنظر لحميدة ورفاقه مشغولون عنه في النقاش. سمعت واحداً منهم يقول للثاني: ابن الكلب أفسد علينا المسيرة. قلت لك إنه جبان. ورأيت آخر ينظر له باحتقار مكان ما هو على العربة الكارو. الذين يجرون والذين يزقون كلهم تفرّقوا. معقول يتركون بطلهم هكذا؟ لمجرد أنه لم يصب في بدنه في الميدان؟ كومة من غطيان الحلل والجنازير كانت تتكون فوق العربة في شكل تلة أو هرم بمحاذاة جسم حميدة وهو على ظهره بالعرض. لا أعرف بالضبط ماذا رأيت في هذه اللقطة. تمنيت لو كانت معي كاميرا لكني صوّرت بعيني. وكان نفس الحزن والانبهار وأنا أقول لنفسي إن الشر لا في الحاجات ولا في ضرورتها. إنه مجرد نسيان أن الحاجات الضرورية ليس المفروض أن تكون محزنة. لقد راودني عيّل تعبان يهلوس في طريق الرجوع لبركة السبع لكن الرغبة في الزئير غلبته. الجري والزئير كأي أسد هصور بطول هذه السافانا وعرضها. وما أكثر الفرائس سعادتك. كل الذي

حصل أني ضحكت وخبطت كفاً بكف ثم تركته كما هو وأنا أتمتم: يا بن المجنونة يا حميدة.

• ١٣ | الضوء تغير والهتافات •

الجمعة ٢٠ أبريل ٢٠١٢-١م-أحداث

ثلاثة من كشف كانوا ذهبوا مع علاء الراوي وكأنهم إسلاميون باللحية والزبيبة وكلام حفظوه عن ظهر قلب. وعلاء كان يوافيني وهم معه من وسط الإسلاميين الحقيقيين من عند منصة حازمون ومنصة لازم حازم جنب منصة الإخوان. برسائل التليفون يوافيني وأنا على قدمي أزأر في الأسفلت. أنا أكلمك بجد في موضوع الزئير. المتر لا يجيء معنا المظاهرات أبداً لكنه يقول إنه يكون هناك من غير ما نراه. ونحن فعلاً لا نراه. ساعات فقط من وسط الدوشة نسمع صوت زئير أسد ويكون الصوت واضحاً ومقنعاً مع أنه لا يبدو أن أحداً سوانا نحن في كشف ينتبه له. وعندما نسمع هذا الزئير أو نشعر برغبة في سماعه نبدأ بهتاف أي شعار ليعلو صوتنا شيئاً فشيئاً لحد ما نقدر نزأر من غير ما أحد يحس بشيء. في فورة الزئير هذه يسمعنا المتر ويجاوبنا. ساعات كما الآن نعمل حواراً كاملاً أنا وهو لوحدنا. وعلاء يوافيني بالرسائل. لكنك لو كنت معنا ما كنت لتسمع إلا الهتاف وربما صراخاً لا تعود فيه الكلمات واضحة. هذا زئير. وفي الأيام التي أزأر فيها تتكوّر الأشياء. رائحة الدم مجرد طعام ولحمة المتر في بطني. الميدان يكون كأنه كرة شفّافة والناس زلط متفاوت الأحجام داخلها. لو الناس سخنت كفاية تنط الكرة كلها أو يتغيّر حجمها. ربما تنفجر. لقد بدأ الشغل متأخّراً

بعد العصر بعد ما خلصت أجواء الاحتفالات وراحت الناس العادية.
الباقون تقسموا على المنصات. بعد ما العائلات الفرحانة بالحراك الديمقراطي ذهبت ووراءها العيال المرفّهة والأجانب والفيلق البرجوازي من المثقفين. الذين مثل الفتيس يعتبرون الثقافة بما فيها العمل السياسي كما يسمونه نوعاً من الوجاهة الاجتماعية. أعلام مصر قلّت ومعها اللافتات. الضوء تغير والهتافات غطت على المزيكا والكلاب المسعورة في وجوه الإسلاميين تتحوّل لضباع تنافسنا على طعامنا. الآن لم أفكّر في حميدة مرة ثانية. في أول ساعة قامت أكثر من خناقة لحد ما مشى نصف الليبراليين تقريباً وفي وجوههم قرف ويأس من حلول يوتوبيا.
وأنا واقف أواسيهم وأطمئنهم وأقول لهم: اليأس خيانة. علاء وجماعته يقولون للإخوان كلاماً غير الذي نقوله أنا وجماعتي لليبراليين... لغاية ما حصلت الخناقة المرجوة وجاءت الشرطة العسكرية تضرب ناراً في الهواء. لتوقف الخرطوش الذي يضربه الإخوان ويتهمون فيه المباحث تضرب ناراً. وتلم العيال من على الأرض لتحتجزها مثل ما تُلَم الفراخ من رقابها لتُذبح عند الفرارجي.
سبعة إخوان كانوا رابطين صلاح نصر بالسلك في خيمة على الأسفلت واثنان منهم في الخارج يمنعان الناس من الدخول. هو كان تعامل مع ثلاثة من هؤلاء في قسم قصر النيل سنة ٢٠٠٨ وتعرفوا عليه فاستدرجوه للخيمة. هذه فرصتنا. سلك غليظ من الذي يوجع معقود حول معصميه وكعبيه بحيث يُشَد طرفه فيضغط على العظم عبر الجلد واللحم مع وجع شديد. وكانوا واقفين حواليه يشتمونه ويقولون له: قل أنا مخبر. ويشدون السلك. فيصرخ ويقول: أنا مخبر. قل أنا مرأة. فيصرخ والعرق على عينيه: أنا مرأة. قل أنا كافر وأكره شرع الله. أنا كافر وأكره شرع الله. وهكذا. وعضو ٦ أبريل المشهور زكي فتح الله ماسك كاميرا فيديو وواقف يصور. لحد ما أنا والديك دخلنا بالعافية وقلنا لهم أن يفكوا

صلاح نصر فحاولوا أن يربطونا جنبه. بدأ القتال وزكي فتح الله كما هو يصور. هم كانوا فاكرين أنهم يواجهون نشطاء وبالتالي واثقين من نفسهم وهذا سهّل علينا المهمة. خلال خمس دقائق كان الديك فتح بطن ثلاثة وأنا خنقت واحداً لحد ما فقد الوعي. ثم ثانياً. لا تظن أني أفشر أو أتباهى. الموضوع لا علاقة له بالقوة أو الشطارة. كل الحكاية أن الخوف كله يروح من عندك. هذا أيضاً من آثار اللحمة والشر. عندما يكون الغيظ هو الدافع الوحيد ولا خوف تستطيع أن تعمل أي شيء. أن تعمل ذراعك الشمال كماشة على رقبة واحد وتكتم نفسه بيدك اليمين وأنت تركل الثاني بين رجليه لتشله لحد ما يغمى على الأول فتوافي زميله بالمعاملة نفسها. في الحقيقة لا ضرورة لمنديل مغموس في مادة مخدرة كما ترى في الأفلام. لو راح الخوف يدك كافية. أثناء الخناقة صلاح نصر قدر يفك السلك فهدّ الخيمة وفتح دماغ السادس بلوح الخشب الذي نزعه منها. والأخير طلع يجري ناحية ٦ أبريل. وبعد ما نسحب منه الشريط الذي - في ونسرّبه مع واحد من العيال لخارج الميدان ليُرفع على يوتيوب وقت الحاجة نلف حول زكي نكسر له الكاميرا ثم نلوي ذراعه وراء ظهره ونذهب به لمنصة الإخوان ونحن نزعق. فيستقبلنا علاء ويعمل أنه ضدنا. أنا والديك وشريف تادرس وأربعة من كشف. يرضيكم هذا الذي عملوه في الرفيق صلاح؟ والحيوان هذا واقف يصوّر؟ واحد بدأ يعتذر والثاني جاء متحفزاً وعلاء في ذيله يوشوشه. غمزت للديك لكن قبل ما تحصل حاجة جاء ثالث يجري ويصرخ من هناك من عند حطام الخيمة حيث الأبدان المرمية على الأرض مخنوقة أو تنزف. لا أعرف كيف بدت المساحة الآتي منها الملتحي الرفيع هذا فاضية تماماً كأنها صحراء وهو آت من بعيد جداً من وراء السحاب لكن صوته مسموع وهو يصرخ بالعربية الفصحى: قتلوا الإخوة. أولاد الكلب الكفرة قتلوا الإخوة على قارعة الطريق. كان شريف يستعد بصناديق الكازوزة الملآنة مولوتوف على بعد مترين اثنين وعلاء يتحجّج هو والذين معه بالذهاب لإحضار

عتاد لأي معركة محتملة لكي يختفي في الوقت المناسب فلا يعود يسأله أحد ماذا كنت تفعل. لقد بدأوا يخلعون بلاط الرصيف. بقطع حديد معهم وبأيديهم ينزعون الرصيف عن الأسفلت الملتصق به ليكسروه ويعملوه حجارة يقذفونها. هكذا الإخوان دائماً في المظاهرات. مع اقتراب أي إحساس بالخطر ينحنون على الأرصفة بلا كلام. أنا أعطيتُ الأمر والليبراليون بدأوا يتوافدوا مشحونين بالكلام الذي كنت أقوله لهم. مجموعة الحرية لعبد الناصر قناوي ومجموعة عمرو حميدة مع بعض شباب حمدين ومجموعات متناثرة. وخلال عشر دقائق من غير كلام كانت الحواجز أقيمت وسط دائرة كبيرة على الأسفلت نحن على ناحية منها والإسلاميون بقيادة الإخوان مع بعض شباب ٦ أبريل ومعظم الاشتراكيين الثوريين على الناحية الثانية.

• ١٢ | عرق أُسُود هائجة •

الجمعة ٢٠ أبريل ٢٠١٢_٥م_افلام

كلام باولو بن بغاغو عن وجع الموت. موت الذين نحبهم يوجع حتى عندما لا نحزن. وهؤلاء الذين يحاربون معنا أو ضدنا عندما يجيئهم الموت لو كنا نحبهم نحس بروحنا تطلع أيضاً لأنهم معنا في الصورة. حتى لو نحن الذين تسبّبنا في موتهم. كنت أقول إن المعركة بدأت سعادتك. في المظاهرات نكون بلا خوف والغيظ يحرّكنا. ولا أعرف لو كنتَ سمعتَ عن الواقعة هذه كخبر من أخبار جمعة تقرير المصير. الذي كتبوه في الجرائد أنه حصلت اشتباكات بين الأمن والمتظاهرين بعد انتهاء المليونية تسبّبت في سبع إصابات وحالة وفاة واحدة. لم يدخل أحد في التفاصيل ولم يُذكَر حصول تراشق بين ليبراليين وآخرين

من التيار الإسلامي. الأمر الذي ذاع فقط من الرغي على الإنترنت.
والحقيقة أنه في النصف ساعة التي استمرت فيها المعركة قبل ما تجيء الشرطة العسكرية مات على الأقل خمسة وأصيب عشرات. في فيسبوك وتويتر كُتب كلام كثير متضارب كله غلط مع أنه كله تفاصيل. وهكذا يكون التحليل السياسي حتى عندما يمارسه محترفون يا باشا. كلام دقيق جداً ومعقّد جداً لكن ليس له أي علاقة بالحقيقة. والمتكلّم يكون واثقاً من الذي يقوله لدرجة أنك وأنت تعرف تحلم بأن تنصحه كما نصحت حميدة. فما بالك بشبكات التواصل الاجتماعي التي هي تحليل هواة ومنابر للحشد أو بروباجندا لا تُكلّف. الغريب أن معظم الناس التي تعمل الدعاية هذه تعملها مجاناً لأنها تعتقد أنها تعمل الصح. وهكذا تتحوّل الحياة لبقعة نت وسط صورة بقيتها فلو. والبقعة نفسها تكون لشيء قبيح وممل. غبي غباء سعيد عطوة وهو يتناول مني الشنطة في دار سيرين سنة ٢٠٠٨. أما بقية الصورة فبلا لون أو طعم ولا أي دليل على الغيظ.
الوجع. أنا عامر محمد أبو الليل أكلمك عن وجع موت الذين نحبهم قتلاً وهم يحاربون معنا أو ضدنا على الأسفلت. شاهد حضرتك لمعة العرق على صدور الشباب العريانة وقمصانهم حول رؤوسهم مثل العمامات.
الدم في شلالات صغيرة طالعة من الأدمغة والنار وهي تمسك في الذقون. تابعهم وهم يرمون الحجارة بعزم ما فيهم ثم يتفادون زجاجاً أول ما يخبط في شيء يبقى حريقة. أو العكس. اسمع الهدد والشتيمة وشاهدنا أنا والديك نقذف كل واحد زجاجة بالتزامن. نقرفص على الصندوق ثم نقوم في لحظة واحدة أيضاً وقورتي في قورته نزأر للأرض.
وكل واحد رأسه تنفرد شيئاً فشيئاً من غير ما نبتعد عن بعض لحد ما تصبح ذقنه في ذقني ونحن نزأر للسماء. قبل ما نشعل ونقذف كل واحد زجاجة ثانية شاهد واسمع علو زئيرنا. كان شريف يناور في الصف الأمامي.
في يده مرايا صغيرة يسلطها على عيونهم ليعميهم وفي فمه صفارة مثل صفارة الحكم يطلقها ليلهيهم في اللحظة الأخيرة. يقوم بالمهمة هذه

وهو مقرفص وهو يشتغل ويجري علينا ليحتمي ثم يرجع يشتغل في مكان ثان وهكذا. فجأة ظهرت بنادق مع أشخاص لم نرهم لحد الآن كانوا هلّوا على ناحية الإخوان وبقي في المكان صوت طلقات وأنت لا تعرف هل هو خرطوش أم رصاص حي. عيل من عيالنا وقع. خرم في دماغه. الذين أصيبوا خلال النصف ساعة الأولى كانوا يجرون لوراء. هذا أول واحد يطب ويبقى على الأرض. واحد ثان جاءت رصاصة في رقبته. الذي يطلقونه ليس خرطوشاً سعادتك. كان يحاول أن يتكلم وهو واقف مكانه لكن كل الذي يطلع دم وبقبقة. البقبقة عالية جداً والدم كمياته كبيرة. بقي عنده فم رأسي تحت ذقنه وهو يستفرغ منه ومن فمه العادي لكن الذي يستفرغه دم. وكانت نظرته عادية جداً وهو واقف على رجليه لحد ما رفعوه وأخذوه. والرائحة في أنفي تشهيني يا باشا. الآن أزأر مباشرة من غير هتاف. السلاح عندنا لكننا لا نخرجه في المظاهرات. ولما جاءت الشرطة العسكرية تفض العركة كنا متصورين أنهم معنا أيضاً وأن كون الإخوان معهم بنادق حجة مواتية. من أجل هذا اقتربنا لمكان ما كان شريف يرمي على واحد من الذين جاءوا أخيراً قطعة بلاط مدببة. الديك انبطح وبدأ يزحف. أشرف بيومي لف من وراء وذهب يشتكي للضابط. بدأت الدنيا تمطر عرق أُسُود هائجة. لو كان الإكسلانس معنا كنت دسسته وسطهم هم. الشرموط. كنت أزأر وأتقدم أقول لك وأمنع نفسي بصعوبة من التحول. أنظر لهم وأنا على وشك أن أعبر الحاجز لأخنقهم لكن الشرطة العسكرية جاءت. تشكيل صغير من حوالي خمسة عشر يطلقون المدافع الرشاشة لفوق. أزاحوا الحواجز وبدأوا يقبضون على العيال لكنهم كانوا يقبضون عليهم في ناحيتنا نحن وينتشرون فقط في الناحية الثانية. نظرت لواحد منهم وهو يميل على الأرض ليجر ناشطاً مصاباً من رجله. الشمس التي بدأت تروح نورها على البيريه الأحمر الذي فوق رأسه وهو يزيح يد الولد بالهراوة والبيريه كأنه عبارة عن نور أحمر. كان فيه واحد فقط وسط التشكيل في ملابس مدنية ومعه بندقية

قنص. رجل أسمر طويل جداً ووجهه جامد بطريقة ملفتة كان هو الوحيد الذي لا يلبس ملابس عسكرية. لقد وقف بعيداً على جنب ولم يقترب منه أحد. وأنا لما شفته حصل حاجة في إحساسي بالمشهد كله لأن الشمس راحت فعلاً وكأن كل الأصوات هبطت والحركة بقيت سلو موشن في العتمة والدخان. من أجل ذلك سرحت وأنا أنظر له وأتذكر أو أتأكد وساعتها فهمت أن التشكيل جاء لينقذ الإخوان وربما لشيء آخر أيضاً. وجهه مثل الحجر وهو أطول من أي شيء. هل هذا الشخص إنسان مثل الناس أم أنه حاجة خرافية؟ وماذا لو تحولتُ قبل ما أصل له؟ كنت أقارن بين كتفه وكتف المتر وأنا سارح لدرجة أني لم أتحرك عندما رفع بندقية القنص التي معه ووضع عينه على المنظار يصوبها في رأسي.

• ١١ | شريف •

السبت ٢١ أبريل ٢٠١٢-١٠ص-لقاءات

في ما بعد سأراجع الذي حصل وأندهش. الذي حصل بعد ما الرجل الطويل الذي رأيته أول مرة مع مون في بار ديلز صوب بندقية القنص على رأسي وأنا سارح. أهم حاجة تفهم أني سألت واستقصيت. لا أحد في الحياة كلها يعرف شيئاً عن هذا الرجل. كثيرون احتكوا به فعلاً لكن كأنه يظهر في مكانين في وقت واحد أو مثل أبو خطوة يقطع مسافات هائلة في لمح البصر. ولا أعرف كيف يتفاهم مع الذين يتعامل معهم لكن من كل الذين رأوه لا أحد يتذكّر أنه سمعه ينطق ولو كلمة واحدة. سأراجع الذي حصل أقول لك وسآمر العيال بإحضار مون وأحبسها معي في المكتبة. انتبه. لو كان عندي استعداد أقتل مون كنت عملتها وهي بائتة عندي في غرفة البدروم ليلتها في أبريل. وأنا معها

وهي لا تقدر أن تخرج. الآن ذهبتُ إليها والصورة معي. صورة شريف تادرس التي صورتها عشرين مرة من غير كاميرا وجعلتها أحلى من أي شيء. هذه غاية الحياة في النهاية. أن نعمل صوراً للذين نحبهم تكون حلوة وتبقى في أدمغتنا ولو ليس في مكان ثان. مثلاً شريف الآن بائن بصعوبة على ضوء العواميد البرتقالي وشكله مقرف قليلاً لكني أراه في نور النهار. نور أقوى ربما من نور النهار. ليس أقوى بالضرورة لكنه ذهبي ويبرق ويتجاوب مع الألوان والأشكال ليضبطها. ثم إنه يكشف تفاصيل أكثر ويجعل الشيء الذي تنظر له مبهراً بالتفاصيل. ولا يمكن أشرح لك لأي حد شريف جميل وهو طاف على ظهره وذراعه مثلث ويده تحت رأسه والذراع الثاني مفرود لوراء. لا يمكن وهو طاف كالقمر فوق رصيف ميدان طلعت حرب مع أن الموجودين يرونه راقداً في نور العواميد وشكله مقرف قليلاً. كأنه لوحة من عصر النهضة. الفرح أو الحب الذي في عينيه مع شيء يلعب على فمه مثل ابتسامة. كل عضلات وجهه مرتخية. وجلده صاف ولونه كأن تحته النور وهو كله مرتفع مسافة سنتي عن الأرض وطاف مثل ما أقول لك طاف في الهواء. وأنت لا تلاحظ أنه ميت لحد ما ترى دائرة صغيرة حزها أسود في وسط صدره بالضبط حرقتْ خرماً مدوراً في تيشيرته الأزرق.
من غير ولا نقطة دم في أي مكان فقط هذه الدائرة وهي ناشفة وحية كأنها عضو إضافي مثل فمه هذا الذي يبوس رأسك من غير ما يبوسها أو أذنه البائنة كورقة صبار أو منخاره. هواء يملأها. لو كان فيه شيء اسمه ملاك فعلاً فأكيد هذا الشيء عنده عضو في صدره مثل الذي عند شريف. ما جرى باختصار أني كنت لا زلت سارحاً لما سمعته يقول: حاسب يا باولو. وكان في صوته لهفة وهو ينط ناحيتي يدفعني على الأرض ثم يسقط فوقي وصوت طلقة واحدة من بندقية القنص التي في يد الرجل الأسمر يرن. في نفس اللحظة. ليس عندي أي فكرة ماذا جرى بعد ذلك. فهمت أن الرصاصة دخلت في ظهره وخرجت من

الدائرة التي في صدره هذه لكن أنا أين كنت؟ ربما تحولتُ وهم كذّبوا ما رأوه؟ ربما غيّبني المتر لما رآني سأتحوّل. الزمن وقف فعلاً ولما أفقت كانت الدنيا ظلمة وفاضية والعيال على الرصيف وشريف على ظهره على الأرض وسطهم وأنا قاعد جنبه مربّع رجلي وأهتز من وراء لقدام. ولما أسأل العيال سيقولون إني اختفيت لمدة نصف ساعة ونحن نهرب ونحمل شريف إلى أن ظهرت على باب مطعم مكتبة الشروق كأني خارج منها مع أنها مقفلة. ومن غير ما أرد على أحد جئت ربّعت جنب الجثة وبدأت أهز جذعي وأنا مربّع أنحني عليها وأرجع أفرد ظهري ببطء وفي وجهي حسرة. وقالوا إني مع أني لم أبك كان يطلع من صدري صوت ضعيف كالبكاء. ولحد ما جاءت سيارة إسعاف خاصة أخذته للمستشفى أو المشرحة لا أعرف. بقيت هكذا. الذي لا يعرفونه أني كنت أصوره. كنت أراه في ضوء النهار هذا الذي أصفه لك وأثبّت صورته كما أراها. لذلك استغربوا فعلاً لما رفضت أروح معهم وراء الإسعاف واستغربوا أكثر لما لم أحضر العزاء في الكاتدرائية. فسّروا الموضوع بأني أتجنب المشاكل الأمنية التي قد تترتب على مصرع شخص أنا المسؤول عنه. ولم تكن عندي طريقة أفهمهم أن كل الذي يمكن أن يحصل حصل فعلاً وأنا قاعد جنب الجثة أنتحب.

• ١٠ | فاكر ليلة الاعترافات •

السبت ٢١ ابريل ٢٠١٢_١١ص افلام

ثم إني ألتفت لأجدك قدامي فأوقف ما أعمل وأعترف لك. التلفزيون مفتوح على المناظرة الأولى من نوعها بين المرشح الرئاسي الدبلوماسي عمرو موسى ونظيره الإخواني المفروض أنه مستقيل عبد المنعم أبو

الفتوح. لكننا غير ملتفتين للمناظرة. هي ذي ابتسامتك كما هي في وسط وجهك وأنت تلف سيجارة. تلفها من الحشيش الذي عندي لكن تضيف لها نباتاً آخر يجعل دماغ الحشيش مثل سيخ حام ينزل على الغدة الصنوبرية مباشرة. وهكذا كل مرة إما بالسيجارة أو بأي خمرة عندي أو حتى بكباية شاي تضيف من نباتاتك ونشرب وأنا أحكي لك وتظل مبتسماً وأنت تسمع. فاكر ليلة الاعترافات والأسرار مع مون يا متر؟ لما قلت لها أوجعيني من غير رحمة وهي هزت رأسها بالموافقة؟ ليلتها وفي المقابلتين التاليتين قبل ما تختفي مرة ثانية فعلاً اختلف نوع اتصالنا. في الأول كانت تقرص فخذي وأنا فيها. تمد ذراعها من تحت وأنا فوقها وأصابعها الرفيعة الهشة هذه تتحول لمشارط مدببة تمزّع لحمي فأرهز أسرع لأغطي على الألم وأزأر أو أموء. وأنا عارف من تحولات البلل وانقباض العضلات وتضاعف حجم ذكري فيها أنها تجيء مرة بعد مرة وساعة ما يزيد ألمي متعتها تشتد. ثم بدأت تقرص وهي تعض شفتي لحد ما ينزل الدم على أسنانها ثم تشهق وتضحك وأنا أرهز من فوق والوجع والهياج يا متر. اللذة. الواحد يقول لذة لأنه ليس عنده كلمة ثانية. لكن الذي يتكلم عنه شيء أخطر من اللذة بكثير. وهذه أول مرة في حياتي أكتشف هذا الشيء وأنا أتوجع. المهم ليس الوجع في حد ذاته لكن وجود الوجع ثم استسلامي له وهو يهيّج حاجة عميقة وغالية. حاجة مدفونة في جسمي من زمان وأنا لا أعرف. وبالذات لما بدأت تشدني لفوق ومن غير ما تبل إصبعها دخّلته في شرجي وعقفته بعد ما دخل أحسست بالحاجة هذه. دخّلت واحداً ثم اثنين وبدأت تقرص من الداخل. ثم دخلت ثلاثة أصابع دفنتها في العمق قبل ما ترجع تفتحها وهي فيَّ كل هذا وأنا راكع فوقها أرهز وأموء وأتوجع. أنظر لها ولا أصدق الذي يحصل لي معها ثم أرجع أموء وأستجديها: بالراحة يا مون بالراحة. وهي تبقى وفيّة لاتفاقنا على أن لا يكون عندها

رحمة. وبعد ما اكتفت من الأورجازمات وركزت بدأت تشب لتدمي حلمتي بأسنانها وهي تصفعني وتضحك. بجدية تامة قالت لي: من هنا ورايح أنا سِتّك. وعملت شيئاً موجعاً جداً بأصابعها ربما دخّلت إصبعاً رابعاً وهي وتصفعني وتكررها: أنا ستك. كنت أحس كأن يدها كلها في شرجي وشفتي تحرقني وصدري والع والحلمة مقسومة نصفين. وكنت أحاول أن أؤجل ذروتي لأعرف لأين سيأخذنا هذا الذي يحصل أو ربما لأحتفظ بأي سيطرة على نفسي لكن لحظة ما سمعتها تقول أنا ستك للمرة الثانية جاء ظهري غصباً عني وبكيت. وهي كأنها عارفة ما يدور في ذهني صفعتني صفعة حارقة على وجهي ثم بدأت تطبطب على كتفي وهي تقول: شطور. تخيل يا متر أني أجيء غصباً عني وهي فيَّ مثل ما أنا فيها وأبكي من لذة الهزيمة والفقدان التام لأي سيطرة؟ أخيراً شكلك جاد وأنت تسمعني. اعمل لنا سيجارة ثانية قبل ما ترجع الابتسامة لوجهك. وكثّر من الذي تحطه فيها. كانت تروّضني أقول لك وأنا أستجديها. وكانت رضوى تسألني أسئلة محرجة ومثيرة في الصباحات التالية عن علاقة الجنس بالوجع: أنت تحب الوجع يا باولو؟ وأنا أحس مثل المراهق الذي يكتشف الجنس لأول مرة ولا أعرف ماذا أقول فأقطع كلامنا قبل ما يحصل جنس افتراضي. يعني كنت أولد من جديد تقريباً بالتزامن مع اكتشاف أن التي تلدني أيضاً تَخونني لدرجة التدبير لقتلي أو الموافقة عليه. وأنها السبب في موت هذا الطافي كالقمر فوق رصيف ميدان التحرير بعد الاعترافات والأسرار. في ما بعد في المرة التالية جاءت ومعها حزام في وسطه قضيب بلاستك ملتصق به. ولا أعرف من أين جلبت مون شيئاً كهذا أكيد واحد من أصحابها اشتراه لها من أوروبا أو أمريكا أو ربما واحدة من صاحباتها البرجوازيات. مون قالت لي إنها لا تحب البنات لكن كان واضحاً من كلامها أنها ساعات تجرب. جاءت ومعها الحزام هذا أقول لك وكان القضيب كبيراً جداً ضعف حجم ذكري وهو واقف ولما لبست الحزام بللته بزيت معها وقالت لي أن أنام على

ظهري وأرفع رجلي. وأنا مع أني متأفّف من الفكرة لقيت نفسي أعمل الذي تقول عليه وكأنها تسيّرني. أغمضت قليلاً بعد ما استقر تجويف ركبتي على كتفيها وهي ماسكة يدي تسند عليهما وانزلق الشيء فيَّ لآخره وهي على ركبتيها من قدامي ترهز وتهدهدني لأتحمل الوجع. كانت تكلمني مثل طفل صغير يأخذ حقنة وهذه أمه تمسكه للممرض الذي يعطيها له. والوجع كان رهيباً فعلاً لكن كأنه مخرج رواق مزحوم كل حاجة فيه أبيض وأسود. وأنت أول ما تخطو على عتبته تكتشف أنك شخص غير الشخص الذي كنته طول عمرك وأن في الدنيا ألواناً لم تكن تراها. لا يمكن أن تفهم معنى أن تُخترق وأنت رجل إلا عندما تحصل لك وحتى لو حصلت لك كإهانة مجردة من مجمل تحقيق قاس مثلاً لن تفهم. كان الوجع مثل مخرج أقول لك وطول ما هي شغالة وأنا عندي نصف انتصاب ولا أورجازم. لكن حصل شيء عجيب لم أكن أعرف أنه ممكن أصلاً. لقد بدأتُ أنهنه وأنتفض وهي تسرع من حركتها وكانت تقول اجمد يا باولو وهي تعرق وتلهث وأنا أحاول أن أقول لها ولا يخرج صوتي إني أصل من شرجي يعني يجيء ظهري فعلاً مع كل تفاصيل الأورجازم باستثناء القذف طبعاً ولكن من تحت من حيث وضعت في القضيب البلاستك. وكنت أحاول أن أقول لها إنها اليوم ملكتني بطريقة جديدة. إني مستعد أن أموت من أجلها. وإن الوجع رائع يا مون. رائع لدرجة تفوق التصور.

• ٩ | ثلاثة رجال دخلوا المكتبة •

السبت ٢١ أبريل ٢٠١٢-١م-أحداث

ثلاثة رجال دخلوا مكتبة أزمنة في الظلمة يحملون جوالاً. وضعوه

على أرضية غرفة البدروم وشربوا مياهاً ثم ذهبوا. والشخص الذي كان ينتظرهم الذي فتح لهم الباب وقفله وراءهم فتح فم الجوال ورفع الذي بداخله ليزيحه عنه لحد ما فكّ الجوال كله وكوّمه في ركن الغرفة ثم ربّع رجليه على الأرض وبدأ يتمايل عليه ويغني. الذي خرج من الجوال كان جسم امرأة جميلة شعرها أصفر مكوي. كانت تلبس ملابس سهرة ومجوهرات كلاسيك لكن في رقبتها عقد فضة مكون من حبات متفاوتة كل حبة عين تتوسطها قطعة فيروز كأنها إنسانها وهي غائبة عن الوعي. والعقد كان لا يليق على بقية الملابس. والرجل الذي ربّع وراءها وهو يمسك رأسها بيديه أول شيء عمله أنه نزع هذا العقد عن رقبتها ورماه تحت السرير الذي جنبه في الغرفة الصغيرة. كان يغني بلغة مجهولة وهو يتمايل. تحس من اللحن أنها إما أغنية حرب أو أغنية نحيب على الموتى أو ربما أغنية تؤدّي الغرضين في نفس الوقت. رجل أبيضاني ووزنه زائد عنده حدبة في ظهره وبائن في بشرته التي تشبه الخشب المقشّر أنه تعبان من الذي شافه في الدنيا. ومكتبة أزمنة في هذه الساعة من الليل صامتة. لا أحد في الشارع ولا نور في الداخل إلا نور أبجورة صغيرة موضوعة على الأرض في غرفة البدروم والرجل يغني. هكذا لحد ما تبدأ المرأة تفيق فيكلمها بصوت حنون وهادئ وهي تفيق شيئاً فشيئاً وهو برقة شديدة يكلمها. كأنها طفلة يحكي لها حكاية قبل النوم. يقول: تعرّفتُ على الموديل التي بدأت معها التصوير العاري أول ما اشتغلت هنا في مكتبة أزمنة. المرحومة فريدة منصور التتش. بعد ما ظهرت في حياتي عملت غرفتي هذه ستوديو واكتفيت بتصويرها بدل اللف وراء شعب عنده بارانويا من كل حاجة... لحد ما يصل لليلة التي ماتت فيها فريدة هذه مقتولة في شقة ملك فنان تشكيلي شاب اسمه سعيد عطوة في القاهرة الجديدة. وكان سعيد عطوة هذا هو الذي قتلها: ولما روّحت من دار سيرين وتأكدت من أن عطوة عمل الذي عليه وأن صاحبي الضابط

ذهب ليمسكه متلبساً شربت ربع قزازة ويسكي مع قرصين فاليوم ثم قفلت التليفون ونمت. وتكون المرأة التي جاءته في الجوال أفاقت وقعدت قصاده على الأرض تنظر له وتتأوه. الآن رجع يغني وهو يمد يده تحت السرير الفير فورجيه يسحب علبة خشبية فتحها وأخرج منها صورتين. ومن غير ما يكف عن الغناء أمسكهما في يده وهو يقول اسم امرأة ثانية أضاف له تاريخ ممكن تخمن أنه ذكرى وفاة التي في الصورة: رشا العلمي ١٢-٧-٢٠٠٩. ثم فرّج الصورتين للتي معه واحدة واحدة بعد ما تأملهما وابتسم. ولأول مرة صمت تماماً وهي تتفرّج عليهما. في الصورة الأولى تبدو رشا العلمي هذه وهي عارية تماماً مستلقية على وسائد بيضاء ويداها وراء رأسها تنظر للكاميرا باستسلام والضوء مركز على جسمها مثل لوحة جويا الشهيرة. وفي الثانية تبدو هي نفسها في نفس الوضع بالضبط ولكن رقبتها مقطوعة. رأسها ليست منفصلة عن جسمها تماماً لكن فيه سواداً عريضاً بينهما. ومع أن الرأس ثُبّتت في المكان التي هي فيه في الصورة الأولى ومع أن عينيها مفتوحتان بنفس الطريقة فأنت تعرف من نظرتها أنها ميتة. حتى لو لم ترَ بقية الصورة. وبعد ما تفرجت المرأة التي جاءت في الجوال نظرت للرجل المربع قصادها تحاول أن تداري اضطرابها وقالت له: أنت لا يمكن تعمل معي هكذا لأنك تحبني. ثم قامت على حيلها وفردت يديها ونظرت لفوق للفتحة الرفيعة التي فوق المكتب المطلة على شارع إسماعيل أباظة. تنهدت. كانت تأخذ أنفاساً عميقة وهي ترفع وجهها للفتحة لكنها لم تحاول أن تخرج. أما الرجل الذي معها فلم يتحرك من مكانه. فقط بدأ يكرّر ما قالته له وهو يقلّد صوتها بطريقة مبالغة قبل ما ينفجر في الضحك ثم يبدأ في الغناء مرة ثانية: أنت لا يمكن تعمل معي هكذا لأنك تحبني. ومع أنه لم يقل شيئاً هي رجعت قعدت قصاده وقالت له: فاهمة. فاهمة أنك مقتنع أني متورطة في الحادث وأنك زعلان على الولد الذي مات. وفاهمة

أيضاً أنك لما قتلت رشا كنت تحبها. وهو قاطعها وقال لها: أنا لا يمكن أقتل ذبانة. أنا بس أشهدك على ما يمكن أن يحصل لك لو زعلتِني. وهي اقتربت منه وتشبثت بكتفه قبل ما تكمل كلامها: أنا قصدي أن اعتقادك غير صحيح. حتى لو كنت أشتغل مع أحد غيرك. حبك لي وحبي لك أهم من أي شيء يا باولو. وهو مسكها من رأسها ودفس وجهها بين رجليه وبدأ يقول: يا مون. يا مون. إما أن تشتغلي معي أو ضدي يا مون. هو أنا عبيط يا بنتي؟ أم أنك أنت الغبية مثل الذين تشتغلين معهم؟ وشد شعرها فجأة وهو يقول بالصوت الحنون الذي كان يحكي لها به حكاية فريدة: معي أو ضدي يا بنت دين القحبة. فلما حاولت أن ترفع له رأسها وهي تتشبّث بكتفه أكثر دفس وجهها بعنف لحد ما ساواه بالأرض ثم لكم رقبتها ووضع يده حواليها كأنه سيخنقها. بهدوء أكثر قال: أنا فاهم أنه مستحيل أن تتخلّصي من ارتباطاتك. أنا لا أطلب منك شيئاً. فقط ابعدي عن طريقي يا مون. لو عرفتِ شيئاً يفيدني وخبأته عليَّ سأطلّع دين أمك طبعاً. لكن لو شممت رائحتك في أي نشاط معاد أنت فاهمة. ثم قام من مكانه ومشى للمكتب ففتح الدرج وأخرج منه هراوة مثل التي تستعملها الشرطة العسكرية وأنبوبة فاسلين ناولهما لها قبل ما يقلع هدومه ويسجد قدامها على السرير الواطئ ومؤخرته بارزة. هي كانت تنهج والدموع في عينيها. وهو صوته ما كاد يُسمع ووجهه مدفوس في المرتبة: اشتقت لك فعلاً يا مون. اشتقت للوجع.

• ٨ | الفيسبوك عالم يا باشا •

الثلاثاء ١٥ مايو ٢٠١٢_١٠ص_لقاءات

الفيسبوك عالم يا باشا. ضع التاج يجئك اللايك فإن تأخّر فضعه في

المرة التالية. ولا تسأل عن نقرة الماوس هل هي من القلب أم مجاملة. فالمحتفَى به لا يهم مقارنة ببهجة الاحتفاء. هكذا تبدأ الأشياء على الإنترنت وأنت تحكي للمتر وكأنك تدوزن تداعياتها على نغمة ملاكك. فلكل نبي ملاك يحفظه من أعدائه سعادتك. ومن أول تطوّر علاقتي الجنسية بمون لحد موت شريف وتحييد دورها في حياتي في انتظار عقابها أحكي له. لا تظن يا باشا أني كنت صادقاً في الذي قلته لها يوم باتت عندي. ولا حتى ساعة ما أحاول أن أجلبها معي لمقر أحمد شفيق سيكون هذا أكثر من مداعبة. كان سيجيء يوم وأعاقبها لو لم يحصل ما حصل وربما بحصوله أكون عاقبتها وأنا لا أدري.

لحد الآن أحكي للمتر وأباشر عملي وهي بعيدة. وهي من ساعة ما بعدت ورضوى عادل معي على الخط. تحاول أن تعرف مني ليس فقط تفاصيل نشاطي السياسي إنما أيضاً ما الذي أثّر عليَّ جعلني لا أعود أعمل معها جنساً افتراضياً بنفس الحماس. تسأل وتسأل وأنا لا أجيبها ولو أجبتها كل كلامي كذب. هل كنت على صلة بمون قبل ما تبتدئ علاقتنا في فبراير ٢٠١٢ كيف تقابلنا فيم نتكلم ماذا نعمل خلاف الجنس والتصوير هل أنام مع أحد غيرها هل أحب جسمها متى أتوقف عن مقابلتها... قلت لرضوى: هو استجواب؟ فكتبتْ على الشاشة حروفاً تدل على الضحك. والغريب أني صباح اليوم هذا وأنا لم أنتهِ من الكلام مع رضوى استدعاني وديع بيه لأقابله. ركبتُ المترو لحد محطة الدقي ثم مشيت من هناك لمقهى سيلانترو في ميدان المساحة وقعدت في التراس لغاية ما فضيت تربيزة في الركن المتفق عليه فانتظرته هناك. ومثل كل مرة لأنه يحتاط لم أتعرّف عليه بشكل مؤكد لحد ما قعد قدامي وسمعته يقول: والله زمان يا باولو. المرة هذه ظهر على هيئة عضو في فرقة موسيقية يحمل جيتار ويلبس جينز وتيشيرت وشعره مصبوغ أحمر. بعد ما جاءت القهوة وهو يحكي عن غياب الهارد روك وانتشار السوفت روك لوحده في مشهد الموسيقى البديلة قال: اسمع

يا سيدي. وأكمل وكأنه يعلمني بآخر أخبار ذلك المشهد: أنت كنت سألتني عن شخصية خيالية على فيسبوك اسمها رضوى عادل. الذي وراء الشخصية هذه واحدة كانت شغالة معنا قبل الثورة بزمان. قبل ١١ سبتمبر حتى. فاكر ١١ سبتمبر؟ هي اسمها قمر السلاب. ساعتها غمغمتُ لا إرادياً وهو يواصل: طبعاً هي لن تقول لك إنها هي التي تسمي نفسها رضوى عادل على الفيس. وعلى فكرة المفروض تكون عرفت. هنا من غير ما أفكر نظرت في الأرض. أحسست كأنه يراني وهي ترهز في بقضيب بلاستك وأنا نائم على بطني مثل أي خول مستأجر. لكن أظن مرت فترة كنت تقابلها بانتظام قال. أنت أكيد عرفت أن قمر شغالة مع الفرقة إياها بعد الذي حصل لك في وسط البلد.
الآن قلت أعرّفك أنها هي ورضوى هذه شخص واحد. هكذا. وأنا لم أعترض على توبيخه الخفيف ولا أستفسر عن شيء. في طريق الرجوع فكرت في الجنس والوجع وشغل المباحث والثورة وفكرت في الشعر والتصوير. فكرت في فضول رضوى عادل أيضاً بالذات في سؤالها عن معرفتي بمون قبل فبراير. وكنت مشغولاً لدرجة أني دخلت أنام من غير ما ألاعب عتريس. إحساس مركّب جداً يا باشا. خجل من أني عارف ولا أعترف لنفسي على غيظ ليس من الموديل التي أصورها لوحدها ولكن من ملاكي والثورة التي أعملها على نوع من الفرح بأن مون تستخدم الشخصية الافتراضية هذه لتعرف إحساسي ناحيتها بقدر ما تستخدمها في الشغل يعني مع كل شيء تحبني. ليلتها وأنا نصف نائم زارني نايف على غير انتظار. كان أطول قليلاً من صورته في ذاكرتي لكنه جميل كما كان وربما حتى أجمل. وكنا في جنينة بيت أهله في المريوطية نائمين على ظهرنا على التراب والزرع الناحل مكان ما تعاركنا بالأيدي مرة سنة ١٩٩٧ لكن الوقت ليل والسماء كلها نجوم. ومع أن الدنيا ظلمة كان يمسك كتاباً ويقرأ منه شيئاً مثل القصيدة بالإنجليزي ثم يترجم لي. يقرأ خمس دقائق ثم يدير وجهه

لي ويترجم. وفي الترجمة هذه قال إنه عارف أني أحب مون وإن مون مع أنها تسبّبت في موته وحاولت تقتلني تستحق الحب. وقال أيضاً إن الرسالة التي عندي ستصل حتى لو بدا أنها لا تتحقّق مرحلياً وإن المتر فعلاً ملاك وهذا الملاك أسد وهو معه حيث هو حيث يتأهّل هو الآخر ليكون أسداً. ثم كنّا قاعدين على التراس الواسع وعبد الوهاب في الخلفية وهو يشرب فودكا من فم القزازة وينظر لي باحتقار. نايف بشحمه ولحمه وبيت أهله بالضبط كما كان في المريوطية ولا أحد غيري معه وهو يشرب فودكا وينظر لي لحد ما تفرغ القزازة فيحدفها بطول يده وتختفي في ظلمة الجنينة فيرجع ينظر لي ويتفل في الأرض. ولما مشيت من التراس لداخل البيت لقيت نفسي في الرواق الأبيض والأسود الذي كنت حلمت به قبل ذلك ونايف واقف بعيداً بعيداً في آخره عند المخرج يشير لي بيديه أن ألحق به. ثم قبل ما أفيق كنا في الجنينة مرة ثانية ولكن على أقدامنا وهو كان يشدني من كتفي ويضمني ويقول لي في أذني: ركّز على نبوتك يا بن أبي. النبوة معناها بسيط وكذلك كل الأديان التي فيها أنبياء. لا تستكثر الموضوع على نفسك. أنت تعرف حاجة الناس التي معك لا تعرفها. هذا كل شيء. ركّز على نبوتك لأنك ستنقذ الناس هؤلاء في النهاية. وحتى لو أحسست أنك تنهزم ونبوأتك لا تتحقّق استمر في شغلك لأنك مع أنك ابن دين كلب يعني أنت على الطريق الصحيح.

• ٧ | في ما بعد •

الأحد ٢٧ مايو ٢٠١٢-١١ص-لقاءات

في ما بعد عندما يُوقَف الدكتور سليم عبد الباري عن العمل رسمياً

لن يجد من كل أصدقائه من ينهنه على صدره إلا أنا. يوم ٢٧-٥ لما قابلته على قهوة الندوة الثقافية بكى بالدموع وهو يحكي لي كيف انهار زواج بنته لما اضطر أن يدفع الكفالة بدل ما يشتري لها الجهاز. وتحسّرنا على قناوي الذي انقطعت أخباره من ساعة ما قُبض عليه. صدّقني كنت صادقاً في تأثري وأنا أقول للدكتور إن الذي يحز في نفسي أني لم أصالح قناوي قبل ما يُحبس. كان يتأكّد لي أن هؤلاء الناس فعلاً بلهاء. الدكتور وقناوي وحميدة وكل الذين توقّعوا خيراً من هذه الثورة. أنا طبعاً ملتمس لهم العذر في تصديق ما جرى بما أني حتى أنا الذي أشتغل مع المباحث خُدعت في الذي رأيته في ميدان التحرير. لكن بعد استفتاء مارس ٢٠١١ لا شيء يغفر لهم الاستمرار في البلاهة واختراع كل تلك الأفكار المجردة والمصارع ليبرروها. حميدة مثلاً بعد ما يتماسك سيسافر إسكندرية ويلتحق بالجناح غير المسيّس من الدعوة السلفية. الذين قابلوه قالوا لي إنه لم يعد يتكلم في السياسة إلا ليحرّم الخروج على الحاكم ويؤكّد أن الدين لا علاقة له بشيء. أما خشبة فمع أنه ظل مشهوراً قلّت حدته في الكلام عن الفلول والإخوان ولم يعد ينزل مظاهرات. كان يصاحب إسلاميين ربما يحصلون على مناصب لو نجح الإخوان وفي نفس الوقت يؤكّد أن الثورة أكبر من التيار الإسلامي. وكان هذا أحسن ما يمكن أن يعمله فعلاً. فمثل ما قال لي نايف في زيارته الأخيرة أنا سأنهزم بعد ما أجيء لهنا لبركة السبع لما تُحسم الجولة الثانية من الانتخابات لصالح مرشح الإخوان محمد مرسي. لكني كما قال أيضاً في النهاية سأوصل رسالتي. كنت أعرف أني سأوصل رسالتي ليس فقط من داخلي واتصالي بالشيء الذي وضعها في. العيال شغّالة. صحيح من غير ولائم لحمة لكنهم يعملون الذي عليهم وأنا على اتصال بهم حتى وأنا أكتب اعترافاتي. ثم إنه ثمّة

دلائل كثيرة على أن الفضيحة المخزية التي يسمونها الثورة بدأت تنكشف. ليس فقط النهاية الفاضحة لاعتصام وزارة الدفاع. جنود الجيش يرقصون مع الأهالي بعد ما طردوا الثوار وكان مات من مات منهم وذُبح في الشوارع من ذُبح لأن الناس سئمت من احتجاجهم والمشاكل التي يجلبونها. المظاهرات نفسها كثرت وتداخلت أهدافها بطريقة عبثية. والخطوة التي كان بدا أن شباب فيسبوك أخذوها بعيداً عن الحنجرة الفارغة والفقراء وفلسطين رجعوا عوضوها بعشر خطوات لوراء. حتى تصوير المظاهرات يعني كون ناس تموت مجاناً ليكون في المظاهرات دراما بقي أهم من السبب في قيامها. كان يرجع لي مشهد رأيته في الشارع لسيارة مزودة بكاميرا سينما تتحرك لوراء في مقدمة مسيرة فيها علم السعودية الأخضر وعلم القاعدة الأسود وعلم تونس الأحمر فضلاً عن علم مصر. وفعلاً لم أستطِع أن أحدد وقتها هل ما أراه مظاهرة أم أنه مشهد مظاهرة في فيلم جديد عن الثورة. الدكتور لما قابلته يوم ٢٧-٥ من نفسه قال لي: الظاهر يا ولد يا عامر أن التاريخ أعقد من قدرتنا على استيعابه. وفي البيت بعد ما جاءني المتر ليطلب مني طلباً محدداً ويذهب شغّلت عبد الوهاب: يا حبيبي كحل السهد جفوني مذ نما طيفك عن عيني وغاب. لم أتحوّل. رفعت صوت السماعات قبل ما أقبض على رقبة عتريس بعد مطاردة سريعة وأحمله للمكان الذي يتبوّل لا إرادياً أول ما يدخله فيعطيني حجة إضافية لعقابه. وسهرت الليل موصول الأنين بين وجد وحنين وعذاب. كنت أطقطق وأنا أشد القط من ذيله فتزيد حركة أطرافه في الهواء: تسؤ تسؤ تسؤ. لحد ما وضعته على التربيزة واسطوانة المغنطيس تحت بطنه وبحركة واحدة ركّبت الحدوة الحديد التي تلتصق بجانبي الاسطوانة فتضغط على عموده الفقري لتثبّته من فوق. الذي لفت نظري وأنا أسلّط الأبجورة عليه بعد ما أطفأتُ نور المطبخ ووضعت الكاتر وقزازة الشطة

والسبرتو مع سلك الألومنيوم النظيف وكيس القطن على التربيزة أنه لا يقاوم. كان انصياع وجهه واستسلام جسمه للحدوة يهدد بإفساد الليلة فجلبت الصاعق الكهربائي من أوضة النوم وضعته في حجري وقعدت على الكرسي العالي أنظر للسجين. لقد فكرت إن السهد كحّل جفوني فعلاً وأنا أمسح الكاتر بقطنة مغموسة في السبرتو وأزيح الفرو الأسود عن مساحة سنتيمترين أعلى بطن عتريس بإصبعي. كنت حزيناً من استسلامه هذا. شعرت أكثر من العادة وكأني أب يعطي ابنه الدواء. لكن قبل ما أبدأ حلفت له إن الوجع سيكون أشد من أي مرة سابقة وأنا طبطب على رأسه الصغيرة وأحبس الدموع في عيني على صوت عبد الوهاب... ليلتها سرّبت لمون عن طريق رضوى عادل خبر أن في المكتبة ورقاً يثبت على ضباط بوليس من مباحث قصر النيل أنهم يرتبون لتزوير الانتخابات لصالح شفيق ثم ذهبت للمكتبة وانتظرت طول الليل لأرى إذا كانت ستستطيع أن تدخل. لا شيء. ولما قفلت المكتبة مساء يوم ٢٨ تركت في الغرفة ظرفاً فيه أوراق من هذا النوع وجدته مكانه لما رجعت في الفجر.

• ٦ | شوشرة في الدماغ •

الإثنين ٢٨ مايو ٢٠١٢_١٠ص_أحلام

وإن قالوا حي هو الرب فإنهم يحلفون بالكذب. يا رب أليست عيناك على الحق ضربتهم فلم يتوجعوا أفنيتهم وأبوا قبول التأديب صلّبوا وجوههم أكثر من الصخر أبوا الرجوع. أما أنا فقلت إنما هم مساكين قد جهلوا لأنهم لم يعرفوا طريق الرب قضاء إلههم. أنطلق إلى العظماء

وأكلمهم لأنهم عرفوا طريق الرب قضاء إلههم أما هم فقد كسروا النير جميعاً و قطعوا الربط. من أجل ذلك يضربهم الأسد من الوعر ذئب المساء يهلكهم يكمن النمر حول مدنهم كل من خرج منها يُفترَس لأن ذنوبهم كثرت تعاظمت معاصيهم. كيف أصفح لك عن هذه بنوك تركوني و حلفوا بما ليست آلهة و لما أشبعتهم زنوا وفي بيت زانية تزاحموا. صاروا حُصُناً معلوفة سائبة صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه. أما أعاقب على هذا يقول الرب أو ما تنتقم نفسي من أمة كهذه. اصعدوا على أسواره واخربوا ولكن لا تفنوها انزعوا أفنانها لأنها ليست للرب...

• ٥ | لما إنت ناوي تغيب على طول •

الثلاثاء ٢٩ مايو ٢٠١٢-١٠ص-احلام

في ما بعد سأتذكر يوم كنت في طريقي للمحكمة الدستورية لأصوّر وفتحت الباب على مون وهي داخلة. مون المدعوة قمر السلاب في الأوراق ماذا أحكي لك عنها وأنت لم ترَ إلا جثة فوق تربيزة وعقداً مقطوعاً ومرمياً... فعلاً عليه بصماتي. كيف أصحّح لك صورة لها ربما تراها في الذي كتبه الفتيس لو قرأت الفايل الثاني الذي على هذا الهارد؟ أنا لا أعرف لو كان لكَ صبر على القراءة لكني أفترض أنك ستقرأ تدويناتي هذه إخلاصاً لأكل عيشك على الأقل. لم أكن رأيت مون ولا مرة من يوم ٢١-٤ لما جلبتُها في جوال. وكنت كل ما أتذكرها أحس بوجع في شرجي يجعلني أشتاق لها بطريقة لا تحتمل. حب وفرحة بالحب وشهوة للخروج من رواق أبيض وأسود إلى العالم

الملون شهوة وشوق أكبر من أي شيء. عجيب فعلاً أن الفرحة تبقى بعد ما الحاجات تفسد لهذه الدرجة. لكن صباح ٢٩-٥ لما صحوت على الوجع في شرجي لم يكن عندي فرحة مع الشوق. كان شوق وربما شهوة وكان حب طبعاً لكنه مع شيء غير الفرحة بالحب شيء كالحزن الشديد كوجع الموت. كنت أعرف أن لا صلة للإحساس هذا بشريف تادرس ليس فقط لأنه راح من بالي ولكن لأن حزني عليه مختلف تماماً. ثم إن الإحساس كان قوياً لدرجة أني استغربت وجاءني حدس أن مصيبة ستحصل تأكد لما فتحت الكمبيوتر فلقيت أغنية لما إنت ناوي تغيب على طول شغالة من نفسها. أنا أحب الأغنية هذه جداً لكنها تذكرني بالذين فقدتهم وبالأيام الصعبة. بعد ساعة مع شغل المكتبة راح حدس المصيبة وراحت الأحاسيس كلها. فقط بقيت الأغنية في رأسي. لازم يهزّه الشوق ليَّ يرجع تاني. لما إنت ناوي... لحد ما انتهى اليوم وراح كل شيء. لكن في ما بعد وأنا في وسط أحداث الدقي ومأخوذ تماماً بالذي أنا فيه جاءت النغمة في رأسي مرة ثانية ولقيتني أعيّط. لا شيء على بالي أبداً لا شريف ولا مون ولا أحد أو شيء. فجأة هكذا أبكي وأعيّط مثل طفل صغير. واضطررت أن أختبئ وراء حائط لحد ما أهدأ بدل ما ينتبه لي أحد. كان البكاء حاراً وعميقاً وفكّرت أني لم أبكِ بهذه الحرقة من يوم مات نايف. ومع أني أحسست أن حدس الصباح كان خطأ لما اكتمل الشغل بأمان ورجعت من السيف هاوس منتصراً بقي في رأسي إحساس أن أحداً غير شريف ينبغي أن يكون مات. لقد شككت في أني جننت أو أن مادة ما دخلت جسمي بدون علمي أثرت على كيمياء مخي منذ البارح. تذكرتُ حميدة أيضاً. والإكسلانس. تذكّرت الذي عملته مع الإكسلانس صباح ١٧ أبريل واستعدتُ منظر عتريس والشطة تحت جلده وأنا أدعكه بالسلك وكل ما يموء بوهن أصعقه في قفاه بالكهرباء. واستعدت مون أيضاً بنوع مختلف من الشوق بحزن من غير وجع

من غير ما يوجعني شرجي. لما إنت ناوي تغيب على طول في رأسي أو في السماعات وفريدة تتحوّل لكارت بوسطة في يدي وأنا قدامي تربيزة عليها مسدس كِل-تِك بي-١١ وعلبة كبريت. ثم عتريس نصف مشلول في ركنه يحاول أن يلحس نفسه ولا يقدر والأكونيت يُحقَن في قزازة النبيذ الفرنسي التي ستشربها داليا مراد ليلة عيد ميلادها. بإبرة طويلة عبر فلة القزازة من فوق السلوفان الأحمر. وحميدة متشنج على ظهره على عربة كارو وجنبه جبل صغير من غطيان الحلل والسلاسل. الأكونيت مذاباً في السبرتو يؤدي لتوقف تام في القلب خلال ساعتين وأنت عارف أن داليا ستشرب هذه القزازة لوحدها ليلة عيد ميلادها. تذكرت وديع بيه في غرفة المجاري وتذكرت الصالون الذي استقبلت فيه حميدة وشريف تادرس وهو قاعد معي على قهوة عنتر يحلف لي أنه يحب الإكسلانس. تذكرت شقة المنتج المسرحي وخشبة يأخذ شفطة من كأس الويسكي الذي في يده ويقول إن لا أحد غير الثوار يفهم ويعرف معنى التضحية. لأول مرة في حياتي كلمت الحفّار من غير مناسبة. سألته إن كان يعتقد أني شخص شرير فشخر وقال: أنت خابور في طيز الأشرار يا كابو. لكني لم أنتبه لأني أكر شريط حياتي منذ ٢٠٠٥ لحد ما جاء في بالي صلاح نصر. ليس وهو مربوط بالسلك في خيمة الإخوان ولكن سنة ٢٠٠٨ وهو عندي في البيت. لما انحنى وأزاح لباسه لأشرف ليحفر في لحمه خطاً بالمطواة ثم يخبط على ظهره قبل ما يرفع البنطلون. لاحظت ساعتها أنه لا خجلان ولا متضايق. مجرد حاجة عليه أن يعملها وعملها... مرّت فترة فارغة قبل ما يجيء المجهولون الثلاثة يعلمونني بمصرع مون. لا لا لم أتحوّل. كنت أُسكِتُّ عبد الوهاب وربّعتُ رجلي على الأرض وقعدت ثابتاً كالصنم لا أفكر. الآن لما ذهب المجهولون بدأت ألم حاجتي استعداداً للسفر. مع نور الصبح الأول أحمل شنطة وأخطو على الأسفلت. كنت خائفاً أو حزيناً أو غاضباً لا أدري. كان عندي احتياج أن أعترف...

لحد ما الفجر أذّن ودخل المتر مبتسماً. كان معه زمزمية فتحها وشرب منها ثم ناولني لأشرب. طعم حديدي مالح ولا كحول. الشيء الذي في الزمزمية ثقيل ومشبع وهو لازال دافئاً وطعمه غامق وثقيل ومشبع جداً كأنها لحمة سائلة. والمتر لم يقل لي إن هذا دم الذبيحة لحد ما خلّصناه كله وأشعلنا سجاير. هكذا قال لي باللغة العربية: دم الذبيحة. وقال إن إينكاي ضحّى لنا من أجل أن تتخرّج حلقتنا لكي نكون شيوخ العشيرة: أشرف بيومي وصلاح نصر وعلاء الراوي والديك والحفار وأنا والمتر. عشيرة كشف. ساعتها تذكّرت أنه كان قال إننا موران لحد ما نموت وجاء في بالي أننا ربما نكون متنا فعلاً ولا نعرف. بعد ما أثبتنا شجاعتنا لم نعد موران يا باولو قال. كان يضحك. ومن غير ما أحكي له لا عن زيارة نايف ولا عن المجهولين الذين جاءوا يعلمونني بمصرع مون قام على حيله وقال لي بإنجليزي مكسّر: لو نجح محمد مرسي في الانتخابات لا تزعل ولا تفكر إننا فشلنا. هذا لن يكون له معنى. الآن عندك صورة حلوة لمون ونحن نتخرجنا. ثم ضمّني من كتفي وعمل صوتاً حاداً فيه حشرجة: ياّيييهوووواااه. وقبل ما أنتبه كان اختفى من قدامي وكان باب الشقة مقفلاً.

• ٤ | محضر التحقيق (أ) •

السبت ٢ يونيو ٢٠١٢-١٠ص-أحداث

طيّب. اللي حصل إني طلبت من مون تقابلني في مكتبة أزمنة بعد الشغل. وده كان حصل أكتر من مرة قبل كده. إحنا بنقفل الساعة سبعة. فيه في المكتبة غرفة خلفية يتنزلّها بسلّم زي ما تقول بدروم. أنا بأستعمل الغرفة دي مكتب خاص وأحياناً أبات فيها. ولما مون

كانت بتجيلي كنا بنقعد هناك. في الليلة دي بالذات يوم التلات ٢٩ مايو أنا كنت مروّح بلدنا بالليل. كانوا أعلنوا نتيجة الجولة الأولى من الانتخابات رسمي والدنيا ظايطة وولاد المجنونة رايحين ميدان فيني في الدقي يتظاهروا عند مقر الحملة بتاعت أحمد شفيق. الخطة كانت إني أشوف مون ساعة أو اتنين وننزل طلعت حرب مع بعض. هي كانت قايلالي إن عندها معاد في النادي اليوناني وأنا كنت حأكمّل على رمسيس وأركب من هناك. مون طبعاً عَيّلة صايعة من زمان ولا يُعتمد عليها في المواعيد. ما كنتش عايز أتأخّر وكنت مركز مع كلام الناس على النتيجة في النت. بشر كتير كانت غضبانة بس أنا كنت عارف نتيجة الجولة الأولى من قبل حتى ما الأصوات تبتدي تتعد يوم الخميس ٢٤ مايو. وكان ورايا شغل كتير في الجولة التانية ومركز. اللي حصل إني بعد الساعة تسعة بشوية لما لقيت مون ما بتردش على تليفونها قفّلت ومشيت. ما عنديش أي فكرة هي دخلت إزاي. الشخص الوحيد التاني اللي عنده مفاتيح المكتبة هو صاحبها وهو مسافر من يجي شهرين ولسه قدامه كتير قوي على بال ما يرجع.

• ٣٠ | محضر التحقيق (ب) •

السبت ٢٣ يونيو ٢٠١٢-١٠ص-أحداث

طيّب. عشان تصدقني بقى الحقيقة إني ما مشيتش من المكتبة قبل ما مون تيجي عشان هي تأخّرت عليّا وأنا مسافر. أنا كان ورايا مشوار مهم قبل السفر وكنت حآخد مون معايا. ده كان زي امتحان ليها وكنت شبه متأكد إنها مش حتيجي فالساعة تسعة تحركت. ما ركبتش لبركة السبع إلا الساعة سبعة الصبح يوم ٢٩ مايو وده رقم البيجو اللي وصّلتني.

السواق اسمه سالم عبد الرازق ممكن تسألوه عن أوصافي كمان. اليوم ده بالذات سجّلت كل المعلومات اللي ممكن تفيد. لكن أنا حأقول لك ع اللي رحت أعمله قبل ما أركب عشان ما يفضلش عندك شك إني ممكن أكون كنت في المكتبة لما مون اتقتلت. ليلة إعلان نتيجة الجولة الأولى كان فيه لو تفتكر حريقة في مقر حملة أحمد شفيق في الدقي. اللي هي بقت قضية تورّط فيها بعد كده الناشط المعروف علاء سيف وأخته منى. أنا بقى المسؤول عن الحريقة دي. كان لازم نورّط المتظاهرين في أعمال عنف هناك في الليلة دي بالذات. وبعد الدنيا ما ولعت رحت أستخبا في شقة قريبة كنا متفقين عليها على أساس ما أظهرش إلا بعد الفجر. سيف هاوس آه يا باشا. عشان ما حدش يشك فيا. يعني كان ورايا شغل وشغل مهم كمان. إيه بقى اللي حيخليني أسيب ده كله وأقعد أستني واحدة أنا عارف إنها مش جاية وبعدين أقتلها بالطريقة الغريبة دي وأسيبها زي الدبيحة في مكان أكل عيشي؟

• ٢٠ | كلام باولو بن بغاغو •

الثلاثاء ٣٠ يونيو ٢٠١٣-١٠ص-أحلام

كلام باولو بن بغاغو من الثوار الذين في ميدان التحرير في عاصمة مصر الجمهورية. الذي كانت كلمة الأسد إليه في أيام المجلس العسكري بقيادة المشير محمد حسين طنطاوي في السنة الثانية على سقوط الرئيس محمد حسني مبارك. وكانت حتى نهاية الجولة الأولى من انتخابات الرئاسة التي فاز فيها محمد مرسي العياط مرشّح الإخوان المسلمين بعد سنة ونصف السنة من قيام الثورة. فكانت كلمة الأسد إلي قائلاً: اذوهي دسا. ولم تكن لغة. وكان من السماء. ولم يُفهم تعبيره. اذوهي

دسا. وجاء إلى باولو قبل لقائه بمون بنت السلاب التي هي من بورسعيد قائلاً: لتصنع صورة. ثم فتح فمه وزأر فإذا باولو يزأر معه فسأله: ما هذا الذي يحدث لي؟ فقال الأسد إني أعطيتك من عندي لأنك تذهب إلى الثوار الذين مثلك إلى الصادقين منهم وتعلمهم بأنهم هالكون. وأعطيك من عندي وتصير أسداً متى شئت وأعطيك وديع المقاتل سنداً لك من عند الذين يُهلِكون الثوار بحيلتك. وأكون معك أعينك في تحايلك على الثوار لأنك لو كلمتهم تموت. وقال ماذا أنت راء يا باولو فقلت أنا راء قالب طوب. فقال لي أحسنت الرؤية فهذا ما يرميك به ابن آوى ويكون الثوار معه ويصيرون ذئاباً ثم جميعاً يهلكون. وبقيت كلمة الأسد في قلبه فإذا كتيبة من الثوار تعينه على البقية وإذا المرأة التي عرفها التي من بورسعيد معهم وهي خائنة. فجاءت كلمة الأسد إلى باولو قائلاً: خيانة تخونك هذه المرأة ولتصنع لها صورة وهي تعرفك مثل ما عرفتها وأنا أعينك على صناعة الصورة. ثم هرباً تهرب قبل أن يقبضوك وتكتب كل ما جرى في مصر وأنت شاهد عليه. ومات المسيحيون في حكم محمد حسين طنطاوي ومات الثوار أيضاً وقالوا إننا نعتصم حتى يملك علينا مدني وحتى يقتل المدني من قتل إخوتنا قصاصاً لهم ويسود الأرض سلام. وباولو كان يعلم لأن الأسد أعلمه أن المدني هذا ابن آوى وأنه لا يقتل أحداً قصاصاً ولا يسود الأرض سلام في ملكه. وقال للمقاتل وديع إن الهلاك آت لهؤلاء وأولئك لأنه كان يعلم أن هلاكهم من عنده هو من عند الأسد. ثم قال الأسد ماذا أنت راء يا باولو فقلت أنا راء سيارة مرسيدس سوداء بلا سقف. فقال لي أحسنت الرؤية لأنك تقود هذه السيارة على الجسر الكبير ويكون جوارك وديع المقاتل وتحصل لك رؤيا كذلك وأنت وسط الثوار في ميدان التحرير. ويكون تعبير الرؤيا أنك تصنع صورة. وتكون صورة المرأة التي تصنعها هي رسم هذه الثورة مثل ما أن المرأة نفسها رسم فرحتك. ثم جاء صبي خائن إلى مخدع باولو

إلى عرينه السري لأن باولو كان أمره بأن يأتي وكان اسمه فريد أبو جديد. ولما جاء فريد لعند باولو أجلسه على السرير الضيق وأعطاه سلاحاً في يده وأعطاه خمرة يشربها وكان في الخمرة نبتة الشوكران. واستدار فإذا هو أسد هصور وإذا الصبي يصرخ وهو يرى أسداً في الغرفة من أمامه ولا شخص يكلمه إلا هذا الأسد. وقال باولو للصبي وهو أسد باللغة التي يتكلم بها أنا لا آكلك الآن ولكنك غداً تأخذ هذا السلاح وتقتل نفسك في ميدان التحرير عند ابن آوى الذي تخونني معه. وإن لم تفعل أتبعك إلى جنبات الأرض وآكلك حتى لا أُبقي من عظمك وأنت حي. وإن لم تقتل نفسك عند ابن آوى في ميدان التحرير أقتل أباك وإخوتك وكل عائلتك وأحرق قريتك على رؤوس سكانها وأقنع ابن آوى بأنك تخونه قبل أن آكلك. والشوكران الذي في الخمرة جعل الصبي يصدق كلام باولو فذهب وقتل نفسه وكان كما قال الأسد الذي جاءت كلمته إلى باولو.
وبقيت كلمة الأسد في قلب باولو وهو مع وديع المقاتل وكتيبة الثوار والمرأة ليصنع لها صورة. ثم كان وسط الثوار يقنعهم بترك المظاهرة وهم لا يسمعون له فإذا هو يقود سيارة مرسيدس سوداء بلا سقف وجواره المقاتل وديع. وإذا هما على الجسر الكبير ولا زحام على الجسر ولا سيارة سوى سيارتهما وهما مسرعان. وإذا صوت نايف صاحب باولو يقول لباولو هكذا مت يا بن أبي وأنا في سيارة أقودها. وكان المقاتل وديع حزيناً لأنه يظن الضباع تنتصر فقال له باولو لا تحزن إنهم هالكون على أيدينا. ثم تحول لون السماء فأصبح أحمر كالنبيذ والسحب صفراء والشمس سوداء كالأسفلت وهما مسرعان. ومن وراء الشمس جاءت أسود مجنحة بكل ألوان الأسود تزأر وتطير حتى ملأت السماء من فوقهما وهما في السيارة. وكان كلما مر أسد عليهما نظر إليهما وفتح فاه ليريهما أسنانه والسماء حمراء. ولما صارت الرؤيا ورجع باولو للثوار قال الأسد ألم أقل لك إنهم يهلكون. وعرف باولو في قلبه أنه ينتصر على

ابن آوى ويصنع صورة للمرأة التي عرفته مثل ما عرفها وأن الرؤيا يتحقّق تعبيرها...

• ١٠ | محضر التحقيق (ج) •

السبت ٢٨ يوليو ٢٠١٢-١٠ص-أحداث

طيّب. دي آخر حاجة حأعترف لك بيها عشان بعد كده مش حيبقى فاضل حاجة. أنا تعبت وإنت كمان. ومن كتر التعب ما عادتش فارقة تصدّقني ولّا ما تصدقنيش. هو أنا صحيح حاولت أخبّي عليك حاجات بس ما كنتش بأعمل كده إلا عشان أبسّط لك القصة. عشان ما أبعتكش حِتّة بعيدة ترجع تكتشف إن ما لهاش دعوة بالجريمة. يعني بعد ما قضّينا الوقت ده كله مع بعض المفروض تبقى فاهم إني مش بأحاول أبرّأ نفسي. ليلة حرق حملة شفيق قبل ما أروح الدقي لما كنت في المكتبة مستني مون وهي تأخرت فاكر؟ أنا ما كنتش في المكتبة. اليوم ده ما رحتش المكتبة بعد ما قفلنا. أنا ما كدبتش عليك في أي حاجة مهمة: فعلاً ما شفتش مون اليوم ده خالص. وفعلاً ما كانش ممكن حد يدخل المكتبة من غير مفاتيح. اللي حصل إني كلّمتها من السيف هاوس اللي كنت فيه وعملت إني في المكتبة وصمّمت إنها تجيلي هناك. الليلة اللي قبلها المتر كان عندي في البيت وطلب مني أعمل كده. ما رضيش يقول لي ليه بس فهّمني إن الموضوع مش هزار. عارف بقى الحاجة اللي حتجنّني؟ إزاي ممكن يكون دخل ودخلّها من غير ما يكسر الباب. هو لا كان معاه مفاتيح ولا طلب مفاتيح. واحتمال إنه يكون عمل نسخة على مفاتيحي من غير ما أنا آخد بالي ضعيف قوي يعني. بالذات وإنه لو كان طلب نسخة أنا ما كنتش حأقول له لأه...

تدوينة رقم ٦ «شوشرة في الدماغ-٣» هي نص الإصحاح الخامس من سفر إرميا في العهد القديم (٢-١٠).

أغنية الحرب في تدوينة «والعملية انكشفت» إعادة صياغة لأغنية تراثية لدى عشائر الماساي عن النص الإنجليزي للأصل بلغة الما، تم تسجيلها في مقاطعة «كاجيادو» المتاخمة للحدود التنزانية سنة ١٩٧٧.
من موسوعة التراث الكيني على الإنترنت:

Jens Finke's Traditional Music and Cultures of Kenya

www.bluegecko.org /kenya

باولو

هذا الكتاب يحتوي على التفريغ الكامل لمدونة «الأسد على حق» التي ظهرت على الإنترنت بالتزامن مع فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة لأنصار الرئيس المصري السابق محمد مرسي من الإسلاميين المحتجين على عزله من منصبه. وتتضمن المدونة شهادة أحد الأطراف المنخرطين في «الحراك الثوري» منذ ٢٠١١ عن الفترة السابقة على انتخاب مرسي والصراعات السرية المشتعلة حينذاك. لكن الناشط الثوري الذي يدلي بأقواله هنا ليس كما يبدو للوهلة الأولى مجرد مصور فوتوغرافي أو مدير مكتبة خاصة من مثقفي وسط القاهرة. إن «باولو» أيضاً عميل لدى مباحث أمن الدولة و«دون جوان» لم تنج واحدة ممن وقعن في غرامه من الموت، وهو كما يرى نفسه الزعيم الخفي للثورة، الذي يحمل لـ«الثوار» نبوءة هزيمتهم القاطعة.

تحت السطح البريء لـ«الربيع العربي» هناك رواية أتعس لأحداث تاريخية لم يفهمها أبطالها: رواية الزيف والعنف والجريمة، وإخفاق «النخبة المدنية» في تجاوز عقود من القمع والحرمان ما كان التظاهر ليزيل آثارها أبداً في وجود الإسلام السياسي... إنها رواية شيقة رغم كابوسيتها، ولعل هذا الملاك الشرير أفضل من يمكنه سردها.



ISBN 978-977-648-358-3



التنوير للطباعة والنشر والتوزيع

تونس - القاهرة - بيروت